العودة إلى الهوية الإسلامية

أنور الجندي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق
٩٩/١٧٢٩١
I.S.B.N.
977-5502-51-9

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفهرس	٣
الأمة الإسلامية فى خضم الأحداث والتحديات	٥
مستقبل الإسلام فى ظل المتغيرات العالمية	١٠
مستقبل نظام العالم سيكون دينياً والنظام الإسلامى	١٦
المشروع الحضارى الإسلامى	٢٧
فى مطلع عام هجرى جديد (القرن الخامس عشر الهجرى)	٤٤
تحرير المجتمع الإسلامى من التبعية	٥١
آفاق مضيئة للدعوة الإسلامية	٥٦
التأصيل الإسلامى :	٦٠
أولاً : اللغة العربية	٦١
ثانياً : مؤامرة خلق القرآن	٦٢
ثالثاً : محاذير الفلسفة اليونانية	٦٣
رابعاً : إعلان فساد المنطق	٦٤
حرب العلمانيين على الإسلام	٦٧
انهيار دعاوى العلمنة وسقوطها	٧٢
الأصولية	٧٨
مفهوم الأصولية بين الفكر الغربى والفكر الإسلامى	٨١
هى أزمة التغريب والتبعية وليست أزمة الأصالة	٨٥
التربية الإسلامية هى الإطار الحقيقى للتعليم	٨٨
معرفة الله تبارك وتعالى الدعامة الأساسية لمنهج التربية الإسلامية	٩٤

الموضوع	الصفحة
التربية الدينية كما ينبغى لها	٩٧
المجتمع المسلم والحضارة الغربية	٩٩
الإسلام والعلوم الاجتماعية والإنسانية	
مقارنة بين نظرة الإسلام ونظرة الغرب	١٠٥
حول الإعجاز القرآنى فى ميدان العلم	١١٢
عودة الأمة الإسلامية إلى الأصالة ومنهج الله	١١٤
ليس أمام الغرب من منقذ إلا الإسلام	١٢١
ماذا بقى من طه حسين بعد ربع قرن من وفاته	١٢٩
فشل محاولة تنصيب الدكتور طه حسين عميداً للتنوير الغربى مرة أخرى	١٣٦
آفاق مضيئة فى وجه الدعوة الإسلامية ـ مراجعة بوكاى للكتب المقدسة .	١٤٥
آفاق مضيئة فى وجه الدعوة الإسلامية الدكتور فؤاد سزكين : شهادة للتراث الإسلامى	١٥٤
تكامل الفكر الإسلامى، تكامل قيم الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة	١٦٢
تحفظات على دراسات التراث الإسلامى	١٦٨
العودة إلى المنابع	١٧٥
منهج الإسلام غاية الإنسانية	١٨٥
إسلامية العلوم التجريبية	١٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة الإسلامية

فى خضم الأحداث والتحديات

يشغل الفكر الإسلامى اليوم ثلاث قضايا كبرى، هى :

(١) حماية الذاتية الخاصة وبناء المجتمع الإسلامى على الأصالة والمعاصرة .

(٢) تصحيح الموقف بين الإسلام والغرب وتحريره من التبعية.

(٣) إحياء فكرة الوحدة الإسلامية الجامعة بمناسبة مرور مائة سنة على قائدها الأول السيد جمال الدين الأفغانى .

وعلى هذه القضايا الثلاث دارت أبحاث وعقدت مؤتمرات وركزت أسس حقيقية يجب أن تكون واضحة لشباب الإسلام فى مختلف الأقطار . وخاصة فى الترابط الإسلامى المتصل بين الغرب والمسلمين فى أفريقيا وآسيا، وذلك فيما يتعلق بالأقطار الإسلامية الناهضة اليوم وخاصة فى ماليزيا بالذات . ماليزيا التى تقدم للمسلمين منطلقاً صحيحاً لبناء حضارته ومجتمعه على أساس صحيح .

فلقد ظل الغرب وأتباعه فى العالم الإسلامى يتحدثون عن دعوة المسلمين إلى اعتناق الحضارة الغربية بمفهومها المادى القائم على مفاهيم العلمانية والمادية من خلال مفهوم مغلوط وخاطئ وهو القول بأن الأمة الإسلامية لن تستطيع أن تحقق التقدم إلا إذا دخلت دائرة الحضارة الغربية خاضعة مستسلمة دون أن يكون لها موقعها الخالص والمتحرر القائم على أساس منهجها الاجتماعى والأخلاقى الذى يرسم لها طريقها الصحيح، وقد ظلت المحاولة المسمومة مستمرة ومتصلة حتى

جاءت ماليزيا اليوم لتقدم للعالم كله وللأمة المسلمة أصول الترابط بين الحضارات والأمم، وقد أكدت هى تجربتها على أساس الجمع بين معطيات العصر من ناحية وبين أخلاقيات الدين وقيمه الأساسية (فقد كانت ماليزيا والمنطقة المتصلة بها من غير المسلمين قد افتقدوا الربط بين الدين والحضارة) .

وإذا كانت البوذية فى شرق آسيا ترفض التبعية للفكر الغربى والحضارة الغربية ولا تتخلى عن قيمها الأخلاقية فى نفس الوقت الذى تنجح إلى أبعد غايات النجاح فى ميدان الاقتصاد الإسلامى والتجارة والتعامل العالمى دون أن تفقد قيمتها الأخلاقية الأساسية .

وتأتى هذه التجربة لتعطى المسلمين الاقتناع الكامل والإيمان الصحيح بأن نجاح التجربة الاقتصادية يمكن أن يتم وعلى أوسع نطاق مع المحافظة على القيمة الدينية والأخلاقيات ودون الارتباط بالمادية الغربية .

ولا ريب أن هذا الفهم الصحيح الأصيل يؤكد لنا حقيقة أساسية وهى ألاَّ نفقد الثقة فى قيمنا الحضارية ولا نتخلى عن تقاليدنا فى الملبس والمأكل والحياة الاجتماعية .

ويأتى هذا المفهوم الأصيل واضحاً جليّاً ليؤكد أن الإسلام ـ وهو الدين الصحيح والأصيل ـ لابد أن يكون جديراً بقيادة العالم إلى الطريق الصحيح .

وأعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى أن ننصهر فى الحضارة الغربية تحت اسم عالمية الحضارة مع أنها لا تمثل العالمية حقيقة .

ومع إحكام عقيدة التوحيد الخالص ، علينا أن ننضم إلى الأديان التى تحمل ما يحمل الإسلام، حيث تنفصل العلمانية والمادية عن الروح، مع تذكر أن ديننا هو خاتم رسالات السماء، وأن علينا أن نمزق الوحدة الفكرية الجامعة بين المادة والروح والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

وفى ضوء هذا كما يقول الأستاذ عادل حسّين : نحن مطالبون بتقديم إجابات إسلامية عن مشاكل العصر . وأن لا نفقد الثقة بقيمنا الحضارية ولا نتخلى

عن تقاليدنا فى الملبس والمأكل والحياة الاجتماعية .

(٢) تصحيح الموقف بين الإسلام والغرب وتحريره من التبعية :

ويأتى هذا الموقف فى مجال الدعوات المسمومة التى يثيرها فلاسفة ومستشرقون ماركسيون ويهود وصهيون للإساءة إلى الإسلام، يجرى هذا فى نفس الوقت الذى يؤكد المسلمون فى مختلف مجتمعاتهم وعلى مدى عصورهم على سلامة موقفهم وإقامة عوامل التواصل الثقافى والحضارى، ولقد كان المسلمون غاية فى السماحة عند ما سلموا علومهم التى أقاموها إلى الغرب ليقيم نهضته ولم يضايقه أنهم بعد ذلك أنكروا فضل المسلمين والعرب لولا بعض العلماء المنصفين الذين كشفوا الحقيقة، وليعلم هؤلاء جميعاً أن الإسلام هو دين السماحة والرحمة .

هذه هى القضية الجديدة التى تكشفت فى السنوات الأخيرة عن حملة شديدة يقودها مستشرقو اليهود (وأتباعهم من العلمانيين والماركسيين) فى محاولة لعدم تمكين المسلمين من إقامة حضارتهم ومجتمعاتهم فى ظل خطة الانتماء التى رسمها الإسلام، وجعلها منفسحة لكل العناصر التى تعيش فى ظل الأمة الإسلامية على نحو عرف منذ اليوم الأول لظهور الإسلام .

وما قام به حين دخل الأقطار حامياً لكل أمة فى عقيدتها ودينها ودون فرض نفسه على أحد حتى اقتنع أهل الأقطار أنفسهم بأن الإسلام هو دين « السماحة والرحمة » .

وما كان الإسلام يوماً ولن يكون معتدياً أو ظالماً لمن استظل بظله وهو الذى أقام ميزان الرحمة والعدل .

ولقد كان على الإسلام أن يؤكد للغرب هذه الحقيقة وهذه السماحة، وأن يصحح المفاهيم الخاطئة التى تنشرها بعض الجهات فى الغرب لإثارة الفتنة أو الحيلولة دون قيام كل مجتمع على أصوله وقيمه، وخاصة المجتمع الإسلامى الذى تجرى المحاولات على منعه من تفعيل وجوده .

ولذلك فقد دعا المسلمون فى مؤتمراتهم إلى ضبط النفس وإلى حماية العلاقة بين الحضارتين لنمتلك نقاطًا عديدة للعبور نحو مستقبل أفضل، على أن يدور الحوار بالمصارحة، وأن يرد الإسلام على كل ما فى أذهان الغرب؛ ليعرف الغربيون أنه ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وأن سماحة الإسلام تحول دون وقوع الصدام بين الغرب والإسلام من إقامة التعاون التى هى أكبر وأعظم من آفاق الصدام على نحو ما أكده الأمير تشارلز ولى عهد المملكة المتحدة فى كلمته التاريخية: كذلك فإن علينا ألا ننسى الماضى فيما نكتب أو نقول .

ولا ننسى أن الإسلام صاغ حرية العقيدة فى عبارة موجزة عظيمة الدلالة وهى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وصاغ الفقهاء مبدأ المساواة فى عبارة جامعة مانعة (لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

ولقد كان الإسلام سباقًا إلى تقرير حرية العقيدة والمساواة بين الناس بصرف النظر عن دينهم ولغتهم وأصلهم .

وأنه من الممكن الدعوة إلى الاتفاق على أساس أخلاقى مشترك للحضارة الإنسانية العالمية لحمايتها من أخطار المادية المطلقة والأنانية الشديدة .

* * *

كذلك فإننا من الضرورى أن نحترز من أخطاء الحضارة العالمية المادية من الأمم وخاصة الأمة الإسلامية التى شكلها نور الإسلام وعظمة القرآن .

وأبلغ هذه الأخطاء التى يجب أن يتخلى عنها الغرب :

أولاً : فرض القيم الغربية على الدول الإسلامية التى تنتمى إلى نظام حتمى مستقل وجدير بالاحترام .

ثانياً : العمل على إيقاف خطة محاربة الإسلام والمسلمين أو إلصاق بعض القيم

الخاطئة بالدين الإسلامى .

ثالثاً : التحفظ ضد تراجع القيم والفضائل التى جاء بها الإسلام .

رابعاً : عدم الخلط بين ظاهرتى الإرهاب والتطرف وبين حق الدفاع المشروع لدرء العدوان وتحرير الأرض من براثن الاحتلال .

* * *

أما القضية الثالثة : فهى إحياء ذكرى جمال الدين الأفغانى الذى يمثل الركيزة الأساسية للمدرسة الإسلامية المعاصرة ، وإمام الجماعة كلها : محمد عبده وإقبال ورشيد رضا وحسن البنا، الرجل الذى دعا إلى العودة إلى القرآن الكريم كمنهج حياة للمسلمين .

وقد قامت حياة جمال الدين الأفغانى على حقيقة أساسية هى مقاومة النفوذ الأجنبى وقد كان يعلن فى كل مجالاته أنه يهدف إلى تنكيس علم بريطانيا فى الشرق، وقد دعا جمال الدين إلى عدة أسس ما تزال حتى اليوم قواعد أساسية لمقاومة التصور الأجنبى سياسياً وفكرياً (الغزو الفكرى) .

أولاً : دعا إلى مجالدة الاستعمار وتنكيس علم بريطانيا فى الشرق .

ثانياً : دعا إلى اتخاذ القرآن منطلقاً إلى الوحدة الجامعة وإلى النهضة .

ثالثاً : دعا إلى الوحدة ومقاومة النفوذ الأجنبى والتجمع .

رابعاً : مقاومة المستبدين المتسلطين (خديو مصر وشاه إيران) ، وما يزال باب الصحوة الإسلامية مفتوحاً وللحديث بقية .

مستقبل الإسلام
فى ظل المتغيرات العالمية

يجب أساساً أن نكون على ثقة لا تتزعزع بأن الإسلام نجم صاعد فى سماء البشرية منذ فجر تلك اللحظة التى أذن الله تبارك وتعالى بأن يضىء نوره العالمين؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأن الإسلام فى كلا مرحلتيه الأساسيتين ـ مرحلة الزحف والفتح ـ قد استطاع فى خلال أقل من قرن (ثمانون عاماً تقريباً) أن يبسط رواقه على كوكب الأرض من حدود الصين إلى قلب أوربا فى زحف كاسر تتفتح له أبواب القلوب وتسلم له النفوس حين أخرجها من الوثنية والعبودية وظلم الحضارات والرق وحين حررها ثم تركها تقبل دعوته أو تقيم على عقيدتها دون أن يفرض عليها شيئاً ، وحين جاء فتح لها أبواب الحرية ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وأعلن «أن الناس لآدم وآدم من تراب ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» وحرر المرأة ورد لها حقها فى مالها ونفسها وأضاء البشرية ألف عام كاملة، وهو حين دعاها إلى حرية الفكر فتح لها أبواب العلم والبرهان العلمى﴿ قل هاتوا برهانكم﴾ وأنشأ لها من مصدر القرآن المنهج التجريبى الذى أقام الحضارة والعلم خالصاً لولا أن انحرفت به أوربا إلى أهواء النفس والتراجع بالإنسانية إلى عبودية الرومان واليونان (روما سادة وما حولها عبيد) وحين أحيا الغرب الوثنية ممثلة فى (علم الأصنام) وغلف ذلك كله بأغلفة خادعة ولكنه اضطر على مر السنوات أن يَعْلَم أن ما أخذه من الإسلام وحجبه وأقام وراءه (مؤامرة الصمت) لم يكن ليخدع أحداً، واضطر فى الآونة الأخيرة أن يعترف بفضل الإسلام، وما يزال العلماء المنصفون يعلنون هذه الحقائق .

ولعل آخرها ما اعترف به علماء الوراثة من سبق علماء المسلمين

لنظريــة (مالتوس) وسبق علماء المسلمين لكشف الدورة الدموية (ابن النفيس) وكـشف الأطبـاء عن دورة الجنين فى بطن الأم مما اسـمـاه القـرآن (الظلمـات الثلاث) .

وما يجريه اليوم علماء الغرب من الكشف عن نظرية الربا وأثرها الخطير على المجتمع المعاصر وحضارة الغرب وما سببه التعامل بالربا من اضطراب وكساد - أعطى الإسلام كثيراً ، وثبت وجوده الخالد ؛ لأنه أصلح البشرية وكشف عنها فساد الوثنية والإباحية .

فالكلام عن مستقبل الإسلام لا يحتاج إلى تأكيد ، فقد مضى الزمن الذى كان يواجه وجوده ، ولكنه مازال فى حاجة إلى حشد أتباعه وأبنائه والمؤمنين به للدفاع عنه وحمايته من محاذير التبعية ومحاولة الاحتواء وخطر الاختراق ، فتلك هى أزمته القائمة التى تحتاج إلى عودة المسلمين إلى الوحدة الجامعة ونبذ التحلل الخلقى الذى يحاول أن يتفشى فى مجتمع المسلمين فى محاولة لتدميرهم .

إن غزوة التغريب والغزو الثقافى التى بدأت بعد هزيمة الحروب الصليبية التى فرضت وجودها على كيان المسلمين تحاول اليوم أن تجمع أطرافها فى محاولة أخيرة أشد ، وما تزال الصهيونية تواجه المسلمين بمحاولات الغزو وتجعل الدعوة إلى (وحدة الأديان) فى مقدمة المؤامرات ، ولكن هزيمتها محققة ، لقد ارتفعت الغشاوة عن عيون المسلمين الذين عرفوا (أبعاد المؤامرة) التى تراد بهم ، والتى تمثل فى كثير محاولات تقليص التاريخ الإسلامى واللغة العربية وتوسيع دائرة التحلل والاختلاط والفساد الخلقى ، كل هذا نقدمه بين يدى موضوعنا (مستقبل الإسلام فى ظل المتغيرات العالمية) .

وتجرى مقولات كثيرة عن محاولة الغرب فى وضع الإسلام بديلاً للشيوعية التى سقطت ، ولكن الأمر يختلف كثيراً فلم يكن الإسلام يوماً عدوانياً ولا ظالماً ، ولكنه كان عطاء الخير والضياء والنور للعالمين .

وسيثبت الإسلام فى مواقعه ولن يتراجع أو يتقهقر حتى يجمع قواه ويمتلك إرادته ويقيم مجتمعه الربانى ، ويستأنف حضارته التى تحمل السلام الاجتماعى والأمن النفسى للبشرية جميعاً ، لن ينهزم الإسلام فى وجه المتغيرات الدولية ، ولكنه سوف يقدم لها ضياء القرآن كما قدمه من قبل .

والسؤال هو : هل استطاع مشروع التغريب والغزو الثقافى الذى بدأه الغرب بعد الحروب الصليبية وأقامه خلال قرنين كاملين ، ثم جاءت بعده الحملة الفرنسية ـ هل استطاع أن يحقق الهدف الذى طمح إليه الغرب ـ وهو تحويل الإسلام إلى دين لاهوتى وتفريغه من منهج الحياة ونظام المجتمع ، أو فرض فكرة العلمانية المسمومة عليه للفصل بين الدين والدولة وإلغاء نظام المعاملات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وثبات أخلاقية المجتمع .

بالعكس : لقد تقدم المجتمع الإسلامى خطوة إلى الإمام فأضاف إلى دساتيره أن الشريعة الإسلامية هى مصدر القوانين ، كذلك فقد اتسع الفهم الصحيح للإسلام بوصفه منهجاً جامعاً ، وعرفت المرأة المسلمة حقيقة مهمتها ، ونشأت المصارف الإسلامية ، وتكاثرت الهيئات العاملة للخدمة العامة ببناء المساجد والمدارس والمستوصفات .

وعندما حاولت القوى التغريبية فرض مفاهيم على السكان وتحديد النسل تخالف الإسلام أعلن الإسلام موقفه الواضح الذى يقوم على أساس التوحيد الخالص وكشف عن أنه لا يمكن لأية قوة أن تغير القيم الثابتة للمجتمع الإسلامى أو ضوابطه الأصيلة وأعرافه الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وهكذا يتضح أن المجتمع الإسلامى قد أصبح يقظاً واعياً لكل محاولات التأثير

فيه بالرغم من قصور المناهج الدراسية عن استيعاب الثقافة الإسلامية .

ولقد قطع الإسلام مرحلة طويلة فى الدفاع عن الحق ورد الشبهات وكشف مؤامرات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى منذ الحملة الفرنسية والغزو الاستعمارى ومنذ حبس النفوذ الأجنبى الشريعة الإسلامية واستبدل بها القانون الوضعى ، فلم تتوقف القوى الشعبية عن كشف حقائق المنهج الإسلامى ، فضلاً عن الدور الذى قام به علماء القانون المسلمين من تقنين الشريعة الإسلامية وتلك خطوة بدأت من خلال حركة التنظيم ومن مؤتمرات القانون التى عقدت فى الغرب منذ ١٩٣٧ تقريباً ، وتوالت ، وكشف رجال القانون الغربيين عن عظمة الشريعة الإسلامية وتميزها عن القانون الرومانى ، وقدرتها على العطاء ، وحاجة المسلمين إليها لتخرجهم من أوضاعهم المتردية ، ولكن عاملين أساسين حجبا انطلاق هذه اليقظة هما :

سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ ، واحتلال إسرائيل لفلسطين ، فكانت قد فتحت أمام المسلمين جبهة أخرى من الخطر والتحدى احتاجت إلى وقت طويل للكشف عن مفهوم الجهاد فى الإسلام ومقاومة الغاصب واسترداد الأرض المغتصبة.

وقد كان للغزوة الصهيونية آثارها البعيدة فى تصحيح مفهوم الوطنية ومفهوم القومية والكشف عن حقيقة منهج الإسلام الجامع بين العبادة والمعاملات والأخلاق وارتباط الوطنية بالأرض مع القومية بالعروبة فى دائرة الإسلام أساساً .

وجرى فى هذا الاتجاه عمل كثير كان النصر فيه للإسلام والهزيمة لمفاهيم العلمانية والمادية ، وتكشف بوضوح أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع .

ولما جاءت نكسة ١٩٦٧ كشفت للمسلمين الحقيقة التى ظل البعض يخدعهم عنها ، حيث روج أن منهج الغرب هو القادر على تحريرهم وبناء مجتمعهم ، وكان سقوط القدس فى يد الصهونية علامة على ضرورة العمل من جديد لبناء المنهج الأصيل ، فكان لابد من الكشف عن زيف الدارونية والشيوعية

والوجودية ومنهج العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربى .

وكان لابد من كشف الخطة الخطيرة التى حاولت أن تتخذ من مفاهيم دارون وماركس وفرويد ودوركايم وسارتر معالم اجتماعية وثقافية ، وكان لابد من العودة إلى الأصالة وإلى المنابع ، وإقامة منهج الإسلام فى المعرفة الجامع بين الوحى والعلم معاً ، وهدم مفاهيم الفلسفات المادية التى كان يدعو إليها سلامة موسى ، وطه حسين ، وعلى عبد الرازق .

ومن المعروف أن الإسلام انتقل منذ نكسة ١٩٦٧ من مرحلة الدفاع والرد على شبهات المستشرقين والمبشرين إلى التأصيل وإقامة البدائل تحت عنوان عريض هو «أسلمة العلوم والمناهج والمعرفة والثقافة» .

وجرى مراجعة المصطلحات الوافدة وكشف حقائقها وتقديم بدائل إسلامية أصيلة ، وكذلك بدأ الكشف عن ضوابط أساسية لإحياء التراث الإسلامى والكشف عن أنه يختلف اختلافاً عميقاً عن التراث الغربى ؛ لأن التراث الإسلامى مرتبط بالميراث الإسلامى الأصيل (القرآن والسنة) .

وتحققت عدة عوامل تؤكد أصالة التراث الإسلامى ، منها ما كشف عنه بوكاى ومنهج العلم التجريبى والنظرية الإسلامية التى قامت عليها الحضارة المعاصرة قبل أن يحولها أصحابها إلى الاتجاه الوثنى والمادى وربطها بالفلسفة اليونانية التى هى (علم الأصنام) .

وكان الجهاد الإسلامى فى فلسطين والجزائر وأفغانستان والعاشر من رمضان علامات مضيئة أسهمت فى نشر مفهوم المرابطة فى الثغور .

وجاءت الظاهرة الثالثة فى كتابات علماء الغرب عن الإسلام ، سواء من آمن منهم وأسلم (ليوبولد ڤايس ، بوكاى ، جارودى ، جرمانوس ، اللورد هدلى) ومن لم يسلم (كارليل ، جوستاف لوبون ، سجريد هونكه) .

هذا فضلاً عما كشف عنه علماء الغرب من ملاحظات وأخطاء وزيف فى

المذاهب الغربية ؛ مما يتعارض مع الفطرة الإنسانية ويدخل فى دائرة التمويه وخدمة أهداف النفوذ الغربى والأديان المختلفة .

وكان من أكبر آثار هذا الفهم والتحول : سقوط الشيوعية فى السنوات الأخيرة، وهو الذى كشف عن فساد المنهج الغربى كله والفلسفة المادية عامة على النحو الذى كان معروفاً فى فساد الليبرالية ، وتطلع أهل الغرب إلى منهج يعطى النفس أماناً، ويعطى الروح سلاماً ، وقد رشح عشرات من العلماء الإسلام وحده لتحقيق هذه الغاية .

لقد سقط الفكر الماركسى ولكن أتباعه تحولوا إلى خدمة أهداف الماسونية والمادية .

وبعد فهذا هو المدخل لدراسة مستقبل الإسلام فى ظل المتغيرات العالمية ، ولعل أبرز عوامل هذا التحليل هو هذه الحقيقة : أن نجم الإسلام ما يزال يضىء، وهذه الحقيقة لابد لها من تفصيل مستفيض فى الحلقات التالية .

مستقبل نظام العالم سيكون دينياً
والنظام الإسلامى سيسود

خلف هذا الليل فجر ليت هذا الفجر لاح

أمنية كل مسلم أن يبزغ فجر الإسلام من جديد بعد أن طغى المجون على تسابيح السحر؛ فسنة الله فى كونه أنه لا يصح إلا الصحيح ، وأن يذهب الزبد جفاء ويبقى ما ينفع الناس ويمكث فى الأرض .

هكذا جاء فى تقرير من إحدى المؤسسات فى الغرب ، ونشرته مجلة (لودينا الفرنسية) عن مصير البشرية : دراسة مهمة فى مجال الفكر الاستراتيجى تحت عنوان «مستقبل نظام العالم سيكون دينياً والنظام الإسلامى سيعود» هكذا تنبأت الدراسة بحدوث تغييرات بطيئة ، ولكنها ثابتة فى الوقت نفسه فى هيكل النظام العالمى من خلال سلسلة من التحولات الصغيرة المستجدة تفقد على أثرها القوتان العظيمتان تأثيرهما فى تحريك العالم .

أكدت الدراسة أن مستقبل نظام الحكم سيكون دينياً وسيسود النظام الإسلامى العالم على الرغم من ضعفه الحالى لتميزه بالشمولية .

فسوف يتكامل قدّه ويتمكن من توهين قوة النظام العالمى الذى سيظل يحكم العالم خلال العشرين سنة القادمة ، حيث تظهر القوة العالمية الثالثة «قوة الإسلام» ، فالنظام الإسلامى سيسود ويسيطر لتميزه بشمولية هائلة يتمكن من خلالها من السيطرة ، لأنه يتعامل مع الشعوب بطريقة علمية ، وتؤكد الأبحاث ظاهرة تزايد عدد المسلمين وتناقص عدد أهل الغرب ، وأن هناك الآن خمس دول إسلامية يزيد عدد سكانها عن خمسين مليوناً :

أندونسيا ١٦٨ مليوناً

تليها نيجيريا وبنجلاديش

وفى كل منهما ١٠٥ مليون نسمة
وباكستان ١٠٤ مليون نسمة
وتركيا ٥٢ مليون نسمة
ومصر ٥٠ مليون نسمة

وقياساً على ذلك فإن عام ٢٠١٠ القادم سيشهد وصول نعداد السكان فى العالم الإسلامى إلى ٣ مليارات نسمة (أى ثلاثة آلاف مليون نسمة) وأن تعداد السكان سوف يستمر طوال الحقبة المقبلة ولمدة لا تقل عن خمسين عاماً (انتهى ما جاء فى تقرير مجلة لودنيا)

وتشير التقارير إلى أنه فى النصف الأخير من القرن العشرين يتضح زيادة انتشار الإسلام بنسبة ٢٣,٥ ٪ بينما تبلغ نسبة انتشار المسيحيين ٤٧ ٪ والبوذية ٦٣ ٪ والهندوكية ١١٧ ٪ ، وهناك احتمال زيادة أخرى ، فمن المتوقع أن يصير ثلث سكان فرنسا مسلمين فى بداية القرن الواحد والعشرين .

ويبلغ تعداد المسلمين فى أمريكا بين ١٥ ـــ ٢٠ مليون (الآن ٦ ملايين نسمة فى أمريكا الشمالية .

وفى تقرير الدكتور مزمل حسين الصديقى رئيس المؤتمر الدولى يكشف عن أن المسلمين خلال خمسين عاماً زادت نسبتهم ٢٠٠ ٪ يقول: إن المتتبع لحركة انتشار الإسلام فى شتى بقاع المعمورة وشدة رغبة الكثير من الناس فى هذا العالم فى البحث عن ملجأ روحى يلجئون إليه من أجل إرواء هذا الدافع الذى يفتقدونه بسبب انغماس العالم اليوم فى الماديات ، فمنهم الكثير من الرجال والنساء يدخلون الإسلام فى قناعة تامة دون إجبار ولا إكراه، فهم أنفسهم جاءوا طالبين السلامة فى ظل الإسلام ، وأن كل منصفى الغرب فى مختلف الديانات ينظرون إلى الإسلام على أنه منهج كامل للحياة يضمن السعادة للناس أجمعين وهكذا تدخل عالمية الإسلام مرحلة جديدة مطالع القرن الخامس عشر الهجرى قوامها تصحيح مسيرة الدعوة الإسلامية وتحريرها من الأشواك التى تعترض طريقها نتيجه

الجمود الذى أصابها من ناحية محاولات التشويه التى قامت بها قوى الاستشراق والتبشير على مدى أكثر من قرن من الزمان خلال سيطرة النفوذ الأجنبى ومحاولاته المستمرة فى احتواء عالم الإسلام وإخضاعه للفكر الوافد ، وقد جرى هذا العمل فى أربع قنوات متصلة :

الأولى : تصحيح مفهوم الإسلام بوصفه منهاجاً جامعاً يضم العقيدة والنظام ويقدم منظومة كاملة لمختلف جوانب الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

الثانية : تصحيح مفهوم الإسلام بوصفه ديناً عالمياً خاتماً جاء ختاماً للرسالات السماوية والبشرية كافة منذ ظهوره بنبوة محمد ﷺ الخاتمة إلى أن تقوم الساعة .

الثالثة : تصحيح إسلام المسلمين الجدد الداخلين فيه فى عالم الغرب وحمايتهم من خطر الاحتواء من مذاهب باطنية أو فلسفة صوفية أو غيرهما مما لا يتحقق معه تقديم الإسلام الصحيح الصافى .

ولاريب أن هذا المفهوم يكشف فساد دعاوى البهائية والقاديانية ومقولة مدعى النبوة أو القائلين بنبوة جديدة .

فقد قدم علماء المسلمين كل الدلائل والأسانيد التى تؤكد عموم الرسالة وختم النبوة ؛ حيث لم يستطيع أى متنبئ خلال أربعة عشر قرناً أن يقيم الدعوى المدعاة.

الرابعة : تصحيح مفهوم علاقة الإسلام بالأديان المنزلة من حيث إن جميعها يدعو إلى عبادة الله تبارك وتعالى والإيمان به والخروج من دائرة الوثنية والشرك والتعدد ، وإن ظلت هذه الأديان مرتبطة ببيئاتها وعصورها ؛ حتى إذا بلغت البشرية رشدها وجاء الإسلام مصدقاً لما بين يديه للناس كافة .

وقد أقر الإسلام أهل الأديان على عقائدهم ، وحفظ لهم وجودهم وحرية عباداتهم ، وجاء القرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، وقد قامت الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية من عصارة تراث الرسالات كلها

بحسبانها من عند الله تبارك وتعالى وموجهة إلى إصلاح النفس البشرية وهدايتها إلى الخير والحلال والرحمة والإخاء البشرى .

إن نقطة البدء الحقيقية هى حاجة الغرب إلى الإسلام بعد طغيان الفلسفة المادية وحاجة النفس الإنسانية إلى الأمن والسكينة التى لا يمكن أن يقدمها غير الإسلام من المنهاج والدعوات والأيدلوجيات .

لقد تأكد علماء ومؤرخون غربيون محايدون من قدرة الإسلام على العطاء فى هذا العصر وحل مشاكل كل البشرية بعد أن تعقدت أمور الأيدلوجيات وتطلعت النفوس المحبة للخير إلى الإسلام منقذاً .

الأوربى لا يرفض الإسلام إذا عرف حقيقته ، وإذا سنحت له فرصة النظر المجرد دون أن تكرهه سموم الاستشراق على التعصب لفكره القديم .

فالتوجيه الإسلامى أقرب إلى النفس البشرية من التثليث المسيحى ، وربما يصد عن الإسلام واقع المسلمين الذى لا علاقة له بالإسلام كمنهج أو طريقة أو الدعوة إليه من أناس متعصبين لآراء الفقهاء والعادات التى ألصقت بالدين أكثر مما يتعصبون لأصول الدين نفسه .

وفى أوربا قوى تحول بين الغرب وبين فهم الإسلام الصحيح خوفاً من نهوضه وانتشاره مرة أخرى .

إن هناك قوة فى الغرب تحول بين الغرب وبين فهم الإسلام وهى الكنيسة والصهيونية وخوف الغرب من نهوض الإسلام .

فإذا ذهبنا ندرس ظاهرة اتساع انتشار الإسلام فى الغرب لا تخطئنا الحقائق الآتية :

١ ـ أن الذين يدخلون الإسلام فى الغرب ليسوا عامة الناس ، ولكن من خاصتهم فهم على حظ كبير من الثقافة ، وفيهم مفكرون وعلماء وفلاسفة وأطباء وقسس ورهبان كانوا يدعون لدين آخر .

ثانياً : أن المسلمين الذين يبلغ عددهم أكثر من ألف مليون مسلم لا يخرج واحد منهم من الإسلام إلى غيره من الأديان .

ثالثاً : لم تهدأ الحرب ضد الإسلام منذ أن أنزلت أول آية فيه ، وقد هزم الروم والفرس ، ثم جاءت الحروب الصليبية ، وجاء التتار ليسجلوا هزائم أخرى .

رابعاً : لم تخرج أوربا من القرون الوسطى إلا بالفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ولم يجد الغربيون بدًا من أن يتقبلوا الكثير من مفاهيم الإسلام تحت أسماء أخرى ؛ لإصلاح مجتمعهم ، وبهذا يثبتون هم أنفسهم أن الإسلام حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن أمثله ذلك :

١ـ أباحوا الطلاق بعد أن عارضوه معارضة شديدة ، وكان الإسلام قد أباح الطلاق منذ أربعة عشر قرناً إذا تأكد فشل الحياة الزوجية وقاومه المتعصبون والمستشرقون واتهموا الإسلام بأنه يبيح للرجل أن يتلاعب بامراته عن طريق إعطائه الحق فى أنه يطلق زوجته متى شاء ، وتمر مئات السنين ، فإذا أشد الدول الأوربية تمسكاً بالكاثوليكية وهى إيطاليا وأسبانيا تبيح الطلاق الذى أباحه الإسلام وتثبت أن القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ : محاربة الخمور : وقد قاوم الإسلام هذا الخطر ، وقرر تحريم الخمور رحمة بالإنسان ، وليس تضييقاً عليه ، فلما ثبت اليوم أن أكثر من ٥٠ ٪ من حوادث الطرق بسبب الخمور وعوامل أخرى تسببت فى انهيار المجتمعات بدأ الغرب يفكر فى محاربة الخمور .

وقالت أبحاث الأطباء : إن إدمان الخمور له تأثير تدميرى شامل خاصة على الكبد ، وتشكو الدول الأوربية من الخمور وأضرارها ، وقد تضاعف عدد مدمنى الخمور فى السنوات الأخيرة ، تقول [إليزابيث رونتى وفاطمة الشرقاوى فى كتاب ظهر فى فرنسا تحت عنوان «من دين لآخر اعتناق الإسلام فى الغرب»] :

ما برح الإسلام يلاقى صدى طيباً فى نفوس الغربيين ، فيدخلون فيه عن

طواعية عندما أفلست كل النظريات فى إسعادهم ، ولم تعد أديانهم قادرة على إطفاء ظمئهم الروحى ، وقد فقدت المسيحية الكثير ولم تبق كما هى ، وعجزت عن فهم الحياة التأملية التى هى عندهم أهم شيء .

إن إضاعة الجانب التأملى هو الذى أودى بالكنيسة الإنجليزية ، وهو مكمن فشل المسيحية ، وعثر على هذه الحياة فى التصوف الإسلامى ، حيث يوجد الحنان والحب ، فضلاً عن أن كثيراً من مقولات المسيحية قد افتقدت القداسة ، وفى مقدمة ذلك الخطيئة الأولى وألوهية المسيح والطلاسم التى لا فك لرموزها ، كما فقدت الكنيسة هيبتها وباعت شرفها حتى وصل الأمر إلى تأجير كنائس فى انجلترا للشاذين جنسياً وعلى عكس ذلك لم يتغير الإسلام أبداً ، من هنا كانت قوته الراسخة، ولقد كان القرآن هو آخر وحى ، ومحمد ﷺ هو آخر الرسل ، والقيمة التجميعية للإسلام تجعل الفرد مرتبطاً بمجموعة عالية ، فضلاً عن أنه منهج ونمط حياة ، وليس إيماناً فقط .

وتتحدث «الصنداى تلغراف البريطانية الأسبوعية» فى عدد غرة رجب ١٤٠٤ عن ظاهرة إقبال سكان أوربا على الدخول فى دين الإسلام وجوهر القرآن ، وما هو الدور الذى يقوم به المسلمون فى سعادة القرية والأخذ بيدها إلى مدارج الرقى الروحى والمادى والمعنوى .

فى بريطانيا (كان المسلمون ٤٠٠١ ألف عام ١٩٧٢) فزاد عددهم نفس الزيادة قد حدثت فى فرنسا وفى ألمانيا الغربية ، حيث وصل عدد المسلمين فى البلدين (٤ ملايين وخمسمائة ألف) بعد أن كانوا من عشر سنوات مليونين، حيث قال فى برنامج (ساعة الحقيقة) : إن الخطر القاتل المتمثل فى الانفجار السكانى للعالم الإسلامى العربى يوشك أن يغزو فرنسا ويحتل أراضيها.

وتقول الصحيفة : إن انتشار الإسلام فى نطاق واسع مع إشراقة القرن الخامس عشر الهجرى واتساع دائرة المد الإسلامى ليس لها سبب مباشر إلا أن سكان العالم غير المسلمين قد بدءوا يتطلعون إلى معرفة الإسلام والقراءة عنه .

الشعوب غير المسلمة بدأت تدرك أن الإسلام هو الدين الوحيد الجدير بالوراثة والتصحيح لكل الأديان والأيدلوچيات :

ومن هنا بدأت تلك الشعوب تدرك كل الإدراك أن الإسلام هو الدين الرسمى الذى يمكن أن يتبع ، وأنه الدين الوحيد الصالح لحل كل المشاكل البشرية القادرة على إنارة طريق المستقبل أمام الشعوب البشرية ، وأنه الدين القوى الذى قاوم كل المحاولات التى حاولت أن تحد من انطلاقة الفكرى عبر القرون الماضية .

ألم يصل إلى أوربا الشرقية حتى أبواب فينا حتى عاصمة فرنسا ؟

ألم يصل المد الإسلامى إلى الأندلس ثم عبر فرنسا إلى بلدة (مسانس) على بعد ١٣ كيلو من جنوب باريس عاصمة فرنسا الحالية .

ألم يصل الإسلام إلى سويسرا وجنوب ألمانيا ويسيطر على ما بين إيطاليا وفرنسا وألمانيا والنمسا ؟.

إن شعوب القارة الأوربية التى طحنتها الصرعات المذهبية والفكرية والنظريات الأيدلوچية والأساليب العنصرية أصبحت فى أمس الحاجة إلى من يقدم لها القرآن الكريم ، فمختلف بلاد العالم تشهد اليوم تفهماً لتعاليم الإسلام ومفاهيمه من أرض اليابان وكمبوديا وكوريا والفيلبين .

إن قوة القرآن الكريم قادرة على أن تقهر كل العقبات عبر المسيرة الإسلامية، وفى تقرير عن الإسلام فى بريطانيا يقول :

بينما إنجلترا تترنح فى ظروفها نحو السقوط ، وكما تقول «ديلى ميل» فإن الإسلام يدّعى أن لديه خير طريق للحياة لا إسراف فى الترف ولا معاقرة ولا مخدرات ولا فناً إباحياً ولا أدباً داعراً .

إن بريطانيا اليوم تواجه مفترق طرق هو أشد خطراً علينا من الحربين العالميتين قبل جيل من الزمان ، ثم الفوز فى معركة بريطانيا فى سماء إنجلترا.

الإسلام يخاطب العقل ويشبع العاطفة ويناسب الفطرة الإسلامية ، هذا المقال

شهادة من أهل الغرب أنفسهم على اكتساح الإسلام لأوربا رغم أنف الكنيسة العالمية التى لم تدع وسيلة من والوسائل إلا استعملتها للقضاء على المد الإسلامى الذى يخاطب العقل قبل العاطفة ويناسب الفطرة البشرية ويأتى الآن ليقنع الوثنيين الذين أصحبوا فى حيرة من أمرهم أمام طغيان المادة فى حياتهم .

إن الإسلام هو الحل الأنسب لجميع المشكلات المعاصرة ، وقد اعتنق الإسلام من مشاهير الغرب : رجاء جارودى ، يوسف إسلام ، موريس بوكاى ، كويستر البحار ، فاتش مونتى ، بترانو ميشان ، ميشيل كود كنونير عالم دراسات الضوء ؛ مما أثار قلق الكنيسة والصهيونية العالمية على مستقبل سيطرتها على الغرب ، لقد أصبحت الكنيسة العالمية فى حيرة قاتلة على مستقبل سيطرتها على الغرب .

لقد أصبحت الكنيسة العالمية فى حيرة قاتلة على مستقبلها بعد أن بدأ الإسلام يزاحم النصرانية فى عقر دارها ، تقول «مجلة تايم الأمريكية» : إن سماء الإسلام تشرق من جديد ، ولكن هذه المرة تعكس حقائق الجغرافيا ، فإنها تشرق من الغرب، من أوربا ، تلك القارة العجوز .

لقد بدأت المآذن والقباب ترتفع لتزاحم أبراج الكنائس فى باريس ولندن وروما وبرلين الغربية ، حيث تعج المساجد بالمصلين الذين يتوجهون فى صلاتهم إلى مكة المكرمة ، وصوت الأذان مع كل صلاة يقف شاهداً على أن الإسلام يكسب كل يوم أرضاً جديدة وأتباعاً جدداً وجدوا فيه الطريق ، وكل ذلك يؤكد أن الإسلام جاء إلى أوربا ليبقى ويستمر ويطيب له المقام ، فإن أكثر من سبعة ملايين مسلم فى أوربا اليوم ، وحيث تضم فرنسا ألف مسجد وزاوية » .

ورغم أن مسلمى أوربا وفدوا من بقاع مختلفة من الهند وباكستان وتركيا والجزائر والمغرب وتونس ومصر فإنهم يشعرون جميعاً أن هناك رباطاً وثيقاً يوحدهم ، ومعظمهم من أتباع المذهب السنى .

١ ـ وجملة القول : **إن ظاهرة إسلام الأوربيين ترجع أساساً إلى إفلاس الحضارة الغربية من القيم والإغراق فى القيم المادية** حتى الإدمان، فعندما عرفوا الإسلام وجدوا فيه ضالتهم ؛ حيث انعتاق الروح ، كما قال حامد خليفة إمام مسجد لندن .

٢ ـ إن هذا الدين هو دين الله تبارك وتعالى ، وصدق رسول الله ﷺ :«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين يعز عزيزاً ويذل ذليلاً » .

٣ ـ تؤكد قوانين الحضارات والأمم أن الحضارة التى تخرج عن طاعة الله لابد أن تسقط ، وها هى الحضارة الغربية تتهاوى وتسقط بشهادة علمائها ومفكريها كما سقطت الحضارة الرومانية وغيرها .

ويتحدث بعض العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية فى الغرب : أنه بالرغم من المناخ الذى أفرزته الحروب الصليبية والجهود المستميتة لتشويه صورة الإسلام فإن المراكز الإسلامية تستقبل يومياً كثيراً من الذين يعلنون إسلامهم من مستويات وأعمار مختلفة ، وأن القضية الإسلامية أصبحت تتحرك بأبعاد عالمية ، فهى أكبر من أن تكون محصورة فى جماعة أو جيش أو قوم أو لون .

فمن الخطأ ربط الإسلام بجنس أو قوم أو جماعة ، فالإسلام أصبح موجوداً ومطروحاً فى كل مكان ، وعلى كل لسان ، على الرغم من الجهود التى يبذلها أعداؤه للحيلولة دون انتشاره ، ومما يذكر أن أوربا فى استعمارها الحديث للعالم الإسلامى ومن قبل بالحروب الصليبية حاولت عسكرياً كسر شوكة الإسلام فى منبته ، وحاولت إقامة الحواجز والسدود فى وجهة ، حتى لا يصل إليها بدافع الأحقاد التاريخية والصليبية ، لكنها عجزت فكرياً ، وإن انتصرت عسكرياً .

حيث لم يبق لأوربا إلا ما أورثه هذا الحقد من الاستعمار وصور التمزق والتجزئة التى تمت ممارستها فى عالم المسلمين .

فإذا انتقلنا نحو الشاطئ الآخر وجدنا التيار الإسلامى يتسع داخل روسيا ويقلق

الروس ، وفى آسيا الوسطى .

وفى آخر الإحصائيات ازداد عدد المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية بصورة كبيرة ، مما شكل قلقاً بالنسبة للحكومة الروسية .

أما فى الولايات المتحدة فإن شمس الله تشرق على أمريكا ، فما يمر يوم دون مسلم جديد ، ويقول المهندس نور الدين دروكى رئيس منطقة الإسلام بولاية نيو مكسيكو بالولايات المتحدة :

استقبلنا فى السنوات الخمسة الماضية مئات من الأمريكيين الذين جذبتهم أخلاق المسلمين كما صورتها لهم وسائل الإعلام ، وكانت الفرصة متاحة لمعايشة هؤلاء الناس والبيئة وطريق الحياة الإسلامية .

ويجدون فى كل لقاء احترام الضيف والمعاملة الطيبة والأخلاق الحسنة وبشاشة الوجه ، فما كان منهم إلا أن ينطقوا بالشهادتين ويشهروا إسلامهم ، وتؤكد توسع ظاهرة المعتنقين للإسلام فى الغرب على وجود ظمأ وجوع شديدين للروحانية وتطلعات لهذا الأمر الذى يجدونه فى الإسلام .

ونجد أن القضاء على النسل بين المسلمين من الأهداف السياسية للشيوعيين المطرد للصحوة الإسلامية يدفع إلى محاولات كثيرة ويكتسى بطابع خوف وريبة وقدر ملموس من الاستنكار والضيق ، فهم يتخوفون من ضخامة قوة التناسل لدى أسر الجاليات الإسلامية .

وفى السنوات الأخيرة أسلمت خمسين ألف امرأة بعد زواجهن برجال مسلمين. وتحظى عملية تنشئة أبناء الجاليات الإسلامية وبناتهم التنشئة الإسلامية باهتمام كبير ؛ حيث إن المحافظة على أبناء المسلمين الجدد من خطر الإذابة فى المحيط الغربى هو أخطر ما يتعرضون له .

وحيث يواجه المسلمون تحدياً خطيراً يواجههم هو محاولة تذويب المسلمين فى المحيط الغربى وتذويب الذاتية الإسلامية فى فلسطين المحتلة والهند وأفريقيا وأندونسيا

. ويجرى ذلك من خلال :

١ ـ حملهم على مناهج الغير وحرمانهم من المناهج الإسلامية .

٢ ـ تدمير معالم حضارتهم ومساجدهم وإحياء الحضارات القديمة فى مناطقهم.

وتعد المؤامرة على تناسل المسلمين والحد منه من المخططات الكبيرة التى تكثر الآن فى أغلب المناطق ، والمؤامرة مرسومة بعناية شديدة من خلال تأخير زواج المسلمين ، وإطالة فترة التعليم ، وعدم تمكين الشباب من الزواج المبكر ، وقلة الموارد وارتفاع المهور ؛ مما يجعل مجموعة كبرى من الشباب فى سن الزواج غير قادرين على إنفاذه، ومن ثم يلجئون إلى الوسائل الأخرى الشاذة وتنتشر عوامل إغراء كثيرة محبطة ، سواء فى أجهزة التسلية أو الترفيه ، أم الاختلاط فى المدارس والجامعات ، مما يدفع إلى وجود إغراءات على اللقاء المحرم ، وما يتبعه من أحداث تفقد فيها فتيات كثيرة عفافها وبكارتها ، بل إن الأقراص والعقاقير قد فتحت الباب واسعاً أمام جريمة الزنا دون خوف من نتائجها مع استعمال حبوب منع الحمل ، وذلك بالإضافة إلى عمليات الإجهاض .

هذه الصورة رسمها النفوذ الأجنبى ؛ ليقلل من نسل المسلمين ، وليؤخر عمليات الزواج ، ويحول دون إيجاد الموارد والأوضاع الصالحة للزواج المبكر .

وهكذا يمر الإسلام بمرحلة من أخطر المراحل فى تاريخه الطويل ، وهو يحارب اليوم من منظمات عالمية تستهدف النيل منه ، كما أنه يحارب من بعض أبنائه المنحازين إلى أعدائه » أ . هـ .

المشروع الحضارى الإسلامى

لم يعد هناك مفر من أن يتقدم كُتّاب ومفكرو الأمة الإسلامية بتصوراتهم للمشروع الحضارى الإسلامى الذى أصبح ضرورة ملحة بعد أن مر المسلمون والعرب خلال السنوات الأخيرة بهذه التحديات الخطيرة التى واجهتهم والأخطار التى حاصرتهم ؛ مما يتطلب وضع تصور أصيل مستمد من مفهوم الإسلام الجامع؛ ليكون نبراساً للخطوات المتصلة على طريق الأصالة والعودة إلى المنابع وإقامة معاصرة فى دائرة الأصالة تكون دعامتها « البناء على الأساس » وليكون هذا المشروع الحضارى الإسلامى بديلاً للمشروع الحضارى الوافد الذى حاول السيطرة على مقدرات المسلمين والعرب خلال قرن ونصف قرن من الزمان ، بعد أن ثبت عجزه عن العطاء وفشله فى تحقيق الأمن النفسى والمجتمع الربانى .

ولقد أقام الإسلام منهجه الأصيل على أساس وحدة الفكر الجامع التى توسع دائرة الالتقاء والتعارف وتضيق دائرة الخلافات ، حتى تصل الإنسانية إلى عصر التراحم والوفاء من خلال المنهج الربانى الذى رسمه الحق تبارك وتعالى بديلاً للمنهج البشرى القائم على الصراع والقتال وإثارة الأحقاد والخصومات والمطامع على النحو الذى تراه اليوم ، والذى يتطلع دعاته إلى شق القوى المجتمعة وتدمير الروابط وتحويل الكيان الإسلامى الكبير إلى كيانات وكانتونات متصارعة ؛ وذلك بإيقاظ الخلاقات المذهبية والتفرقة العرقية .

والواقع أنه لا سبيل لأى مشروع حضارى علمانى أو قومى ، أو بشرى ، أن يمكن لقيام الأمة القادرة على حمل رسالة الحق تبارك وتعالى للعالمين إلا إذا استمد مفاهيمه من الأصل الأصيل الخالد ؛ النص الموثق الذى **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾** والذى جمع مختلف القيم الربانية العليا التى وهبها للبشرية « القرآن الكريم ، والسنة الشريفة » .

ومن هنا فلابد أن يكون المنطلق الحقيقى من القرآن والسنة على النحو الذى بدأت به النهضة الأولى ، إيمانا بأن القرآن هو كتاب البشرية الخالد الصالح لكل زمان ومكان والذى هو الينبوع الذى تنطلق منه المناهج والخبرات التى تمكن المسلمين خاصة والبشرية عامة من جنى الثمار من خلال مخاطبة العقل والقلب والوجدان .

ومن هذا المنطق يمكن تأصيل كل المنظمات القائمة وردها إلى منابعها : منظمة الانتماء ، ومنظمة المجتمع ، ومنظمة التعامل الخارجى مع الغير ، وتكامل المجتمع الداخلى ، وتصحيح مسار الاقتصاد ورفض النظام الربوى ، ووضع المرأة فى مكانها الطبيعى عماداً للأسرة والمجتمع ، وبناء التعليم على أسس التربية الإسلامية ، وتوجيه أدوات الترفيه والتسلية نحو الوجهة السليمة التى تحقق هدف الترويح دون الدخول فى دائرة الانحراف والتبذل ، ومع حماية الوجود الاجتماعى كله من الانحراف الأخلاقى ومن الفساد والفحشاء والإثم كله .

ولما كان الإسلام يمتلك قوة رائعة لا يمتلكها أى منهج بشرى أو أيديولوچية أخرى ، تلك هى الوسطية : وسطية التوازن والتكامل والمواءمة بين القيم بحيث لا يوجد من خلال ذلك أى صراع طبقى وخصومة بين الأجيال أو تضارب ، بين الآباء والأبناء .

هذا التكامل الجامع فى الإسلام إنما يمثل ظاهرة حية نابضة بالقوة تمثل تكامل الفكر والوجدان ، وتكامل العقل والروح وتكامل الأصالة والمعاصرة، وتكامل النظرة والتطبيق ، وتكامل الثوابت والمتغيرات .

هذا التكامل يفرض مسئولية خطيرة على الفكر الإسلامى ، وهى أن يقف موقف المراجعة الواسعة للفكر المادى الغربى والفكر الروحى الشرقى باعتبار أن كلاً منهما يمثل « انشطارية » لا تحقق سلامة النظرة ؛ حيث تقف النظريات موقف التجربة بينما يتميز الإسلام ـ والإسلام وحده ـ على جميع النظريات

والأيديولوجيات والمذاهب فى الشرق والغرب وفى القديم والجديد بكمالية النظرة والتوجيه .

ويجب أن يكون واضحاً أمام الأمة الإسلامية أن التجربة الغربية بشطريها قد انتهت إلى فشل ، وأن المسلمين لا يأخذون خطط الآخرين ، ولكنهم يستفيدون من الأنظمة والوسائل فيصهرونها فى بوتقة فكرهم ويحولونها إلى مواد خام ينتفعون بها دون أن تحاصرهم أوينصهروا فيها .

إن المشروع الحضارى الإسلامى يقوم على أساس الوحدة الثقافية بين كل العناصر التى تستظل بلواء الأمة الإسلامية انطلاقاً من رسالات السماء التى جاء الإسلام خاتماً لها ، فأسس ثقافته وقيمه ومعالمه التى هى بالنسبة للمسلمين دين وعقيدة وبالنسبة لغير المسلمين ثقافة وفكر ؛ لأنها تقوم على أساس التوحيد والإخاء الإنسانى والالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية .

ذلك أن رسالة الإسلام منذ جاءت فقد صهرت كل قيم الأديان وأخلاقياتها فى منظور جامع واحد ، قوامه اللغة العربية ، وقد جمع القرآن الكريم أصول رسالات السماء كلها من صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى .

والواقع أن عوامل الوحدة موجودة وقائمة .

وتمثل الثقافة الإسلامية الآن ثقافة المنطقة العربية والإسلامية كلها ، فقد جاء الإسلام لإقامة وحدة جامعة ، قوامها تكريم العناصر غير الإسلامية ، وإعطاؤها حريتها الدينية وإشراكها فى مجريات النهضة والحضارة والعلم كما حدث فى العصور الأولى والعمل على رفض ومقاومة مؤتمرات الغزو الفكرى التى تهدف إلى إثارة الفتن والوقيعة والصراع بين عناصر المجتمع المتكامل ، وقد كانت الشريعة الإسلامية عنصراً حامياً ومؤكداً لحقوق العناصر المحتكة بها التى صهرها المجتمع الكبير فى بوتقته .

إن النظام الإسلامى هو المنطلق الحقيقى لبناء المشروع الحضارى الإسلامى

بقاعدته العريضة من خلال فروعه الثلاثة :

١ ـ الشورى .

٢ ـ العدل الاجتماعى .

٣ ـ الحدود والضوابط .

وهذه القيم الأساسية هى وحدها التى تمكن المجتمع الإسلامى من التماثل المفضى إلى الوحدة الإسلامية الجامعة ؛ حيث تتسع دائرة التشابه بمفهوم «التعارف الإسلامى» بحيث تلتقى كل العناصر والأقطار والقوميات والنحل ، حيث تصور الوطن الإسلامى وحدة كاملة فى مجال الاقتصاد والثروة والقوى العاملة والأرض الزراعية ومعطيات الركازة ، مما تكشف عنه الأرض كالبترول والمنجنيز والكوبلت .

وليس هناك طريق آخر لبناء المشروع الحضارى الإسلامى غير إقامة هذا التصور السياسى والاقتصادى على أساس منهج الإسلام نفسه ، وليس على واقع المجتمعات القائم الآن والذى تشكل خلال السنوات الأخيرة من خيوط وافدة مغايرة لمعدنه الأصيل ومنهجه الصحيح ، حيث توضع قضية الديمقراطية بديلاً عن تطبيق الشريعة واعتمادها « أى الديمقراطية » مرتكزًا أساسيًا للمشروع الحضارى الإسلامى ، ذلك ان الديمقراطية الغربية لم تستطع ان تحقق الشورى فى مجتمعها الذى جاءت منه، فبالأولى أنها لا تستطيع أن تكون قاعدة نظام يعتمد على المنهج الربانى ، ونحن نعرف الديمقراطية منذ جاءت من الغرب وكيف عجزت عن تحقيق أى عدل اجتماعى أو شورى حقيقية ، وأن ما نحتاجه منها هو « الحرية » وهى موجودة لدينا فى النظام الإسلامى على نحو يعرف « بالحرية المنضبطة » وهى لن تكون إلا مدخلاً لتحقيق التصور الإسلامى ، أما ما يقال من أن تطبيق الشريعة « يتم فى نهاية المطاف إذا قدر له » فذلك ليس ما ينطلق من أهواء الذين يرمون إلى قيام مشروع حضارى إسلامى مغلوط ترضى عنه القوى الغربية ذات السلطات

والتي ترغب في حجبها كالخلافة والشريعة الإسلامية والحكم وتحريم الربا ، ثم تضع كلمات أخرى زئبقية؛ بحيث لا يبقى من الفكرة الإسلامية الأصيلة إلا تثبيت العلمانية الموجودة الآن والقائمة فعلاً بغلاف براق ، والحقيقة أنه لا عدل اجتماعي ولا حرية « حرية منضبطة » ولا شورى ملزمة إلا من خلال المنهج الإسلامي .

والحقيقة أن المسلمين ـ عرباً وفرساً وتركاً وهنوداً ـ تجمعهم مظلة « لا إله إلا الله » يلتقون على مساحة واسعة من التكامل النفسي والاجتماعي ، ولا يلتقون إلا في مساحة قليلة من عوامل البيئة أو ظروف العصر ، فالربانية هي القاعدة الأساسية لقيام المشروع الحضاري الإسلامي التي تجعل الوجهة خالصة لله تبارك وتعالى تتحرك في دائرة ما أحله ، وتبعد عن دائرة ما حرمه .

فإذا أردنا أن نتصور المنظومة الإسلامية وجدناها تتمثل في الوسطية الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب ، والمنهج والتطبيق ، والوحي والنقل ، تقيم الشورى منطلقاً للحكم ، وتقيم الزكاة منطلقاً لحماية المجتمع ، وترسم الاقتصاد وفق حماية الأمة، تأخذ من غنيها لتعطي فقيرها ، وتقيم حياتها كلها على أساس الأخلاق : الأخلاق التي هي وعاء المجتمع والحضارة والفرد أيضاً، والتي تبني الفرد المسلم أساساً على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي ، وتجعله منطلقاً لبناء الأسرة المسلمة ، فالجماعة المسلمة ، والحكومة المسلمة ، رعاية كاملة لكل عناصر المجتمع وحماية يقظة لا تغفل للحدود والثغور على إسلام مفهوم الجهاد الإسلامي: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُون بِه عَدُوَّ اللَّه وعَدُوَّكُمْ ﴾ «الأنفال : ٦٠ » وهي ما يسمى في العصر الحديث « القدرة على الردع » وحماية أسرار الأمة وكيانها ﴿ ... لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُم ... ﴾ « آل عمران: ١١٨» .

ويجب أن يكون واضحاً أن الشورى الإسلامية ليست هي الديمقراطية، وأن

العدل الاجتماعى ليس هو الاشتراكية كما يحاول البعض التمويه على الشباب المسلم، ولنكن واعين تماماً إلى حقيقة أساسية وهى أن الفكر الغربى قد أثبت منذ سنوات عديدة ومنذ عرفته البلاد العربية والإسلامية عجزه تماماً عن العطاء حتى فى دائرة بلاده ؛ حيث يطالب الناس بنظام اقتصادى جديد ، كذلك كان الأمر بالنسبة للنظام الماركسى الاشتراكى .

وقد أكدت الأحداث هذه الحقائق حين أُعْلِنَ فى السنوات الأخيرة فشل الفكر الماركسى فى بلاده بعد سبعين سنة من التطبيق؛ حيث انهارت القواعد الماركسية الليبرالية، وسقطت تماثيل ماركس ولينين وستالين فى مختلف عواصم الغرب » .

وكذلك كشفت الأحداث الأخيرة عن عجز الفكر الوافد كله سواء القومى أو الاشتراكى عن العطاء ، وانهارت هذه الدعوات ، وإذا كان الفكر اليسارى قد عجز عن العطاء فمن باب أولى أن يعجز التيار اليسارى المسمى بالماركسى والتيار الإسلامى القائم على مفهوم الاستعلاء بالمفاهيم العقلانية المستمدة من المعتزلة والتى لا تقدم الإسلام مفهوماً جامعاً متكاملاً بين الوحى والعقل .

أما الحملة على الخلافة فهى لا تحجب دعوة الوحدة الإسلامية الجامعة التى يمكن أن تتشكل فى أية صورة من صور العصر، وقد قدمها بعض فقهاء القانون وغيرهم فى صورة كومنولث إسلامى أو جامعة إسلامية، فإذا أضفنا إلى هذا قيم التعددية الحزبية والشورى الملزمة والعلاقات السمحة مع غير المسلمين وترابط العروبة والإسلام تشكلت أمامنا صوة واضحة لملامح وخيوط المشروع الحضارى الإسلامى الذى يتطلب العمل من الآن على :

أولاً : أسلمة المناهج والعلوم والمعرفة وتقديم البدائل الأصلية مكان المفاهيم الوافدة فى مختلف المجالات .

ثانياً : بناء قاعدة صلبة للتربية الإسلامية الخالصة التى تحتفظ بعناصر الأمة

وقدرتها على الإيمان بحق الله تبارك وتعالى على المسلم فى دائرة الاستخلاف والعمران والسعى والتحرر من الضعف والرخاوة والترف الوهمى وكل علامات الهزيمة التى تبثها أدوات الترفيه .

ولابد أن تخرج الأمة الإسلامية من طابع الضعف وتدخل مرحلة الصمود والعزيمة؛ وذلك حتى تستطيع أن تحقق وجودها الحقيقى وتقيم مجتمعها الأصيل الذى يحمل طابع ذاتيتها الخالصة المتحرر من التبعية، وذلك حتى تستطيع تقديم الإسلام من جديد للبشرية كلها لتحررها من عوامل القلق الهائل الذى أصاب النفوس؛ والأرواح نتيجة عبادة المادة وتزلزل قيم الأخلاق، وهذا إجمال له تفصيل .

إن سقوط المشروع الحضارى الغربى هو حقيقة تاريخية لا سبيل إلى إنكارها، وهو المشروع الذى قُدِّمَ للعرب والمسلمين من أكثر من قرنين من الزمان ، أو بالأحرى فُرِض على العرب والمسلمين واتضح بالتجربة فشله وعجزه عن العطاء خلال التجربة الليبرالية (التى فرضت وجودها على بلاد الإسلام منذ الحملة الفرنسية ومن بعدها التجربة الصهيونية والماركسية التى انطلقت بعد الحرب العالمية الثانية فى عدد من البلاد الإسلامية) فى مقدمتها (أندونيسيا ومصر والسودان وغانا وسوريا والعراق واليمن) وقد انتهى هذا المشروع الماركسى بالفشل والهزيمة .

وقد كان المشروع الغربى مقدمة لحجب الشريعة الإسلامية عن المجتمعات العربية والإسلامية التى وقعت تحت نفوذ الاحتلال البريطانى والفرنسى والهولندى (أرخبيل الملايو . الهند . البلاد العربية . المغرب) والذى عمل على إسقاط الخلافة الإسلامية وتمزيق الدولة العثمانية ؛ لإقامة رأس جسر فى فلسطين للصهيونية العالمية الزاحفة بمفهوم من النيل إلى الفرات وإقامة هيكل سليمان بديلاً عن المسجد الأقصى .

وكانت المرحلة التالية هى زحف الماركسية عن طريق التصور المغلوط الذى

وقع فيه زعماء العرب والمسلمين من اتخاذ النظام الشيوعى قوة يستندون عليها فى مقاومة الاستعمار الغربى؛ مما أدى إلى سقوط هذه الأقطار فى قبضة النفوذ الشيوعى والماركسى، هذا السقوط الذى لم يحقق التحرير من نفوذ الاستعمار الغربى إلا بالوقوع فى نفوذ أشد منه خطراً .

ثم كانت العودة بالتالى أشد تمزقًا وانهياراً عندما عادت بعض الدول التى وقعت فى أسر الماركسية مرة أخرى إلى النفوذ الغربى (مصر والسودان وأندونيسيا) .

لقد خضع المسلمون لمشروع النهضة الغربى بالقوة التى فرضت عليهم من السيطرة الاستعمارية الغربية (فى مجالات السياسية والاقتصاد والاجتماع) ولم يأخذوا هذا المشروع بإرادتهم الذاتية، ولكنهم ما إن طبقوه حتى تكشف عن ثغرات خطيرة فى المجتمع الإسلامى ومساوئ لا حد لها، يرتبط أغلبها بعلاقات المجتمع بين الرجل والمرأة ،وبين الأب والأبناء ، وبين الأزواج والزوجات ، وأصابت المعاملات التجارية والاجتماعية بشر كبير وتمزقات خطيرة، فقد كان أخطر ما جاء به المشروع الحضارى الغربى « حجب أخلاقيات التعامل الاجتماعى » التى فرضها المشروع الإسلامى، وهى الحدود والضوابط .

والواقع أن مشروع النهضة الوافدة الذى أعده كرومر ودنلوب وزويمر ونفذه لطفى السيد وطه حسين وسلامة موسى وعلى عبد الرازق لم يكن قائماً على أساس الحقيقة التى يجب أن يقوم عليها مشروع نهضة أية أمة، وهى القيم الثلاث : العقيدة واللغة والتاريخ .

ومن هنا فإن كل ما حدث للمجتمع الإسلامى من تأخر وانحراف وانحلال وما يتهم به من قصور وما تحقق له من عجز عن إقامة مجتمع أصيل قادر على الاندفاع على طريق التقدم هو صحيح، فقد حرص هؤلاء (الرواد) ـ والرائد لا يكذب أهله إذا كان مؤمناً بالله تبارك وتعالى ـ حرصوا على أن يعزلوا الأمة عن مجرى حياتها وعن القواعد التى بناها الإسلام لها منذ أربعة عشر قرناً تحت أسماء جديدة قائمة على الإقليمية الضيقة ، كالأدب المصرى والتاريخ المصرى والتراث

المصرى ، وإعلاء شأن الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان والآشورية فى العراق ؛ وبذلك تمزقت الأمة وراء تواريخ حزبية قاصرة ، بينما كانت الأمة تصدر عن تكامل جامع بوصفها الأمة الإسلامية التى تتوازن عناصرها وتتلاقى .

وكان واضحاً أن أصحاب مشروع النهضة قد عملوا أساساً على تمزيق وحدة هذه الأمة تحت أسماء الأقاليم والقوميات ورأوا فى القضاء على الجامعة الإسلامية ، منطلقاً حقيقياً لتمزيق كل القيم التى عرفتها هذه الأمة من خلال العقيدة أو اللغة أو التاريخ أو التراث .

لقد قامت بعد الحرب العالمية الأولى مؤامرة تمزيق الوحدة الإسلامية وتمزيق الدولة العثمانية وسقوط الخلافة، أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد قام رأس جسر فى قلب الأمة الإسلامية هو إسرائيل، كما طرحت فى أفق المجتمعات الإسلامية قوتان جديدتان هما القومية والماركسية ، فأصبحت ثلاث قوى، أتيحت لها الفرصة على نحو لم تعرفه القوى الغازية من قبل .

ولكن النتيجة لم تلبث أن كشفت عن هزيمة ساحقة للقوتين الجديدتين ، وذلك بعد سقوط القوة الأولى (الليبرالية) من قبل ، جاء ذلك على أثر تمزق الشيوعية واندحار القومية الشيفونية المستعلية المتمثلة فى نظام الأحزاب القومية ، كالبعث والناصرية ، على النحو الذى عرف فى مصر وسوريا والعراق .

لقد أصبح القوميون والماركسيون اليوم ليس لهم سند ثقافى أو اجتماعى أو سياسى ولكنهم بعد سقوط النظرية الماركسية وتمزق الدولة الشيوعية يتجمعون الآن تحت لواء مقاومة التيار الإسلامى ومصارعته ويتخذون من معارضة مفاهيم الدين والغيب مع الليبراليين جبهة واحدة مضادة .

أما محاولة فرض تصور قوامه أن المجتمع العربى الإسلامى مكون من أربعة عناصر ، الإسلام أحدها، هو تصور باطل زائف، فليس هناك فى الحقيقة إلا أصحاب المساحة العريضة فى المجتمع وذوو التاريخ الطويل من الثبات والصبر فى وجه الأحداث أكثر من خمسين عاماً، أما باقى المجتمع فيمثل مجموعة الليبراليين

والقوميين والماركسيين ملة واحدة ، وهم الذين أصبحوا يمثلون جبهة المعارضة للإسلام بعد أن سقطت الليبرالية الغربية والقومية والماركسية ، والذين أتيح لهم على فترة من الزمن امتلاك بعض أدوات الإعلام من : صحافة ومسرح و غيرهما من أدوات البث المباشر .

ولقد أتيح لهذه العناصر الثلاثة أن تتحرك فى قوة وأعطيت كل الإمكانات والفرص فى خلال مرحلتين متواليتين؛ إحداهما سيطرة الليبرالية المستمدة من النظام الغربى، ثم سقوطها تماماً بعد أن عجزت عن أن تقدم شيئًا يشغل الفراغ الخطير الذى تملكه العناصر الحقيقية المكونة للمجتمع العربى المسلم اليوم .

إن التيار العلمانى اليوم هو شتات من الماركسيين والقوميين الناصريين ، وهو مصاب بالهزل الشديد، ويعتمد على قدرته فى السيطرة على الصحف القومية .

وإذا كانت مفاهيم القومية والاشتراكية والليبرالية جميعًا ممثلة فى الأحزاب التى تولت الحكم فى البلاد الإسلامية قد كشفت عن عجزها الحقيقى عن العطاء فإن البديل هو المشروع الإسلامى .

كذلك فإن الفلسفات المادية التى طرحت فى مناهج التعليم والثقافة قد تكشفت عن فساد مضمونها، وأنها لم تقم فى الحقيقة من خلال معطياتها، وإنما عن طريق الدعاية الخطيرة التى دقت لها الطبول فى مختلف أنحاء البلاد الإسلامية.

فسقطت الفلسفة المادية وسقط مذهب دارون وسقط مذهب فرويد، وسقط مذهب ماركس، وسقط مذهب دوركايم، وتبين عدم حاجة المسلمين إليها جميعاً، وكان أشدها سقوطاً منهج (العلوم الاجتماعية والإنسانية) الذى قام على أساس مضامين لاهوتية ماسونية وتلمودية؛ مما تكشفت عنه مخططات بروتوكولات صهيون .

ولقد زادت الحاجة إلى المشروع الإسلامى بعد أن ظهرت أخطاء المشروع التغريبى والعلمانى ومفارقاته التى يختلف فيها عن مفاهيم الإسلام، وبعد أن رفض

الجسد الإسلامى هذه المفاهيم ، وعجزت المحاولات التى جرت فى صهره فى بوتقة الفكر الغربى وعجزت عن احتوائه .

ولقد كان للفكر الإسلامى موقفه الواضح من علوم الغرب وتقنياته وعزل ذلك عن ثقافته وقيمه الاجتماعية (التى تمثل طابعه النفسى والاجتماعى الخاص والذى يختلف عن طابع النفس والذاتية الإسلامية ، فقد كان الفكر الإسلامى واعياً بالفوارق والخلافات بينه وبين ثقافات الأمم وطوابعها الخاصة) .

ومن المفهوم الفكرى الإسلامى التراث، وكيف أنه لا يعيق التقدم، وأن إحياء تراث الأمة وإثارة روح الاعتزاز به هو عامل أساسى من عوامل النهضة، دون أن يكون هذا التراث معوقًا عن التقدم والحركة .

* * *

وإذا كان علينا أن نقدم المشروع الإسلامى فإن ضرورة ذلك واضحة، وهى انهيار المشروع الاشتراكى وفشل المشروع الغربى؛ حيث لم تستطع التربية الاشتراكية أن تحقق أى نوع من عدالة توزيع الثروات، لا على حساب الحرية الفردية والسياسية، أو على غيرها ، وكذلك فإن التجربة الرأسمالية تؤكد كل يوم قصورها وعجزها البالغ، ومع أنها حققت قدراً قليلاً من الحرية الفردية والسياسية فإنها تحمل فى أعماقها الكثير من مظاهر الاستعباد والقهر لملايين الأيدى العاطلة وملايين الفقراء الذى يقتاتون من صناديق الزبالة ويهيمون فى الشوارع بلا مأوى .

أما المشروع الإسلامى فهو يتميز بطابعه الجامع بين تحقيق العدل والحرية معاً؛ حيث يتضمن نظاماً شاملاً يقوم على عدالة توزيع الثروة وتحقيق الحرية السياسية والفردية فى أوضاع متوازنة ، حيث يقوم نظام الحكم فى الإسلام على عقد الأمانة بين الراعى والرعية .

ويتحدد موقف المسلمين بين الثوابت والمتغيرات أو بين التقدم والأصالة على نحو يمكن المسلمين من الأخذ بكل أسباب التقدم (الحضارى التكنولوجى) دون اقتلاع مسيرتنا من جذورها الأمامية، وفى الوقت الذى نقبل بالانفتاح والاستعانة بكل النظم الاقتصادية والعسكرية نتحرك فى دوائر محكمة من مبادئ الإسلام وقيمه ومن مقاصد الشريعة .

* * *

والواقع أن المشروع الغربى يمتلك اليوم كل إمكانات الحركة، ولكنه يواجه نقداً ومعارضة من المسلمين الذين يعلمون أنه ليس مشروعهم ، وأنه لا يلبى رغائبهم، ولا يتفق مع عقيدتهم ومنهجهم، وأن سلطانه القائم إنما يستمد قوته من أولياء الثقافة الغربية المتسلطين الذين استطاع النفوذ الغربى أن يملكهم نواصى الأمور، ولكنه يجد نفسه فى أكثر من منزلق؛ نتيجة محاولة فرض نفوذه وسلطانه المتعارض تماماً مع قيم الإسلام :

١ ـ فالمسلمون اليوم يؤمنون بأن أموالهم يجب أن تنمى فى إطار شرعى وإسلامى؛ ولذلك فهم يعرضون عن مصارف الربا وكل أساليبه ومغرياته؛ لأنهم لا يريدون أن يأكلوا الحرام، ولأنهم يملكون ثرواتهم، فإن أحداً لن يستطيع أن يفرض عليهم ذلك الأسلوب الربوى .

٢ ـ كذلك فإنهم يؤمنون بأن بلادهم مستهدفة لأخطار كبيرة، فلابد من دعم الوجود السكانى؛ بحيث يكون قادراً على حماية البلاد ورد كيد الأعداء عنها؛ ولذلك فهم لا يقبلون بمفهوم تحديد النسل .

ويرون أن ما يقال عن (الانفجار السكانى) ليس أكثر من مبالغة مضللة وأكذوبة يقودها الغرب وتتخفى وراءه بعض الرءوس التى تتكسب من وراء هذا

الهدف لنفسها متاع الحياة الدنيا غافلة عن المخاطر الحقيقية التى تخلقها الدعوة إلى إنقاص النسل ، وهو الهدف الحقيقى الذى تجرى وراءه قوى كثيرة أهمها : الصهيونية والنفوذ الأجنبى الغربى الحريص على أن تظل موارد البلاد الإسلامية تحت سلطانه ينهبها كيف يشاء وينفقها على الترف فى بلاده دون أن يحصل أهلها على شىء منها .

وسوف لا يقبل المسلمون أن يحدد نسلهم، بينما يسمح لأنسال كثيرة من غير المسلمين أن تنمو وتزداد .

ذلك أن المخاطر التى تحيط بالأمة الإسلامية اليوم تتطلب زيادة النسل زيادة كبيرة، وتدعو إلى كشف مؤامرة الغرب فى هذا الصدد الذى يضمر للإسلام والمسلمين كل شر، وبخاصة فى البلدان الإسلامية قليلة العدد، وخصوصاً فى فلسطين المحتلة .

٣ ـ كذلك يؤمن المسلمون بأن المرأة المسلمة ليست أداة تستطيع القوى الاقتصادية أن تستغلها للترفيه أو أن تدفعها لتترك بيتها ومسئوليتها الكبرى فى بناء الأسرة وتربية الطفل وحماية الوجود الاجتماعى كله فى سبيل الحصول على قروش زهيدة، أو فى سبيل الظهور فى الأندية والصالونات والمراقص والمجتمعات العامرة بشتى المفاسد .

* * *

فإذا ذهبنا ننظر إلى الفوارق العميقة بين المشروع الحضارى الإسلامى وبين المشروع الحضارى الغربى نجد مجموعة من الحقائق .

أولاً : نظرة الإسلام إلى الإنسان ونظرة الفكر الغربى إليه، حيث تعطى المفاهيم الوافدة للإنسان تصورات مختلفة، منها التصور الذى يجعله مؤلهاً وحراً منطلقاً لا مسئولية عليه ولا التزام، وقادراً على السيطرة على الكون (وهو التصور الذى تقدمه الفلسفة المادية الغربية) وهناك التصور المستمد من مفاهيم الهندوكية والبوذية،

والذى يصفه بالعجز والقصور والسقوط، فضلاً عن مقولة : إنه خاطئ بحكم مولده

أما الإسلام فينظر إليه نظرة تكريم، ويقر أنه هدى النجدين : إلى الخير وإلى الشر ، أيهما يشاء وأنه مركز الخلافة لله تبارك وتعالى على الأرض، يحمل مسئولية الإرادة الحرة والالتزام الأخلاقى والإيمان بالغيب والبعث والجزاء الأخروى .

ولا ريب أن هذا التصور مستمد من عقيدة الإسلام القائمة على الإيمان بالتوحيد الخالص (توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية) الذى يحرر طاقات الإنسان من العبودية لغير الله تبارك وتعالى .

ثانياً : مفهوم الإسلام الجامع بين الفردية والجماعية، ولا يتجاوز المسلم لإحداها ويقرر أن ملكية الأموال للثروة هى لله تبارك وتعالى، وأن الانسان مستخلف فيها، ويجمع الإنسان كما تجمع المجتمعات بين الثوابت والمتغيرات، فالكليات والمقاصد الأساسية كلها ثابتة، وتدور الحركة فى إطار المتغيرات .

وكذلك يجمع الإسلام بين عالمى الغيب والشهادة وبين العقل والنقل، ويؤمن بالاجتهاد الذى يواكب المستجدات ويستنبط الأحكام التى تمكن لحركة الحياة فى مختلف العصور والبيئات لتجديد قانون إسلامى ثابت ، ويبعث الله تبارك وتعالى على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر الدين .

ثالثاً : يقرر الإسلام ضوابط العلاقات بين الرجل والمرأة ، ويعترف الإسلام بتمايز الطبيعة بين الأنوثة والذكورة، ويجعل لكل منهما وظيفته ومسئوليته التى شكل الله تبارك وتعالى شخصيته لأدائها والمساواة بين الرجل والمرأة ليست مساواة الندية التى تقيم التناقض بين الرجل والمرأة، وإنما مساواة التكامل بينهما .

رابعاً : يقرر الإسلام مفاهيم أصولية محررة تختلف عن مفاهيم الغرب لكل القيم ، تتكامل فيها المادية والروحية ، وأعطى المسلمين حق الاستفادة من علوم الآخرين؛ شريطة أن ما يقتبس يكون مادة خاماً ويكون من الوسائل والتنظيمات لا النظم .

العروبة جزء من الأمة الإسلامية :

ويقرر الإسلام أخلاقية المجتمع والحضارة والتعامل الفردى، ويدعو المسلم إلى الانتقال من الفردية إلى الغيرية ، ويدعوه إلى الاستعلاء على الشهوات .

وليس هناك صراع طبقى ولا صراع بين الأجيال، والإسلام يعتبر العبادة لله وحده . وأن الجسم الإسلامى لا يقبل العنصر الغريب .

والإسلام لم يتخلف، وإنما تخلف المسلمون الذين فرطوا فيه .

خامساً : أن التحديث المادى والتقنى ممكن للعالم الإسلامى دون أن يفنى المسلمون فى الحضارة المادية أو الفلسفات المادية والإلحادية، ولقد جاز الإسلام مرحلة التبعية ودخل مرحلة الرشد الفكرى، وذلك بعد أن جرب الأيديولوجيتين (الغربية والماركسية) اللتين فشلتا فى تحقيق الأمن والعدل، ومن ثم تأكد للمسلمين أن لا طريق إلا طريق الإسلام، بل إن الغرب نفسه يعتقد أنه لا طريق له إلا بالإسلام.

سادساً : أعطى الله تبارك وتعالى للأمة المسلمة فى هذه المرحلة من حياتها ثلاثة أشياء :

الثروة والطاقة والتفوق البشرى ؛ وذلك لتكون قادرة على المقاومة والمواجهة والمرابطة فى الثغور لإعداد العدة العسكرية ﴿ **وأعدوا** ﴾؛ لإرهاب عدو الله، ولحماية دينها وثروتها، ولامتلاك القدرة على الردع، وأن تبقى دائماً على تعبئة، حتى لا يفاجئها عدوها بالإغارة عليها واحتلال أرضها .

وعلى قادة المسلمين أن يتقوا الله فى ثروات المسلمين التى تهدر فى الإنفاق الاستهلاكى المفرط .

سابعاً : ركز الإسلام عن طريق القرآن والسنة على قواعد أساسية، قرر فيها قرارات حاسمة، ثم تبين أنها من أخطر قضايا هذا العصر :

١ ـ مسألة اللون والجنس والعنصر والدم .

فالإسلام وطن، والإسلام جنسية، والناس كلهم لآدم، وآدم من تراب .

ثامناً : الجهاد والتعبئة والحذر والحيطة من العدو المباغت والمرابطة فى الثغور والإخشيشان فى الحياة .

كما أعطى الإسلام المجتمع الإسلامى منهجاً مرناً قادراً على مساندة التغيير والدعوة إلى التجديد والتكيف مع الحياة وتحولاتها ووقائعها المنظورة دون الخروج عن الضوابط والحدود .

تاسعاً : للإسلام موقف متميز عن المذاهب الغربية (ماركسية وليبرالية) يقوم على خمس عقائد إسلامية أساسية ثابتة :

أ : هيمنة الوحى على العلم .

ب : خلود العقيدة والشريعة وثباتها .

جـ : الطاعة لله ولرسوله ﷺ .

د : الإيمان بالقدر .

هـ : إيثار الآخرة .

ومن هنا تبين خطأ دعوى المزج بين الحضارتين والتركيب بين الثقافتين وهدم كل محاولات التغريب والعلمانية فى محاولة تكوين الهيمنة لعلم التجريب لا للوحى المنزل .

٢ ـ محاولة إلغاء مفهوم العلاقة بين الخالق والمخلوق .

٣ ـ محاولة إلغاء ثبات الشريعة الإسلامية واعتناق الفلسفة النسبية التى تقرر أن كل شيء يتغير ويتبدل بتغير المكان والزمان بما فى ذلك حقائق العلوم ومبادئ الشريعة وأصول الأخلاق .

٤ ـ طاعة العقل والإيمان بالحرية ونبذ عقيدة القضاء والقدر .

٥ ـ التضحية بالآخرة فى سبيل الدنيا .

* * *

إن هناك حقيقة أساسية :

هى استحالة انفصام الشخصية الإسلامية عن الدين والإيمان بالله تبارك وتعالى، مهما حاولت القوة التغريبية إشاعة دعاواها بالباطل بمقولة: إن الإنسان المعاصر لم يعد فى حاجة إلى التدين ، بعد أن وصل إلى هذا القدر من العلم العصرى .

بل إن كل العوامل المتصلة بحياة الإنسان فى هذا العصر والتحديات التى تواجهه توحى بالحاجة للعودة إلى الدين والأشواق الروحية فى إيمان يسبغ على النفس الإنسانية الطمأنينة والرضى والثقة بالإله الخالق تبارك وتعالى بعد أن اضطربت المقاييس وتزعزعت الثقة فى كل المعتقدات والقيم البشرية التى صاغها الفلاسفة خلال القرون الثلاثة الأخيرة والتى ثبت فسادها واضطرابها وعجزها عن العطاء وقصورها ؛ لتوقفها عند الجوانب المادية والتنكر للجوانب الروحية .

ولقد تطلعت نفوس الكثيرين من المنصفين فى الغرب أخيراً إلى الإسلام كمنقذ من هذه الأزمة . وهذه الحيرة وهذا المأزق استطاع فعلاً رجال مثقفون على قدر كبير من الثقافة أن يجدوا فى الإسلام ملاذهم، وسوف تجد البشرية كلها ملاذها فى الإسلام .

في مطلع عام هجرى جديد
القــرن الخامس عشــر الهجــرى

علامات كثيرة ودلائل أكيدة تدل على أن (حضارة الإسلام) قد خرجت فعلاً من مرحلة التبعية الـتى دخلت إليه قبل قرنين من الزمان .

وأنها الآن تلقى أضواء الفجر على العالم مرة أخرى؛ التدخل فى مرحلة إشراق الصباح فى المستقبل القريب .

إن أخطر ظاهرة فى المجتمع الإنسانى العالمى اليوم هى :

[صعود حضارة الإسلام من جديد]

ذلك أن هذه التحولات التى تتعدد والتغيرات التى تتوالى لتكشف عن حقيقة ناصعة تؤكد أن منهجها الربانى الذى غمر العالم كله من أربعة عشر قرناً لدين عالمى للبشرية كلها وإلى أن تقوم الساعة، قد استدار الزمان كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض؛ ليكشف العلامات الفارقة بين نور الإسلام وظلمات الوثنية ، وبين ضياء الحق وسحابات الباطل. ليؤكد قول الله تبارك وتعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(فصلت : ٥٣) .

إن هناك أموراً عدة هى علامات حقيقية على مستقبل تتطلع إليه البشرية بعد أن غرقت خلال خمسة قرون متصلة فى أوهام الفلسفات المادية فى عودة واضحة نحو الدين : كل الدين الذى أنزله الحق تبارك وتعالى للبشرية وخاتمها رسالة الإسلام وشهادة التوحيدة وكلمة القرآن الكريم.

لقد كان دعاة الفلسفة المادية يظنون حتى وقت قريب أن العلم هو كل شىء وأنه هو الذى سيحكم البشرية ويقدم لها منهاج حياتها، فقد كان العلم فى هذه الفترة يدعى أنه يعرف كل شىء ثم تبين له أنه بالرغم من كل هذه الفتوحات

والكشوف الرائعة لم يصل إلا إلى ظواهر الأشياء .

فقد كشفت الأبحاث العلمية اليوم عن حقائق سجلها القرآن الكريم والسنة المطهرة منذ خمسة عشر قرناً ، هذا هو الإعجاز العلمى الذى يهز الآن دوائر الغرب، ليؤكد أن وراء هذا الكون المادى خالقاً قديراً تبدأ الأمور منه وتنتهى إليه .

وقد جاء مفهوم الإسلام للعلم قائماً على التكافل بين الوحى والعقل على نحو منهج المعرفة الربانى الأصيل ، ترتبط فيه الثوابت مع المتغيرات ويتكامل فيه النقل والعقل، ويتأكد الوحى كمصدر أساسى للمعرفة .

كل هذا يهز تلك المسلمات الباطلة التى ظل الغرب يقرع ناقوسها؛ ليصرف المسلمين عن أصالة قيمهم ودينهم بمحاولته فرض عالمية الثقافة (حيث لم تكن الثقافة عالمية قط) ودعوى المدعين إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان، يقال هذا بالرغم من تأكيد علماء الغرب على أن الدين جزء لا يتجزأ من التراث ، وجزء لا ينتقص من الثقافة، وما تزال طروحاتهم عن اللغة العربية تصدر عن غرض أو عن دعاوى ظناً منهم أن يصل أمر اللغة إلى ما وصلت إليه اليونانية أو الجرمانية، بل أن هذه التحولات أخذت فعلاً فى الظهور؛ حيث أخذت ثقافات فى الغرب تتبنى فكرة الخلق بدلاً من نظرية دارون ،فقد أشارت الصحف إلى أن هناك تياراً متنامياً فى أوربا وأمريكا يتبنى اتجاه الربط بين القيم الدينية والمعرفة؛ حيث ظهر لدى بعض العلماء والإلحادين الغربيين إحساس قوى بأن معظم المشكلات التى تعانى منها الحضارة الغربية اليوم ناجمة عن انفصام بين المعرفة والقيم، فلم تفلح المنجزات الحضارية الغربية فى جعل الإنسان مركز الكون .

وقد اتجهت نخبة من علماء الغرب إلى إعادة النظرية فى فلسفة الحضارة الغربية وغاياتها : «الربط بين المعرفة والقيم» .

وتحرص العائلات الأمريكية على تعليم أبنائهم وفقاً للأسس الدينية، وترفض أن تدرس لهم نظريات رخيصة لتفسير أصل الإنسان .

ويوجد نحو ٥٠ مليون أمريكى أدخلوا أولادهم فى ٢٣٠٠ مدرسة من الجامعات الأخرى التى تعتمد نظرية خلق الله للإنسان والكون بدلاً من نظرية (دارون) فى النشوء والتطور .

وهذا الاتجاه يقترب من المنهج الإسلامى للمعرفة الذى يعتبر الوحى مصدراً للمعرفة (إسلامية المعرفة)، ومن ثم فإن إسلامية المعرفة تعنى بناء منهجية معرفية بجانب التجربة .

وهناك فريق ـ كما يقول صاحب النص ـ تعامل مع فكرة إسلامية المعرفة من باب أنها تمثل المدخل المعرفى لمعالجة الأزمة الإسلامية الراهنة، بعد أن ثبت فشل المداخل الأخرى ، فقد ثبت أن المدخل السابق يؤدى إلى مزيد من التمزيق » .

لقد كانت قضية الصراع هى المنطلق، أما الآن فهى فى طريق البديل وهو اللقاء؛ حيث أدخل بعد الخَلْق الذى عرفه الدين الإسلامى بدلاً من النظريات الوضعية التى تفسر أصل الإنسان وكيفية الربط بين القيم والمعرفة .

وإذا كان هذا القرن الميلادى الذى يوشك على نهايته قد بدأ بنظريات ثلاث : هى الداوونية والماركسية والفرويدية فإننا الآن نجد تراجعاً كبيراً عن هذه المذاهب الغربية ، ومنها ما سقط فعلاً وهو الماركسية ، ومنها ما أصابه التمزق على نحو ما يرى العالم فى فساد نظرية دارون، وهذه العودة إلى قضية الخلق كما جاءت بها الكتب المنزلة . يقول الدكتور جابر الأنصارى :

إن الفرويدية فى علم النفس الإنسانية هى كالدارونية والماركسية تستند إلى مفهوم مادى (جنسى) للفرد الإنسانى فى الأساس .

نعم : لقد اهتزت هذه المذاهب المادية التى تركز عليها الفكر الغربى خلال القرنين الأخيرين من خلال منطلق الفلسفة المادية التى حاولت أن تدمر (الإنسان)وتصرفه عن الروح والغيب والأخلاق وكل القيم الذى جاءت فى رسالات الأنبياء من أجل إقامته على الجادة .

وقد ظهرت فى هذه الفترة نظريات كثيرة تكشف زيف الدارونية والماركسية والفرويدية؛ ولكن لأن هذه النظريات قد أنشأها الفكر التلمودى والصهيونى القديم على النحو الذى كشفه الدكتور صبرى جرجس فى كتابه (التراث التلمودى الفرويدى) عن هذه المؤامرة الحارقة؛ حيث أشار إلى أنه ظل يعلّم الفكر الفرويدى خمسين سنة كاملة قبل أن يكتشف أن هذه النظريات ليست علماً بقدر ما هى مفاهيم قديمة لليهود والتلموديين .

ويؤكد الدكتور صبرى جرجس مدى الخطر الذى يحيط بعقيدته (وهو مسيحى) من جراء استسلامه لزيوف الفكر التلمودى الذى قام أساساً بضرب المسيحية الغربية وتدميرها والذى استغل كلمات (نيتشه وريناان وأوجست كونت وماركس وفرويد وسارتر) ضد الدين، والتى كانت موجهة أساساً إلى المسيحية الغربية وحدها باعتبارها (الموقف) العقلى لمرحلة من الفكر الغربى إزاء العقيدة القائمة فى مجتمعه، ومن هنا كانت حملة الدكتور صبرى جرجس الذى لم يكن يكتشف هذا الخطر لولا أن بعض مؤرخى اليهود أعلنوا أن فكر فرويد هو من صميم مذهبهم التلمودى الذى يقوم على أساس إثارة روح التحلل والفساد والجريمة والإباحية بين الآدميين تمهيداً لتدميرهم .

ولقد واجه الفكر الإسلامى منذ وقت طويل نظريات الفلسفة المادية منذ كتابات جمال الدين الأفغانى (الرد على الدهريين) ، والشيخ محمد عبده (موقف الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية) .

* * *

وقد نما التيار الإسلامى فى قلب العاصفة وتأكد وجوده بعد أن سقطت القدس فى أيدى الصهيونية العالمية وامتد زحفه إلى الغرب وامتد إلى المواقع نفسها

التى طرد منها من قبل، وخاصة الأندلس والبلقان، وقد تجدد وجوده فى أكبر قطرين أوربيين هما فرنسا وألمانيا، وزاد امتداده حتى دخل أمريكا ، وكان يحمل معه شيئاً جديداً بالنسبة للغرب؛ كان يحمل معه نور الأمن واليقين .

وكان التيار الإسلامى الأصيل علامة بارزة على الوسطية والأصالة والبعد عن الهوى والتماس وجه الحق إيماناً بالدعوة الأولى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل : ١٢٥) .

وإقامة الضوابط الأخلاقية التى وضعها الإسلام للتقدم وإقامة التقدم على جناحيه المادى والمعنوى .

وإقامة الوحدة الجامعة للمسلمين جميعاً ، ومن خلالها دورات القوميات والإقليمات . وإقرار الإسلام لمفهوم وأخلاقية المجتمع (بوصف الأخلاق جزءاً من العقيدة) وأنها من الثوابت وإقامة المسئولية الفردية مع سلامة الارتباط بالتراث الإسلامى الأصيل دون الانصهار فيه، ولابد من المحافظة على الذاتية الخاصة للإسلام، بحيث لا تنصهر فى أى فكر آخر مع قبول ما يوجد فى الحضارات مما يتفق مع قيم الإسلام، ويقوم منهج الإسلام أساساً على بناء الفرد وبناء الجماعة والمحافظة على وظائف الرجل ووظائف المرأة .

* * *

والتجديد الإسلامى أساس لتطوير المجتمع وفق منهج الاجتهاد ؛ فإن الله تبارك وتعالى يرسل للأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها والمحافظة على ثوابت القيم أساس رصين .

والمتغيرات ضرورة قائمة تقوم الخطوة الأولى فيها على :

١ـ العودة إلى الله تبارك وتعالى .

٢ـ تحرير الولاء لله ورسوله والمؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة : ٥٥) .

٣ـ الإعداد الروحى، ويقوم على تربية الأمة على مفهوم الإسلام الشامل بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وإحياء فريضة الجهاد وإعداد العدة المانعة وتحصين الحدود والثغور .

وعلينا أن نحرر الفكر الإسلامى من عوامل التبعية وإقامته على التوحيد الخالص ، وعلينا ضرورة التفرقة بين الثوابت ممثلة فى الأصول الإسلامية حسبما وردت فى القرآن والسنة لتحكم مختلف أوجه النشاط البشرى وبين المتغيرات ممثلة فى الاجتهاد فى التفاصيل .

* * *

إن أجيالنا الجديدة من شباب الإسلام فى حاجة إلى معرفة الأعلام الذين أقاموا هذا المنهج وجاهدوا فى سبيله واستشهدوا من أجله، ذلك هو تاريخ الإسلام الحافل بالعطاء ، وهذه النماذج هى التى تعطى المسلم من شباب اليوم الإيمان بعظمة الإسلام وصموده فى وجه الأحداث وقدرته على العطاء ومقاومة كل محاولات النيل منه، فلقد كان الإسلام على مدى حياته يواجه حملات الكراهية والتزييف وانتقاص فضله وأثره على البشرية ومن ثم فعلينا اليوم أن ندرس هذا التراث الخطير الذى حققه المسلمون ببناء منهج المعرفة ذى الجناحين وبناء منهج التجريب الذى صنع الحضارة الحديثة مما لم يكن يعرفه اليونان أو الرومان .

وما يزال المسلمون قادرين على ضبط النفس والصبر أمام محاولات انتقاصه والنيل منه، وخير سبيل لتحقيق ذلك هو تقديم منهج الإسلام نفسه الذى استطاع أن يبنى هذه القلعة الضخمة القائمة على مدى التاريخ والتى تتجدد مع الزمن يوماً

بعد يوم .

وعلينا أن نحتفل بهذا التاريخ فى مواقعه وبطولاته وأن نقيم بناء التربية الإسلامية على قاعدة المنهج الذى بنى به رسول الله ذلك الجيل الأول الذى فتح الطريق أمام نور الإسلام والقرآن حتى استطاع أن يصل إلى قلب أوربا غرباً وإلى حدود الصين شرقاً .

واستطاع على مدى دورات التاريخ أن يكسب مؤمنين جدداً وأن يحقق للبشرية ذلك العطاء الكريم المتصل بأن يسلم الإنسان نفسه لله تبارك وتعالى ويقيم منهج المسئولية الفردية والجزاء الأخروى .

ومع هلال المحرم فى كل عام يزداد العطاء وتمتد حضارة الإسلام إلى أبعاد جديدة على هذا الكوكب المتطلع إلى رحمة الله تبارك وتعالى .

هذا وبالله التوفيق ،

تحرير المجتمع الإسلامى من التبعية

لقد كان المسلمون على مدى عصور التاريخ يؤمنون بالأسس التى صنعها لهم القرآن الكريم وأقرها الإسلام، وهى أن الحضارة تقوم على عنصرين متكاملين : الوحى والعلم، فلا يقوم منهجها الصحيح أو منطلقها الكامل إلا من خلال الربط بين هذين العنصرين .

ولابد أن يكون هناك «إيمان كامل» بالله تبارك وتعالى من خلال عقيدة التوحيد التى يتكامل فيها العمل بالوحى والعلم معاً ، ولا يقف العلم التجريبى إلا فى إطار التوحيد والإيمان بالله تبارك وتعالى والتأكد من الإيمان بكل القيم : (الوحى ـ الغيب ـ البعث الأخروى)

فإن هذا المفهوم هو وحده القادر على أن يعطى الأمة الضوء الكاشف الذى ينطلق بها لإقامة المنهج الصحيح للأمة الإسلامية الجامعة ويكون سندها الصحيح هو (التراث الإسلامى) الأصيل المستمد من الميراث الإسلامى الصحيح ، هذا التراث الإسلامى الذى شكله الفكر الإسلامى خلال أربعة عشر قرناً لحماية الثوابت الإسلامية الأساسية القادرة على حماية الإنسان والمجتمع من الانحراف، وذلك عن طريق منهج التربية الإسلامية الخاص للقيم الأخلاقية، سواء فى مجال الفن أو الاجتماع أو التعامل الاقتصادى .

وأن يكون ذلك كله فى إطار يحمى القوة الأصيلة القائمة على أساس ثوابت القرآن والسنة الصحيحة .

ويتحدد الحديث دوماً عن استقلالية موقف الحضارة الإسلامية من مفهوم الإسلام حول الوحدة الجامعة بين الوحى والعلم ، وخاصة فى الوقت الذى يدور الحديث حول نقل المسلمين للتكنولوجيا الغربية والولاء لها والتبعية للغرب على هذا النحو الذى يحول بين المسلمين وبين الأصالة فى إقامة «التكنولوجيا

الإسلامية».

ولعل الحديث يتجدد الآن نتيجة لموقف ماليزيا الإسلامية من بناء التكنولوجيا والعلم الحديث وإصرار ماليزيا على أن تتحرر من الخضوع لمفاهيم الغرب فى هذا الجانب أو حوله ومدى أثر ذلك على التطور الإسلامى كله .

* * *

لقد كان واضحاً وضوحاً شديداً : أن الغرب حين أقام حضارته أقامها على فرع واحد وهو العلم، وأنه حجب الجانب الآخر [جانب التوحيد والوحى والغيب والإيمان بالله تبارك وتعالى] بينما رسم الإسلام منهج الحضارة على قاعدة الإيمان بالله، وهذا هو سر الأزمات الخطيرة التى يواجهها الغرب والتى تدمر كل ما يقيم بناءه، وقد وضحت الآن الصورة من خلال كتابات بعض علماء الغرب الذين آمنوا بالله تبارك وتعالى وكشفوا عن القصور والضعف الذى تقوم عليه روح الحضارة الغربية.

ولقد كتبت فى السنوات الأخيرة عشرات الكتب والدراسات الغربية عن هذا القصور الذى كان مصدره تحول الأوربيين والغرب من المسيحية إلى الفكر اليونانى والرومانى على أثر الخلاف الكبير الذى حدث بين الأحبار والعلماء ونماء الوثنية بحيث أصبحت علاقة فارقة.

ولقد قام النظام الغربى الاقتصادى على أساس «الربا» الذى هو المصدر الأساسى لبناء الحضارة الغربية العالمية والذى فرضه الغرب على مختلف البلاد والأمم التى خضعت له .

بينما تقوم تجربة ماليزيا على غير أساس الربا فى محاولة ضخمة تجمع التابعين للأديان الروحية غير المسيحية مثل الكنفوشوسية والبوذية وغيرها، وهى أديان أخلاقية

تقوم على أساس القيم الدينية، يتقدمها الإسلام بالتوحيد الكامل، وبذلك انفتح الباب فعلاً لقيام نظام اقتصادى جديد، يقوم الإسلام فيه بجانب كبير وخطير يمضى على طريقه إلى بناء منهج جديد يثبت النظام الاقتصادى الإسلامى ويحطم نظام الربا .

***

ومن هذه النقطة نجد تجمع العلمانيين والشيوعيين على العمل لهدم الثوابت الإسلامية أو الفصل بين الثقافة والتشريع، ذلك أن الإسلام يقرر أن الثقافة الحقة يجب أن تنبع من قيم المجتمع الدينية والثقافية ومن تراث الإسلام فى ضوء القاعدة الراسخة التى رسمها الإسلام وهى « **ثوابت المجتمع والفكر**» التى يقوم عليها البناء الاجتماعى والفكرى كله فى الدعوة إلى العدل والخير والإيمان بالله تبارك وتعالى.

إن محاولة العلمانيين فى الدعوة إلى تقويض «الثوابت الإسلامية» وإبعاد الدين عن الثقافة وعن الحياة ، هى محاولة مضللة وفاشلة؛ فإن حصون الإسلام وقلاعه قد بنيت أساساً على هذا المفهوم الجامع المتكامل الرابط بين الثوابت والمتغيرات؛ ولقد وقف علماء الغرب التجريبيون على حقيقة راسخة هى «أن العلم قد أثبت أن له حدوداً لا يستطيع الإنسان تجاوزها» وقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (الإسراء : ٨٥) .

وقد وضح أنه بعد هذه الفتوح العلمية ما يزال الإنسان يشعر أن كل ما أحرزه لا يزيد على قطرة من بحر يجهله .

ولما كانت النماذج الغربية، سواء الرأسمالية أو الماركسية، تعتمد على مجموعة فروض أساسية مشتقة من بيئة الدول الغربية فى القرن الماضى والقرن الحالى، ولكن أخطر ما أصاب الرأسمالية والماركسية جميعاً هو اختفاء البعد الأخلاقى الذى أهمل النواحى الإنسانية فى المذاهب الاقتصادية الغربية بينما يقوم النظام الإسلامى أساساً على قاعدة القيم الأخلاقية التى تقوم على ثوابت العقيدة الدينية، ومن هنا

فإن «التبعية الفكرية» للغرب فى هذا المجال بالذات كانت من أهم أسباب استمرار التخلف الاقتصادى فى الأمة الإسلامية؛ مما يدعو علماء الفكر الإسلامى إلى ضرورة تكوين نظرية جديدة إسلامية تعمل على تغيير الواقع القائم على نحو ما يقول دكتور عبد الرحمن يسرى من ضرورة إبراز وجه التناقض والاختلاف بين المفهوم الوضعى والمفهوم الإسلامى .

***

وفى كل يوم تتكشف المؤامرة التى يراد فرضها على الفكر الإسلامى، فقد أخذت أوربا العلوم الطبيعية من الحضارة الإسلامية فى الأندلس ورفضت فلسفة التوحيد ، ومع ذلك فإنها اليوم تعود لتتحدث عن خطأ الفصل بين الإنسان والطبيعة، وبين الدين والعلم، وبين العقل والمادة، على النحو الذى أقامه الفكر الإسلامى بوحدة الإنسان والعالم الذى يحيط به ؛ حيث يدعو بعض المفكرين الغربيين اليوم إلى التعلم من روحانيات الإسلام ؛ إيماناً بأن الروحانية الإسلامية هى مدخل كثير من علماء الغرب وفلاسفته إلى اعتناق الإسلام .

وقد تحدث كثيرون فى مقدمتهم الأمير تشارلز عن الوسطية المتوازنة فى الإسلام، فقال : إن المادية المعاصرة تفتقر إلى التوازن، وأضرار عواقبها بعيدة لا تزال فى تزايد، ويقول : « إن القرون الثلاثة الأخيرة شهدت فى العالم الغربى على الأقل انحرافاً خطيراً فى طريقة رؤيتنا إلى العالم المحيط بنا ، فقد حاول العلم بسط احتكاره، بل حتى سطوته المستبدة على طريق فهمنا للعالم، وانفصل الدين والعلم عن بعضهما، وسعى العلم إلى الاستيلاء على عالم الطبيعة من الخالق، فجر الكون إلى فوق وأقصى المقدس إلى زاوية نائية ثانوية من ملكة الفهم لدينا وأبعده عن وجودنا العملى اليوم، وإذا كان العلم قد أدى لنا خدمة جليلة فإننا ما كنا نتخيل تماماً أن العلم فى شكله المادى الحديث الأحادى عاجز عن تفسير كل شىء ، إن

انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية المقدسة قد بلغ مربعاً مفزعاً ، وهذا ما نراه من التلاعب بالموروثات والجينات، هذا عن الغرب، أما عن الإسلام فيقول الأمير تشارلس: «أما الثقافة فى الإسلام فقد جاهدت للحفاظ على الرؤية الروحية متكاملة بطريقة لم نجدها خلال الأجيال السابقة فى الغرب، وهناك الكثير مما يمكن لنا أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامى فى هذا المضمار» ومعنى هذا أن الغرب يحذر حضارته من السقوط الأخير .

***

وبعد فإننا فى أشد الحاجة إلى أن نضىء هذه الجوانب المتصلة بالثوابت والمتغيرات حتى نتمكن من «أسلمة المجتمع العربى» وإعادته إلى الأصالة، سواء فى مسألة الربا أو فى مسألة المرأة والعمل على وضع أسلوب اقتصادى إسلامى ضد الربا ، كذلك فنحن فى أشد الحاجة إلى أن نتحرر من قيد «الدراما» والتحلل الأخلاقى فى المسرح والسينما والتلفزيون ، فإن ما يصدر تحت اسم الدراما خطير جداً ، فإنه يحاول أن يحقق هدف الفرق الباطنة والقرامطة من عدوان على الإسلام.

هذا وبالله التوفيق

المسلمون يخرجون من قيد التبعية وينشئون الحضارة الإسلامية الجديدة فى ماليزيا وأندونيسا «تقدم فى كل وجوه الحياة؛ لأنها ملتزمة بنصوص القرآن»

خطت الدعوة الإسلامية خطوات واسعة من اليقظة إلى الصحوة.

واليوم ينتقل الإسلام إلى مرحلة جديدة ، لمواجهة مرحلة جديدة تحاول قوى النفوذ الأجنبى أن تفرضها عليه .

ولكنها تمثل منطلقاً جديداً يكشف فيه الإسلام عن جوهره ويصحح مفاهيم الظالمين فيه ويتقدم ليبنى حضارته العالمية المتجددة الربانية المصدر فى ضوء الأصالة والانتماء الإسلامى والبيان القرآنى ، لقد جاءت المؤامرة التى عمل النفوذ الوافد الكاره للإسلام على جعلها قضية عالمية بعد سقوط الشيوعية، وإنما أراد الله تبارك وتعالى بها أن تصحح للعالمين حقيقته وتكشف عن جوهره وأن تدمر فى الوقت نفسه دعاوى اليهود والماركسيين والصهيونية الذين وجدوا الباب أمامهم مفتوحاً لكى يصيبوا من الإسلام ، ولكن صاحب الدين الذى قال عنه: **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾** (آل عمران : ١١٠)، والذى قال : **﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾** (الصف : ٩) .

لقد تحقق للإسلام أن يكون بإرادة الله تبارك وتعالى ديناً للمسلمين وثقافة للعناصر الأخرى؛ إيماناً بأنه وحده المالك للتراث الدينى والربانى .

لقد مر المسلمون بالعصر القومى والماركسية ، وقد ثبت أنهما عجزا عجزاً تاماً عن العطاء الإسلامى الذى يستطيع حماية الوجود الاجتماعى وليس أى مذهب آخر ماركسى أو ليبرالى، إن الصورة واضحة ومتسعة باتساع العالم الإسلامى، حيث يتحرك الإسلام على جميع الأصعدة ليرسم طريقه الخاص المتميز القرآنى الصبغة، ولكنه يبدأ اليوم من جنوب شرق آسيا من ماليزيا وما جاورها لفتح الأبواب لوضع أساس قاعدة مهمة تحمى الدعوة الإسلامية من محاولات الغزو الفكرى والتغريب

والاستشراق والتبشير ومن خطر الغزو الصهيونى، لقد وقف المسلمون طويلاً أمام الحضارة الغربية فى محاولة لاحتواء الحضارة الإسلامية التى تواجه تهديداً خطيراً منذ عصر الاستعمار ؛ حيث يحاول دعاة الغرب أن يطرحوا أمام المسلمين تصوراً يرمى إلى بناء المجتمع الإسلامى على أساس القيم الغربية، ولم يكن ذلك ممكناً لأمة أقامت منهجها منذ أربعة عشر قرناً على أساس التوحيد الخالص والعدل والشورى .

ولقد حاول الغرب أن يخدع المسلمين بأن يدعوهم إلى نقل التكنولوجيا الغربية تحت لواء المادية والعلمانية فى محاولة لحجب الإسلام بوصفه المنهج الربانى الأصيل لقيام حضارة جامعة بين عنصرى العلم والوحى على أساس القيم الأخلاقية التى هى قاعدة بناء الحضارة الإسلامية .

وهكذا جاءت تجربة ماليزيا وأهل شرق آسيا (منهم المسلمون أساساً وأتباع البوذية والكنفوشيوسية) ليعلنوا أنهم يقيمون حضارة على أساس الدين والأخلاق، متصلة بالعلم والصناعة، ودون تفرقة بينهما، لترسم للعرب والمسلمين فى جميع أقطار الأرض المنطلق الحقيقى لحماية الدعوة الإسلامية من محاولات اختراقها وتزييف ثوابتها ودفعها إلى العمل على بناء قاعدتها لتحقق حضارتها الإسلامية على أساس العلم والأخلاق مع قبول كل ما يصلحها ويقويها ورفض كل ما يحاول خلق تبعية لها عن طريق حضارة مادية علمانية ؛ وذلك بما يحقق حضارة علمية فى ظل الاقتصاد الإسلامى والشريعة الإسلامية .

وإذا نظرنا إلى تجربة ماليزيا عرفنا مدى خطأ دعاة الغرب الذين يدعون أن التنمية لن تحدث فى بلادنا إلا بالتخلى عن الحضارة الإسلامية .

وتجىء تجربة ماليزيا الدولة المسلمة التى حققت أعلى معدل للتنمية وصارت أول نمور آسيا رغم كل مؤامرات دول الغرب عليها، فقد عملت على المحافظة على هويتها الإسلامية، ولم تقبل أية تبعية اقتصادية أو اجتماعية . يقول (مهاتير محمد)

رئيس وزراء ماليزيا: إن أحد أسباب تقدم بلاده هو تمسكها بالإسلام بمعناه الحقيقى، معتبرة أنه عنوان تقدمها، وأن القرآن يحث على اكتساب العلم والمعرفة، وليس فقط التركيز على الحياة الآخرة .

ومن المطلوب الآن من المسلمين البراعة فى وسائل العلم كالطائرات وغيرها ومن هنا كان شعارها (انظر شرقًا) ودعت إلى إرساء علاقات جديدة مع الدول الشرقية الآسيوية، وركزوا على العلوم التكنولوجية والصناعات الالكترونية الدقيقة، ومن هنا كانت التجربة الإسلامية القرآنية الجديدة عاملاً مهمًا يجب أن ينتبه إليه المسلمون والعرب؛ ليحققوا الوضع الصحيح، وهو ما عبرت عنه الصحف الغربية (تقدم فى كل وجوه الحياة؛ لأنها ملتزمة بنصوص القرآن) .

***

ومن خلال مجموعة من الأبحاث والتقارير نستطيع أن نقدم العناصر الآتية :

أولاً : أن ماليزيا تحترم القواعد الإسلامية الأصولية من دون أن تكون الدولة التى يبحث عنها الغربيون .

ثانياً : أن أحد أسباب تقدم ماليزيا هو تمكسها بالإسلام بمعناه الحقيقى معتبرة أنه عنوان تقدمها، وأن القرآن يحث على بناء الحياة والمعرفة، وليس فقط التركيز على الحياة الآخرة .

ثالثًا : تقدم البلاد لعدم اعتمادها على الغرب ولفظها سياسة الديون التى يسعى الغرب لإغراقها بها .

رابعاً : إقامة المجتمع على أساس الإيمان وأخلاقيات الإسلام وعدم الانبهار بالغرب .

خامساً : العمل على تمويل الصناعات بمدخرات محلية مع عدم تحويل

الأجانب أرباحهم إلى الخارج فيؤثر على الوضع الاقتصادى .

سادساً : حماية المجتمع من مؤثرات القوى العظمى لمحاولة إرباك البلاد .

سابعاً : أهم الركائز هى أسلمة النظام المصرفى ونزع الربوية عنه، وقد اشتقوا هذه التجارب من الدول الإسلامية مثل باكستان والسودان وإيران .

ثامنا : ليس هناك فصل بين الدين والدولة ، وإن الجمع بين الإسلام والعصرنة والتصنيع ممكن؛ بل هو فى الأصل روح الإسلام الحقيقية، ودون أن يؤثر على أخلاقها .

تاسعاً : لكى تكون الدولة صناعية ومتقدمة لا يجب أن تكتفى ببناء المصانع ، بل تبنى العقل والعلماء وخبراء التكنولوجيا أيضاً .

عاشراً : أنهم متمسكون بأساليب الحضارة العصرية دون أن يتركوا تعاليم دينهم .

هذه ملامح النظام الإسلامى الجديد الذى يقدم للمسلمين التجربة الناجحة التى جاءت من شرق آسيا والتى حرصت على أن تجمع بين العلم والتكنولوجيا من ناحية وبين أخلاق الإسلام وقيمه ونظامه من ناحية أخرى؛ إيماناً بأن قيم الإسلام هى أكبر مصدر لنجاح العصرنة وقيام المجتمع الإسلامى المتحرر من الربا ومن الأساليب المنحرفة أو المعارضة لقيم الإسلام .

يقول السيد مهاتير محمد : إن تجربة ماليزيا تقوم على (تقدم اقتصادى) دون محاكاة الغرب والتزام بالمرجعية الدينية دون تطرف .

ومنذ اليوم لا يستطيع دعاة التغريب والغزو الثقافى أن يطلقوا ألسنتهم بالكذب والخلاف، فقد نجحت تجربة الإسلام الاقتصادية المعاصرة، وأصبحت مثلاً عالياً أمام كل الأقطار الإسلامية .

هذا وبالله التوفيق

التأصيل الإسلامى

كيف حرر التأصيل الإسلامى القيم الإسلامية من التبعية للفكر اليونانى والغربى ؟

كيف وقف علماء الإسلام (الشافعى ، وابن حنبل ، والغزالى ، وابن تيمية فى وجه الإعصار)؟ .

لاشك أن قضية تحرير مفاهيم الإسلام من التبعية للفكر الوافد، سواء أكان هذا الفكر من تراث الأديان القديم أم من تراث الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية المترجمة إلى اللغة العربية فى هذه المرحلة من القرن الثالث الهجرى، لا شك أن هذه القضية كانت هى الهم الأكبر والشغل الشاغل لقادة الفكر الإسلامى ومجدديه وحاملى لوائه على مدى هذا التاريخ .

يبدو هذا واضحاً جلياً فى مراجعة تراجم وأعمال هؤلاء العلماء الأعلام جميعاً، ويبدو واضحاً تماماً فى تراث الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية وابن حزم؛ حتى يمكن أن يطلق على هؤلاء ـ زيادة على دورهم فى علوم الفقه والسنة ـ أنهم مصححو المفاهيم ومجددو بناء الفكر الإسلامى ومحرروه من التبعية، وتلك مهمة ضخمة لم يتصد لها إلا قليل خلال مراحل مختلفة متوالية فى فترات دقيقة من أدق فترات حركة الفكر الإسلامى وسعيه إلى بناء منهج جامع يضم مختلف التيارات ؛ ليصهرها فى بوتقة الوحدة، إيماناً بمفهوم التنوع فى دائرة الوحدة وشجب مختلف الانحرافات التى أثارتها الدعوات الباطنية والمخاصمة للإسلام أساساً ؛ حتى يستوفى منهج أهل السنة والجماعة ويستوى على أصوله الصحيحة :

أولاً : اللغة العربية لسان القرآن :

ويبدو ذلك واضحاً فى وجهة الإمام الشافعى وتركيزه على اللغة العربية؛ حيث

يرى أنها جزء من العقيدة، وأن القرآن الكريم نزل بها، وقد خلص الشافعى ـ لكون القرآن عربياً ـ إلى حكم فقهى، هو فرض تعلم اللغة العربية وجوباً على كل مسلم؛ ليشهد الشهادتين ويتلو الكتاب العزيز ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغيره من الواجبات، وقال :

فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ورتب على ذلك ما يربط الشريعة الإسلامية كلها باللغة العربية. وقال الشافعى : وأولى الناس بالفصل فى اللسان من لسانه لسان النبى ﷺ، ولا يجوز ـ والله أعلم ـ أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه فى حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه. ويصل الإمام الشافعى إلى الغاية حين يقول : ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا بتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس .

فهذه هى القاعدة الأولى فى ذلك البناء الذى نما بعد ذلك ، وسمق فى إبراز ذاتية الإسلام وخصوصيته فيقول : ولعل الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها ، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها ، لا يقلُّون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج وزيغاً على سواء المنهج، والذى يقضى به العجب حال هؤلاء فى قلة إنصافهم ، وفرط جورهم واعتسافهم ؛ وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وتفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع .

وهذا ما يعنيه الإمام الشافعى حين حاولت المعتزلة وغيرها الخروج عن فهم الإسلام الجامع ، إلى إعلاء شأن العقل واعتباره السبيل الوحيد فى البحث ، وقد واجهت هذه النظرية معارضة كاملة من قادة الأصالة الإسلامية على مستوى العصور ، كلما تجدد القول فى العقلانية وخاصة فى العصر الحديث .

وكانت حجة الباحثين المسلمين أن العقل والقلب فى القرآن مترادفان

ومتكاملان ، وأن العقل سراج زيته الوحى؛ لذلك فإن سيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة إنما تعنى فى حد ذاتها انتقاص شأن الوحى والغيب كله .

ثانياً : مؤامرة خلق القرآن :

ولقد كان من أكبر الأخطار أن وقع بعض المفكرين فى شرك الفلسفة اليونانية الذى عبر عنه الإمام الشافعى بلسان أرسطو طاليس حين دعا بعض المعتزلة إلى فكرة خلق القرآن، وقد وقف الإمام أحمد بن حنبل على رأس الفريق المؤمن الصامد حين قال : القرآن كلام الله ، لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق .

وقد وقف الإمام أحمد بن حنبل ثمانية عشر عاماً فى وجه المحنة فى خلال حكم المأمون والمعتصم والواثق، وسجنه المأمون وحاكمه الواثق، وكانت صيحته المدوية فى محاكماته :

أعطونى شيئاً فى كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أقول به، القرآن كلام الله لا أقول مخلوق .

وقد أقام صابرًا محتسباً خلال حكم الخلفاء الثلاثة، ووقف سداً منيعاً ـ كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوى ـ فى اتجاه هذه الأمة إلى الفكر الفلسفى المتهور الذى لو سيطر على الأمة لانقطعت صلتها بالتدريج عن منابعها الأولى وعن النبوة المحمدية،ولخضعت للفلسفات، وأصبحت عرضة للآراء والقياسات ولانتصرت السياسة على الدين انتصاراً مؤبداً وسلبت حرية الرأى والعقيدة، وهكذا كانت وقفة الإمام أحمد بن حنبل أول ضربة معول فى هذا الاحتواء الخطير الذى استشرى حين طمع المعتزلة فى السلطان وغالوا فى نشر مذهبهم وتعصبوا ضد كل من لا يوافق نحلتهم .

ولقد كانت وقفة الإمام أحمد بن حنبل إزاء هذا التيار الجارف المتمكن بقوة السلطة ، أماناً للنفس الإسلامية؛ مما حفظ لها مفهوم الإسلام الأصيل دون تحريف

يخرجه عن جوهره وبساطته ومنابعه الأولى، ولم ينل منه ذلك التعذيب والضرب، فأخذ وسحب وخلع وشدت يداه فخلعتا ، ولم يزل يتوجع منها حتى مات، وكان الجلادون يتبادلونه بالضرب وهو لا يتزعزع عن موقفه، فإذا انصرف أضيف إليه قيد جديد يوضع فى قدمه .

ثالثاً : محاذير الفلسفة اليونانية :

وجاء الإمام الغزالى فحطم الفلسفة المادية، ولم يكن ظالمًا، ولكنه كان منصفًا تمامًا، فقد أثبت حقها فى مجال العلوم الطبيعية والرياضية، ولكنه هاجم الفلسفة الإلهية وحدها، لأنها كانت تصدر عن مفاهيم علم الأصنام اليونانى، وقال : إن أغلب العلوم الطبيعية والرياضية أمور برهانية، وأنه لا يخدم الإسلام إنكارها، وليس فى الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفى أو الإثبات ، ولا فى هذه العلوم تعرض للأمور الدينية، أما الفلسفية الإلهية ففيها أكثر أخطائهم، وقال : إنهم ما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه من المنطق .

ويرجع ذلك إلى أن الإلهيات ليست كالعلوم الأخرى ـ الرياضية والطبيعية ـ وليس لها مقدمات ومبادئ؛ ولهذا كثرت فيها أغلاطهم وتخيلاتهم.

إن خطر الفلسفة على أذهان الناشئة هو أن يحذوا حذوها .

ومع رزانة عقول كثير من الفلاسفة وغزارة علمهم نجدهم منكرين للشرائع والنحل جاحدين لتفصيل الأديان والملل وقد ألحدوا وأنكروا الدين، وتطرفوا تطرفًا كبيراً ، ووجه الإمام الغزالى هدفه إلى تهافت عقيدة فلاسفة اليونان وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالإلهيات، وأن هذه المسائل ليست حقائق علمية .

وحصر الغزالى خلافه معهم فى ثلاث مسائل :

أولاً : فساد قولهم بقدم العالم .

ثانياً : فساد قولهم بأن الله تبارك وتعالى لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة .

ثالثاً : إنكارهم بعث الأجساد وحشرها .

وقال : إن مقولاتهم فى هذه الأمور الثلاثة لا تلائم الإسلام بوجه ، ومن هنا فإن الدعوى التى توجه إلى الإمام الغزالى بأنه خصم للفلسفة عامة هى دعوى باطلة ، إنما هاجم الغزالى (الفلسفة الإلهية الإغريقية الوثنية) التى لا تتفق مع عقيدة التوحيد، وكشف عن أثر هذه الفلسفة فى نفوس من يتمسحون بها ؛ ليثيروا الشكوك والأوهام حين ينكرون الأديان والشرائع، ولم يهاجم الغزالى إلا ما يصادم الشريعة من أفكارهم على نحو علمى، بيّنَ فيه ضعف استدلالهم وتناقضهم واختلافهم وتهافت عقيدتهم .

رابعاً : إعلان فساد المنطق :

وكان الإمام ابن تيمية هو الحلقة الرابعة فى هذه المعركة التى حققت أصالة مفهوم الإسلام الجامع وكشفت زيف دعاوى من يقولون : إن الفكر اليونانى هو الذى شكل منهج الفكر الإسلامى، فقد هاجم ابن تيمية كل انحرافات الفكر الإسلامى الخارجة عن مفهوم القرآن الكريم .

وأعلن أن الأساس الأصيل لهذا الفكر إنما يتمثل فى الكتاب والسنة المفسرة له .

وقال : إن الكتاب (القرآن) ليس علم عقائد بالخبر والنقل وحسب، بل بالدليل والبرهان، وإن النبى فسر القرآن كله ؛ لأنه هو الذى عليه أن يبينه ويوضحه، وبيانه من أركان تبليغ الرسالة، وقد تلقى الصحابة تفسير القرآن وعلمه كله .

ويرى الإمام ابن تيمية : أن منهاج القرآن ليس هو منهج الفلاسفة ولا المتكلمين ولا الماتريدية ولا الأشاعرة، بل هو غيرها ؛ لأن العقائد لا توجد إلا فى النصوص؛ حيث لا توجد أدلتها إلا فى النصوص، فأصحاب هذا المنهج يؤمنون بالنص والأدلة، وأن الأساليب العقلية المنطقية مستحدثة ، ولم تكن معروفة قطعاً عند الصحابة والتابعين .

ولا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها إلا من القرآن والسنة المبينة له ، والسير فى مسارها فيما يقرره القرآن وما تشرحه السنة مقبول ولا يصح رده، فليس للعقل سلطان فى تأويل القرآن وتفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذى يؤدى به العبادات ، وسلطان العقل هو التصديق والإذعان وتقريب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينهما ، فالعقل يكون شاهداً لا حاكماً ، ويكون مقرراً ومؤيداً لا رافضاً ولا ناقضاً ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن من الأدلة .

هذا هو « منطق القرآن » الذى ينطلق منه مفهوم الفكر الإسلامى، وهو غير منطق أرسطو الذى سيطر فترة ما ، وعند ابن تيمية أن منهج الفلاسفة مضطرب حين سعوا إلى بناء طريقهم على ترتيب الأقيسة العقلية فقد فاتهم أن العقل وحده عاجز عن إدراك حقائق الدين، ولابد من النص .

وعنده أن العقل يتجه إلى القرآن ويتفهمه بالفكر ، أى بموازنة آيات القرآن بعضها ببعض، فيكون تأويل القرآن من القرآن لا من أقوال الفلاسفة والمتكلمين، ويأخذ ابن تيمية على الفلاسفة طريقتهم فى التفكير والمقدمات التى يبنون عليها النتائج التى وصلوا إليها ، ويرى أن القرآن والسنة أشارا إلى المقدمات التى تهدى إلى سواء السبيل .

وحجية منهج ابن تيمية : أن الفساد لم يأت من قبل النصوص فهى حق فى معناها ولا تحتاج إلى تأويل، وإنما جاء من حملها على معان فاسدة ليست معانيها المرادة بالمرة .

وبذلك حرر ابن تيمية الفكر الإسلامى من الأزمة التى مرت به ، حين يقوم من يدعو إلى رأى منحرف فيستغل النصوص ويلوى أعناقها ، والإسلام بعد ذلك سمح رحب سائر بالحياة متصل بها مفتوح الآفاق على الفكر الإنسانى كله .

ولا ريب أن الفكر الإسلامى قد تخطى هذه العقبات الأربعة وحرر نفسه من

التبعية للفكر الوافد، ويبقى أن نكون قادرين اليوم على مثل هذه المواجهة مع الفكر الغربى بتياراته الغربية والماركسية والصهيونية، فنحن الآن نواجه المعركة نفسها مجددة، وسوف يقف قادة الفكر الإسلامى موقف الصمود والثبات فى وجه الإعصار .

حرب العلمانيين علي الإسلام

ظهر دعاة التنوير الغربى فى ثلاثة أجيال :

الجيل الأول : بقيادة طه حسين تحت شعار (الغرب على صواب) وهو تيار سرعان ما كشف أصحابه عن خطئهم وتحولوا إلى الفكر الإسلامى، يظهر ذلك فى كتابات الدكتور هيكل (حياة محمد) والعقاد الذى واجه الماركسية بقوة وصلابة .

وظهرت أمثلة لهم فى الدفاع عن الإسلام ممن تعلموا فى الغرب أمثال عبد العزيز جاويش وإقبال ومالك بن نبى .

هذا بالإضافة إلى أصحاب الأصالة الذين دافعوا عن الإسلام أساساً وعاشوا على هذا العمل، فى مقدمتهم شكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعى وعبد الحميد بن باديس .

الجيل الثانى : بقيادة زكى نجيب محمود .

وكان ولاؤه لاكتشاف التراث الإسلامى على كبر، وإحياء الفكر القديم الباطنى والوثنى والموالى مع الفكر اليونانى القديم والغربى الحديث، وكان من أشد الناس حملة على أمرين حققتهما الصحوة الإسلامية :

(١) إسلامية المرأة .

(٢) كشف التفسير العلمى للقرآن، وهما من أصح معطيات الصحوة .

الجيل الثالث : القائم اليوم ، والجامع لأتباع الماركسية والعلمانية والرأسمالية، وهو تيار قام بعد انهيار الشيوعية وليس له مستقبل ، والتنويريون الجدد لا يشغلهم إلا محاربة التيار الإسلامى والوقوف أمام أكبر معطيات الصحوة الإسلامية .

ولكن الواضح تماماً أن الصحوة الإسلامية حققت عدة نجاحات أساسية :

الأولى : هزيمة الاستشراق وتراجع المستشرقين فى محاولة تكشف عن عجزهم عن كشف أوراقهم .

ولقد كان سقوط الماركسية من أكبر العوامل العاملة على ترك النفوذ الغربى فى محاولة للوقوف أمام صحوة الإسلام، وليس صحيحاً أن الإسلام يحاول أن يأخذ مكان هذه الدعوة أو تلك ، كما أنه لا يطمع ولا يحاول أن يدخل فى مشاكل أو مناورات، فهو يهدف إلى تحقيق شىء واحد أساسى :

هو تثبت الطابع الإسلامى الذى يحمل لواء الصمود فى وجه الخطر فهو مؤمن بالجهاد شريعة ماضية إلى يوم القيامة .

وتمثل تثبيت خصوصية الإسلام فى اللغة والدين وفق ثقافة عميقة الجذور امتدت أربعة عشر قرناً ، وكان لها وجود قبل الإسلام .

* * *

ولقد تأكد أن أخطر ما يقوم به العلمانيون الماركسيون اليوم هو إحياء الفكر الفلسفى القديم الذى ترجمه حنين بن إسحاق فى عهد المأمون ، هذا الفكر القائم على وثنية اليونان التى جلاها الدكتور طه حسين منذ الثلاثينيات واليوم تجرى محاولة واسعة على أيدى أسماء جديدة فى سبل خلط الفكر الوثنى والباطنى واليونانى والغنوصى بالفكر الإسلامى .

كذلك يحاول النفوذ الأجنبى إحياء المذاهب الغالية بينما يحاول الدعاة إلى الإسلام أن يجمعوا كلمة المسلمين على لا إله إلا الله ؛ ليكونوا قوة قادرة فى وجه محاولات الصهيونية والنفوذ الأجنبى .

وتحاول بعض الجهات إقامة مؤتمرات لإحياء هذه المذاهب .

وآخر ما يبرز اليوم ، هذا المجال :

تجديد الدعوة إلى فكر القرامطة والفكر الباطنى من خلال جماعات الماسونية والروتارى وغيرها .

وقد غطت هذه الدعوات على ما كان يسمى الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى ولكننا كتاب الإسلام فى مجتمع الأمة الإسلامية علينا ألا نقبل أية نظرية إلا بعد التأكد من صحتها ونقائها وأصالتها، فنحن مدعوون إلى الطريق الوسط الجامع بين منهج الله تبارك وتعالى فى الدين والمجتمع على قاعدة :

« تجديد الدنيا بتجديد الدين »

وذلك بتنقية الدين من البدع والخرافات وتقديم البديل من الأصيل على الجمود والتغريب .

وعلينا ألا نقبل نظرية من النظريات التى شغل بها الناس كثيراً ، ومن ذلك ما حاول التغريب أن يردده وينشره فى كل ما كان مما نسب إلى (عمر الخيام) من شعر إباحى ترجمه الشاعر البريطانى (فيتزجرالد) وجند له عدداً من أدباء العرب لترجمته، ثم تبين أن هذه خدعة كبيرة كشف عنها علماء أبرار فى مقدمتهم العلامة نصر الدين الطرازى.

* * *

إن الخطر المتمثل الآن فى دراسة العلمانيين للفكر الإسلامى والعقائد يقوم على أساس تحطيم الصورة الأصيلة القائمة على أساس ثوابت القرآن، وذلك بمحاولة خلق فلسفة وثنية الحادى، مادية تقوم على ما يسمى (التأويل) .

هذا الدين يقوم به عدد من أتباع الغزو الفكرى ومن ورائهم من يساندهم .

* * *

ولعل الظاهرة الخطيرة التى تجتاح الأدب والفكر والثقافة والقصة هى « الجنس

المكشوف » من خلال الصور المزخرفة الزائفة التى تنقل من عصور قديمة من الفكر اليونانى والفارسى ، كما أن هناك صحفاً جديدة لا تعنى إلا بالحديث عن الجنس ووقوع أسماء لامعة فيه، فضلاً عن محاولات ومؤامرات .

وهكذا تمضى المحاولة لحماية المسلم من القضاء على ذاتيته الخاصة القائمة على الأخلاق والقيم وتتصل باللغة العربية والتاريخ ومفهوم الجهاد الإسلامى ومنهج التربية إلى بناء إيجابى يحرر المجتمع الإسلامى من التبعية .

* * *

وإذا كان الغرب قد استعمل وسائل كثيرة لمحاصرة الإسلام واحتوائه فإنه فى خلال قرنين كاملين الآن لم يستطع أن يحقق هدفه ، لقد حاول أن يستفيد من تجارب عملائه فى الاستشراق والتبشير دون نتيجة، وجاءت محاولاته للتغريب والغزو الفكرى، ولكن هذه التجربة أيضاً عجزت عن تحقيق الهدف، ولما اشتد ساعد الصحوة الإسلامية جند الغرب بعض العرب والمسلمين لأداء عملية الغزو .

وقد تركزت عملية الغزو على الماركسية والعلمانية فى نفس الوقت الذى سقطت فيه الماركسية وتحطمت العلمانية التى عمل لها الغرب فى تركيا التى عادت إلى الإسلام بقوة .

ولكن تبعية بعض المسلمين والعرب إلى الماركسية والعلمانية عجزت عن أن تقدم للنفوذ الغربى أى شىء يذكر، واستطاع دعاة الصحوة الإسلامية وقادتها أن يكشفوا زيف محاولات الغرب والنفوذ الأجنبى .

وقامت محاولات خطيرة ترمى إلى حجب الشريعة الإسلامية واستعمال بعض المؤسسات لتقديم إسلام مغرب يقوم على أساس المهرجانات التى تقدم الصور ذات البريق فى محاولة لتقديم تصور للإسلام يستند على حجب المعاملات الإسلامية وما

يتصل بالشريعة الحدود والأخلاقيات التى رسمها الإسلام لبناء منهج إسلامى أصيل، وتجىء اليوم قضية القدس لتحمل لواء العمل الكامل لها ، كما كانت على مدى تاريخها الطويل مع تصحيح مفهوم الجهاد الإسلامى بمعناه الواسع والتركيز على توسيع المفهوم؛ بحيث لا يكون مقصوراً على القتال أو الحرب .

انهيار دعاوى العلمنة وسقوطها

منذ فجر الأمة الإسلامية التى بنى الله تبارك وتعالى مجتمعها على حضارة الإسلام القائمة على التوحيد الخالص والتى لا يتكامل وجودها إلا على أساس الوحدة الجامعة بين العقل والقلب والروح والمادة .

ومن ثم فقد قام المجتمع الإسلامى على النحو الذى صوره الحق تبارك وتعالى فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

منذ ذلك اليوم منذ أربعة عشر قرناً قام هذا المجتمع على الذاتية الإسلامية الخاصة والتكامل الجامع بين القيم والمقومات .

وقد عاش المجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية التى خرجت من القرآن الكريم أساساً بإنشاء منهج التجريب العلمى ، قام هذا المجتمع على قاعدة الثوابت والمتغيرات وتنامى واتسع نطاقه، فقد كان الإسلام هو الفطرة التى فطر الله تبارك وتعالى الناس عليها.

ولكن أعداء الإسلام لم يتوقفوا يوماً واحداً عن حرب الإسلام وعن إثارة الشبهات حول العقيدة وحول القرآن وحول السنة فى حرب للإسلام تقوم على إثارة الشبهات حوله.

وما يزال علماء الإسلام يواجهون تلك الحملات ويكشفون زيفها ويهدون الناس إلى الحقائق .

وقد كان القرآن الكريم والسنة المطهرة هما النور الباهر الذى دمر كل هذه المحاولات.

* * *

وقد توالت محاولات التبشير والغزو الفكرى والتغريب لا تتوقف وما

تزال هذه الحرب الاستعمارية والاستشراق تندلع كل يوم فى محاولة لاحتواء الأمة الإسلامية فى قلب ثروتها وقيمها .

* * *

واليوم يفجّر التغريب باباً شديد الخطورة فى حرب جديدة تحاول الإصابة من شيء واحد، هو التراث والقيم الثوابت الإسلامية، بينما يؤكد علماء الفكر الإسلامى وقادته على مدى التاريخ : أن التراث والقيم الثوابت هى أصول قائمة محكمة لا يمكن أن تتحرك قيم الحضارة الإسلامية واللغة والتاريخ إلا من خلالها ، وأن الإسلام قائم على قاعدة الثوابت والمتغيرات التى تقوم على أساس المرونة والوسطية والانتماء والأصالة والتكامل الجامع .

هذه الدعوة الجديدة هى ما يسمى (العلمنة)، والعلمنة مذهب مسموم جديد يختلف عن العلمانية والتغريب، وهو أشد منهما مكراً وشراً ، هذه العلمنة بمثابة مرحلة جديدة فى السيطرة على قلب الأمة الإسلامية من خلال الفكر واللغة وتحليل القضايا الاجتماعية والتاريخية فى محاولة لتقديم مناهج جديدة غربية خالصة ومنفصلة تماماً عن قيم المجتمع الإسلامى ومفاهيمه وعن دينه ولغته وعقيدته وروحه وكل ما يتصل بها من روح وغيب وإيمان بالله العلى الأعلى والآخرة؛ مما يستدعى معه ضرورة تقدير مدى الخطورة فى طرح هذه المفاهيم المسمومة والمدمرة التى يراد غرسها وفرضها على أجيال المسلمين الجديدة؛ مما يستدعى معه ضرورة بناء أساس عميق ؛ قادر على حجب هذه المحاولات المسمومة مهما جرى ربطها بالتنمية والاقتصاد فإن للمسلمين منهجاً خاصاً فى الاقتصاد والمال ؛ مما يستدعى معه ضرورة بناء أساس عميق قادر على حجب هذه المحاولات

المسمومة وهدمها وتدميرها والحيلولة دون الوصول إلى قلب المجتمع الإسلامى الذى يعمل منذ أكثر من خمسين عاماً على قيام حصانة كلية قادرة تحول بينه وبين الظواهر الإباحية والإلحادية وكل ما يتصل باللغة والتراث والقيم .

* * *

إن الحرب الاستعمارية المندلعة اليوم تدور حول شىء واحد هو العمل على تدمير التراث والقيم الثوابت للإسلام، بينما يؤكد أقطاب الفكر الإسلامى على مدى التاريخ أن التراث والقيم الثوابت أصول قائمة لا يمكن أن تتحرك قيم الحضارة الإسلامية واللغة العربية والتاريخ الإسلامى إلا من خلالها وأن فى الإسلام قاعدة الثوابت والمتغيرات التى تقوم على أساس السقف الثابت الذى يتلقى كل شىء ومنه يتحرك .

* * *

ولما كان لكل مجتمع منهجه الخاص وتشكيله المتميز المستمد من عقيدته ولغته وكيانه التاريخى والروحى فإنه من العجب أن تجرى دعوته إلى الخروج عن هذا البناء الصامد الذى قاوم محاولات هدمه منذ أربعة عشر قرناً ومن خلال عشرات المؤامرات التى قام بها الصليبيون والتتار والقرامطة وانهارت العلمانية والحادثة ... الخ .

وإذا كانت الأمم قد رسمت لكيانها صورة خاصة لها انتماؤها وعقيدتها وكيانها الاجتماعى، فإن الإسلام منذ اليوم الأول لنزوله قد شكل منهجاً كاملاً خاصاً مستقلاً عن المجتمعات التى كانت موجودة أو التى وجدت بعد ذلك .

وقد تشكل هذا المجتمع من عدة عناصر ركز عليها الإسلام وأقام لها وجودها

الخاص المتميز الذى يختلف اختلافاً عميقاً عن أى مجتمعات أخرى، ومع هذا فإن الإسلام قد فتح باب الاستفادة من أساليب الغرب ووسائلهم دون أن يحتوى أو تسيطر عليه أية قوة مهما كانت وجعلوا كل ما أخذوه من الأمم المختلفة من الأساليب وليس من الأصول الثابتة .

وكان من أسلوبه الانتفاع بالمتغيرات وتجديد أساليب الثوابت، بحيث تكون قادرة دائماً على الحياة فى العصر القائم .

وكان ثابتاً أمام المسلمين وقادتهم أنهم يملكون أعظم منهج سياسى واجتماعى قادر على التجاوب مع نمو الأمم، وكانت تجربته الكبرى هى أنه قدم للبشرية (علم التجريب) الذى صنع الحضارة المادية الحديثة، وانتقل العلم من دمشق وبغداد والقاهرة إلى الأندلس حتى أتيح للغرب أن يتعلم علوم الإسلام، دون أن يعتنق عقيدته الدينية .

ولقد كان الإسلام حريصاً على أن يقيم (القيم الأخلاقية) الإسلامية دون أن يحتوى أو تعرض عليه أية محاولة وخاصة محاولة هدم ضوابط الأخلاق، كما أنه من المستحيل أن يقبل من البعض دعوتهم الخاسرة إلى توحيد الأمم فى مجال الأخلاق والعقائد والقيم والانتماء، ولذلك فقد رفض المسلمون دائماً محاولات الغرب فى هدم ضوابط الأخلاق فى المجتمعات والعلوم .

وفى عشرات من المؤتمرات التى جمعت أساطير الفكر فى العقود الأخيرة تبين أن من الاستحالة هدم بعض تقاليد وسلوك وأخلاقيات المجتمعات والعلوم، وقد أكدت المؤتمرات باستحالة إمكان صرف الأمم عن قيمها ودينها وأخلاقياتها التى عرفت عنها منذ أربعة عشر قرناً .

وقد تأكد أنه من الاستحالة توحيد الثقافات والقيم والتاريخ والتراث .

وأن كل أمة تسطيع أن يكون لها ذاتيتها الخاصة والانتماء الخاص بها، وكذلك من منطلق الأصالة وأن يكون لكل أمة وسائلها الخاصة بها فى الترفيه

دون أن يجرفها ذلك عن ضوابط القيم والوجود الاجتماعى العام، ومن هنا فإن وحدة الثقافة دعوة باطلة لا يقرها أى مجتمع أصيل، ولقد سقطت المؤتمرات والنداوات التى عقدت فى خلال السنوات الخمس الأخيرة ، سواء حول المرأة أو الجنس فى محاولة لفرض أسلوب من الإباحة والتحلل على أمم أخرى مهما كان المفروض منها .

ولما كانت البلاد التى دخلت لابد أن تحافظ على وجودها وثقافتها وأن الدعوة إلى العالمية فى هذا المجال ساقطة .

وأن هذا الغزو الجديد لعقول شباب العالم سوف يسقط ولن تستطيع ثقافات العنف والجنس والمخدرات والتحرر من جميع القيود أن تسيطر إلا على أمم متخلفة تحطمت قيمها منذ وقت بعيد .

ولقد تأكد أن الدعوة إلى العالمية فى هذا المجال ساقطة .

* * *

واليوم هناك محاولات لتحريف القرآن عن طريق الإنترنت ولكن هيهات مهما تعددت محاولات المؤامرة والتدبير التى رسمتها قوى كبيرة للنيل من الإسلام فإنها لن تصل إلى شىء فى النهاية فإن الإسلام قد وجد ليبقى، وقد حفظه الله تبارك وتعالى إلى يوم الدين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

والذى يتصور أن الإسلام بناء يمكن النيل منه مخطئ وظالم وسوف يشهدو الهزيمة .

ونحن المسلمون نؤمن بأنه لا خوف على كتاب الله من محاولات التحريف أو التغير أو التبديل ، ولما كانت الدعوة الإسلامية قد جددت نفسها وصححت طريقها وانطلقت إلى إعلاء شأن التوحيد الخالص وإقامة البدائل الإسلامية، ومن هذا

المنطلق تجد القوى الأجنبية والوثنية هزيمة دائمة، ولن تقوى على محاولة تدمير هذا التوحيد الخالص .

ونحن مسئولون عن حماية الأجيال الجديدة التى تقوم على حماية وجودها الدينى الاجتماعى والروحى، ولابد أن نكون دائماً على استعداد لطرح مفهومنا الخالص .

١ ـ تحرير المنهج الإسلامى من التبعية .
٢ ـ حماية مناهج التعليم وتحريرها من الزيف .
٣ ـ هدم الإلحاد فى المناهج العلمية والتعليمية .
٤ ـ كشف زيف الإباحة فى الأدب والفن .
٥ ـ حماية اللغة العربية من أجل القرآن الكريم .
٦ ـ أسلمة العلوم وأسلمة المجتمع الإسلامى .
٧ ـ إقامة الانتماء على الإسلام وإقامة الأصالة على التوحيد الخالص .
٨ ـ إقامة العدل الاجتماعى والشورى .
٩ ـ حماية التراث الإسلامى والقيم الإسلامية .
١٠ ـ ولابد من إقامة منهج جامع قائم على الثوابت والمتغيرات .
١١ ـ إقامة أخلاقية المجتمع (١) .
١٢ ـ إقامة منهج الاستعلاء على الإباحيات والكشف والدعارة .

هذا وبالله التوفيق ،،

(١) إن أعظم ثوابت الإسلام وقممها الكبرى فى بناء الأمم هى أخلاقية المجتمع ومكانتها على أساس وضع الحدود لإقامة الضوابط ، فالبعد الأخلاقى فى بناء المجتمع أساس ثابت لا يتغير بتغير العصور، فهو جزء من العقيدة

الأصــوليــة

مصطلح لاهوتى مسيحى : ظهر منذ وقت قريب فى الفكر الغربى، وكان فى أول أمره دعوة إلى التشدد والتحفظ بعيداً عن اليسر والتبسط الذى تدعو إليه الفرق المختلفة، وقد شاء بعض المفكرين والباحثين اتخاذ هذا المصطلح لوصف حركة الإسلام المعاصرة به بأنه يصدر عن التشدد فى محاولة لتوجيه اتهامات للإسلام على نحو ما يقول البعض بأنه انتشر بالسيف أو الادعاء بأنه فرض عنوة على غير المسلمين .

يقول دورلى وديرى تحت عنوان نظرة الكنيسة إلى الصحوة: يسمى المسلمون الأصوليون بهذا الاسم؛ لأنهم يسعون للرجوع إلى إيمانهم المبدئى وحدودهم فى الفترة التى كان فيها الدين والدولة متحدين تحت القانون الإلهى كما يفهمه المسلمون من القرآن وسنة محمد العملية ، ويمضى فيقول : المسلمون الأصوليون يحاولون إعادة تأسيس مجتمعهم فى مواجهة الغرب الماركسى والعلمانى (أى فى مواجهة الأيديولوچيات والقيم المادية) وهذا الانبعاث الأصولى الجديد ليس فيه مركز واحد ولكن يمتد على كل المستويات الأخرى ... الخ

والواقع أن هذا التصور ليس صحيحاً فإن الصحوة الإسلامية القائمة اليوم هى أبعد ما تكون عن الصورة التى ترسمها كتابات الغرب لهذه الصحوة ، فهى فى حقيقتها تطور طبيعى لليقظة الإسلامية التى قامت بها القوى الإسلامية منذ مطالع العصر الحديث والتى قام عليها عدد كبير من المفكرين الإسلاميين ، فى مقدمتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشوكانى ، والمهدى ، والسنوسى ومن بعدهم : محمد عبده ، وعبد الحميد بن باديس ، وكانت دعوتهم سمحة هادئة يسيرة لا تتخذ أسلوب التشدد أو الاستعلاء، وإنما تمضى فى بساطة شديدة وفق مفهوم الإسلام نفسه القائم على السماحة واليسر .

ومن هنا فإن وصف بعض المفكرين الغربيين للصحوة الإسلامية اليوم بأنها «أصولية» خطأ أى أنها قائمة على التشدد والعنف والتطرف .

وفى هذا ظلم شديد للإسلام وللصحوة الإسلامية التى تتحرك اليوم فى قوة، وتثبت كل يوم قدرتها على العطاء وصدقها فى التوجه من حيث قيامها على التسامح والعدل والرحمة بعيداً عن كل ما تحاول أن تصفها به القوى الأجنبية، ويرجع هذا إلى خطأ الغرب فى وصف المواقف وإعطاء قيم الإسلام أسماء غربية وضعت فى وصف أوضاع معينة تختلف عن الصور الإسلامية .

ويرى الباحثون الغربيون أن الأصولية تعنى (أولاً) الفهم الحرفى للكتب الدينية المقدسة عند المسيحيين وخاصة التوراة (ثانياً) العصمة الحرفية للكتب المقدسة (ثالثاً) التبشير بالمجيء الثانى للمسيح، وقد برزت هذه العصمات الثلاثة فى القرن السادس عشر مع حركة الإصلاح الدينى التى تعتبر القاعدة الأساسية التى انطلقت منها الحركات الأصولية فى كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية .

أما المصطلح فقد بدأ استعماله فى مطلع القرن العشرين عندما صدرت أول مجلة تحمل هذا الاسم الأصولى عام ١٩١٠ فى كاليفورنيا واستمرت فى الصدور إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت تمثل المذهب البروتستانتى، هذا الاتجاه الذى يفسر الكلمات داخل الكتب المقدسة تفسيراً حرفياً .

« التشدد فى التفسير الحرفى للكتب الدينية » .

أما بالنسبة لصلة هذا المصطلح فى اللغة العربية ، فالأصولية فى اللغة العربية لها دلالات إيجابية ، بينما الأصولية فى الفكر الغربى لها دلالات سلبية، ويرفض بعض المفكرين الغـربيين هذا المصطلح، ويقـول ليس هناك أية دلالة فى تاريخ الإسلام عن أية حركة إسلامية سميت بالأصولية، وهذا الفهم لابد من استيعابه (دكتور إبراهيم المرزوقى) وعندنا أن الأصولية المسيحية مرتبطة كل الارتباط بالحركة الصهيونية، بل إننا اليوم نجد محاولات لتصدير مفاهيم الإسلام وقيمه تحت أسماء

غربية، فهم يسمون الشورى الإسلامية باسم الديمقراطية ويسمون العدل الاجتماعى بالديمقراطية على الرغم من الخلاف العميق بين مصطلح الغرب ومصطلح الإسلام .

ومن هنا فإن المسلمين لا يقبلون أن تسمى الصحوة الإسلامية القائمة الآن باسم غربى مختلف له وضعه الخاص فى الفكر الغربى وفى الدين المسيحى ، كما يطلقون الآن كلمة (الأصولية) مع الإسلام .

والواقع أن هناك خلافات واسعة وعميقة بين التصور الإسلامى والقيم الإسلامية وبين التصور الغربى والقيم الغربية .

هذا الخلاف أساسى، ولا يمكن التخلص منه .

ذلك أن الفكر الغربى كله يقوم على أساس العلمانية التى تفصل بين المجتمع كله وبين الدين والأخلاق .

ومن هنا فإن الإسلام فى مرحلة الصحوة الحالية فى حاجة إلى أن يحمى اللغة العربية الفصحى بوصفها المدخل الثقافى للإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولقد يرى الفكر الغربى مواقف مخالفة فى أمر اللغة وأمر العقيدة وأمر منهج الحياة ، يكون لنا نحن المسلمين إزاءها تقدير معين يتمثل فى الاختلاف العميق بين أصول الثقافة والفكر والعقيدة والشريعة ، فالمسلمون يعرفون أن عليهم واجباً مقدساً هو حماية عقيدة المسلمين ورعاية من يتجه إلى الإسلام فى مختلف أنحاء العالم، وخاصة فى المناطق التى تحررت من قيود الماركسية .

مفهوم (الأصولية)
بين الفكر الغربى والفكر الإسلامى

الأصولية : مصطلح لاهوتى مسيحى ظهر فى الفكر الغربى .

يرى الباحثون الغربيون أن الأصولية تعنى(أولاً) الفهم الحرفى للكتب الدينية المقدسة عند المسيحيين وخاصة التوراة .

(ثانياً) العصمة الحرفية للكتب المقدسة (ثالثاً) التبشير بالمجيء الثانى للسيد المسيح.

وقد برزت هذه القضايا الثلاثة فى القرن السادس عشر مع حركة الإصلاح الدينى التى تعتبر القاعدة الأساسية التى انطلقت منها الحركات الأصولية فى كل من أوربا والولايات المتحدة الامريكية. أما المصطلح ـ كما يقول الدكتور إبرهيم المرزوقى فى بحث أصلح له فقد بدأ استعماله فى مطلع القرن العشرين عندما صدرت أول مجلة تحمل هذا الإسلام (الأصول) عام ١٩١٠ فى كاليفورنيا، واستمرت فى الصدور إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت تمثل المذهب البروتستانتى، هذا الاتجاه المحافظ والمتشدد الذى يفسر الكلمات داخل الكتب المقدسة تفسيراً حرفياً أطلق عليه مصطلح : **التشدد فى التفسير الحرفى للكتب الدينية** .

أما بالنسبة لصلة هذا المصطلح فى اللغة العربية، فالأصولية فى اللغة العربية لها دلالات إيجابية، بينما الأصولية فى الفكر الغربى لها دلالات سلبية ، ويرفض بعض المفكرين الغربيين هذا المصطلح، ويقول : ليس هناك أية دلالة فى تاريخ الإسلام عن أية حركة إسلامية سميت بالأصولية، وهذا الفهم لابد من استيعابه .

وهناك آراء تجمع على أن الأصولية المسيحية مرتبطة كل الارتباط بالحركة الصهيونية .

وقد شاء بعض الباحثين ذوى الولاء الغربى اتخاذ هذا المصطلح لوصف حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة بأنها تحمل طابع التطرف والإرهاب ، بدعوى أن الأصولية الإسلامية المدعاة تصدر عن التشدد والتحفظ فى محاولة لتوجيه اتهامات أخرى للإسلام على نحو ما وصف فى كتابات المستشرقين والمبشرين بأنه انتشر بالسيف أو أنه فرض على غير المسلمين .

يقول دورلى وريرى تحت عنوان نظرة الكنيسة إلى الصحوة : يسمى المسلمون الأصوليين بهذا الإسلام؛ لأنهم يسعون للرجوع إلى إيمانهم المبدئى وحدودهم فى الفترة التى كان فيها الدين والدولة متحدين تحت القانون الإلهى كما يفهمه المسلمون من القرآن وسنة محمد (ﷺ) العملية .

ويمضى فيقول : إن المسلمين الأصوليين يحاولون إعادة تأسيس مجتمعهم فى مواجهة الغرب الماركسى والعلمانى (أى فى مواجهة الأيدلوجيات والقيم المادية) وهذا الانبعاث الأصولى الجديد ليس فيه مركز جغرافى واحد، ولكنه يمتد على كل المستويات الأخرى ... الخ

والواقع أن هذا التصور ليس صحيحاً فإن الصحوة الإسلامية القائمة اليوم هى أبعد ما تكون عن الصورة التى ترسمها كتابات الغرب للصحوة الإسلامية المعاصرة، وهى فى الحقيقة تطور طبيعى لليقظة الإسلامية التى قامت بها القوى الإسلامية منذ مطالع العصر الحديث، استمداداً لحركة الإصلاح التى قام بها الأئمة : أحمد بن حنبل، وابن تيمية، والغزالى، وابن القيم، وهى التى تجددت فى كتابات الشيخ محمد بن الوهاب، والشوكانى، والمهدى، والسنوسى، ومن بعدهم : محمد عبده، وعبد الحميد بن باديس ، ومحمد إقبال، والمودودى، وحسن البنا، وأبو الحسن الندوى ... الخ .

وقد كانت دعوة هؤلاء جميعاً مستمدة من المنهج الأصيل السمح الذى رسمه سيدنا رسول الله ، وهى دعوة لا تتخذ أسلوب التشدد أو الاستعلاء، وإنما

تمضى فى بساطة ويسر وفق مفهوم الإسلام نفسه القائم على السماحة والرحمة .

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

ومن هنا فإن وصف بعض المفكرين الغربيين للصحوة الإسلامية بأنها (أصولية) بمفهوم الغرب، أى قائمة على التشدد والعنف أو التطرف، وصف باطل، وفيه ظلم شديد للإسلام وللصحوة الإسلامية التى تتحرك اليوم فى قوة ، وتثبت كل يوم قدرتها على العطاء وصدق التوجه من حيث قيامها على التسامح والعدل والرحمة، بعيداً عن كل ما تحاول أن تصفها به القوى الأجنبية .

ويرجع هذا أساساً إلى خطأ الغرب فى وصف المواقف ومحاولة إعطاء قيم الإسلام أسماء غربية وضعت فى وصف أوضاع معينة تختلف عن الصورة الإسلامية .

وقد عمد الغرب منذ وقت على إطلاق أسماء غربية ومصطلحات أجنبية على مواقف كثيرة تختلف اختلافا بعيداً عن أوضاع الغرب .

بل إننا اليوم نجد محاولات لتصوير مفاهيم الإسلام وقيمه تحت أسماء غربية كالديمقراطية والاشتراكية والفرويدية ... الخ ، بالرغم من الخلاف العميق بين مصطلح الغرب ومصطلح الإسلام ، ولقد كشفت التجربة عن هذا الخلاف العميق حين قامت بعض الدول الإسلامية والعربية بتطبيق بعض هذه المذاهب ومحاولة تقديمها على أنها من الإسلام .

ذلك أن هناك خلافات واسعة وعميقة بين التصور الإسلامى والقيم الإسلامية وبين التصور الغربى والقيم الغربية .

ومن هنا فإن المسلمين لا يقبلون أن تسمى الصحوة الإسلامية القائمة الآن باسم غربى مختلف، له وضعه الخاص فى الفكر المسيحى، وفى مقدمة ذلك

محاولة إطلاق كلمة الأصولية على الإسلام ، والواقع أن هذا الخلاف أساسى، ولا يمكن التخلص منه، ولن يستطيع الفكر الغربى احتواء المفاهيم الإسلامية مهما حاول ذلك؛ لأن الفكر الغربى يقوم أساساً على العلمانية التى تفصل بين المجتمع كله وبين الدين والأخلاق .

ومن هنا فإن الإسلام فى مرحلة الصحوة الحالية فى حاجة إلى أن يحمى اللغة العربية الفصحى، بوصفها المدخل الثقافى للإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولقد يرى الفكر الغربى مواقف مخالفة فى أمر اللغة وأمر العقيدة وأمر منهج الحياة يكون لنا نحن المسلمين إزاءها تقدير معين يتمثل فى الاختلاف العميق بين أصول الثقافة والفكر والعقيدة والشريعة، فالمسلمون يعرفون أن عليهم واجباً مقدساً هو حماية عقيدة المسلمين ورعاية من يتجه إلى الإسلام فى مختلف أنحاء العالم .

وخاصة فى المناطق التى تحررت من قيود الماركسية، وجملة القول : إن الأصولية مذهب من مذاهب الفرق المسيحية المعاصرة فى إطار الفكر اللاهوتى الغربى، وقد عرفت بالتشدد والفهم الحربى للتراث المسيحى الغربى .

هى أزمة التغريب والتبعية
وليست أزمة الأصالة

هل التوجه الإسلامى المتنامى والمتطلع إلى الأصالة والتحرر من التبعية الذى تمر به الأمة الإسلامية اليوم بدرجات متفاوتة هل يمكن أن يسمى بالأزمة أو يوصف بأنه تراجع عن نهضة التنوير والتحديث الغربية الوافدة التى لم تكن فى منطلقها أو خطوتها إلا محاولة لاحتواء هذه الأمة وفكرها وعقيدتها فى دائرة التغريب والغزو الثقافى من خلال مخطط مرسوم على نحو ماكر ثابت الأهداف متغير المراحل والخطوات يرمى فى النهاية إلى صهر هذه الأمة فى بوتقة الحضارة الغربية العالمية التى تمر اليوم بمرحلة الانهيار والتحلل والسقوط هى مؤامرة دبرتها عقول تصدر عن هوى وتنطوى فى أعماقها على حقد وكراهية للإسلام وأمته، وأداتها الأساسية هى فرض العلمانية على الأمة الإسلامية وتحطيم أصالة الإسلام، بوصفه ليس ديناً لاهوتياً ، وإنما هو منهج حياة ونظام مجتمع تختلف اختلافاً واضحاً عن العقائد والأديان التى انفصلت فيها العلاقة مع الله تبارك وتعالى عن العلاقة مع المجتمع .

وعندما يتحدث العلمانيون والماركسيون عند أزمة الفكر الإسلامى، فإنما يركزون على هذه النقطة بالذات، فهم يرون أن خطط التغريب والغزو الثقافى قد استطاعت بنفوذ الاستعمار السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى محيط الأمة الإسلامية أن تفرض القانون الوضعى ، وتحجت الشريعة الإسلامية وتجعل من التصور الغربى المسيحى أساساً ، مع أن هذا التصور لا يرى فى الدين أكثر من أنه علاقة بين الله والإنسان على النحو الذى وصل إليه الغرب بعد معركة طويلة مع الكنيسة كانت تتجه للدولة الثيوقراطية (الدينية) التى فرضتها الكنيسة على أوربا وبعد أن قاومت الكنيسة العلم والعقل وحكمت على آلاف من العلماء، وانتهى الأمر إلى أن تكون الدولة علمانية وتكون الكنيسة لاهوتية (مع ملاحظة أن الإسلام لم يعرض الدولة الدينية فى تاريخه كله) .

إن الذين يرون أن الأمة الإسلامية فى هذه المرحلة التى تتنامى فيها الصحوة

الإسلامية تمر بأزمة، إنما يقصدون (أزمة التغريب) أزمة تراجع الغزو الثقافى إزاء الأصالة الإسلامية حين عادت الأمة الإسلامية إلى ربها، وعرفت أن منهج الله تبارك وتعالى هو وحده الذى يخرج هذه الأمة من التبعية والتخلف والحصار الذى يراد بها التقوقع فى دائرة مغلقة حتى تسقط .

ولقد ظنوا أن تلك المرحلة الاستعمارية التى سقطت فيها الأمة الإسلامية حين فرضت عليها مناهج القانون الوضعى ومفاهيم التبعية والفلسفات المادية خلال قرنين كاملين ، هى تحول .

قد قبلته ورضيته فلما رأو أن الأمة الإسلامية تتجه اليوم إلى امتلاك إرادتها وإقامة مجتمعها وتطبيق شريعتها وتبليغ رسالتها إلى العالمين أدهشهم ذلك وعجبوا لهذا التحول وأخذوا يتحدثون عن المراحل الماضية من التبعية كأنما كانت تطوراً حقيقياً ،غافلين عن قدرة الأمة الإسلامية على مواجهة الأزمات والعواصف والتى تبدو فى أول الأمر كأنها قبول للمغايرة ثم لا يلبث أن ينكشف جوهرها الحقيقى القادر على التماس الأصالة والعودة إلى المنابع .

ولقد كان الإسلام بوصفه المنهج الربانى الأصيل قادراً على استعادة المسلمين إلى طريق الحق إذا ما انحرفوا عنه، وكان دائماً قادراً على رفض العنصر الغريب، متقبلاً لما يتفق مع منهج التوحيد الخالص وقادراً على صهر هذا الذى يتقبله فى دائرة وجوده الأصيل، من خلال دائرة المتغيرات مع بقاء دائرة الثوابت قائمة .

لقد كان الإسلام على مدى أربعة عشر قرناً قادراً على تقبل عصارات الثقافات والحضارات التى تتفق مع منطلقه ومضمونه الصحيح بوصفه منهج التوحيد الخالص ، وكان فى نفس الوقت قادراً على العطاء ولكنه لم يكن فى يوم من الأيام مبرراً لأخطاء الحضارات أو مدافعاً عن انحرافها أو فى دائراتها .

فهو ـ بمرونته ـ قادر على تقبل مفاهيم التجدد والتقدم والتحديث دون أن يقع فى انحرافات التبعية أو التغريب منطلقاً من مفهوم جامع للمادة والروح والعقل والقلب والدنيا والآخرة من منطلق (الوسطية) الأصيلة .

فالحقيقة أن الأزمة هى أزمة التغريب والتبعية حين ظن البعض أن الأمة قد ابتلعت طعم «الانصهار» ومضت به لتدخل دائرة العبودية للحضارة الغربية التى تقوم على أساس انشطارى ، والتى تتصدع كل يوم نتيجة تجاهلها لمنهج الله تبارك وتعالى وعجزها عن العطاء الحقيقى ، والتى أكدت كل أيديولوچياتها وفلسفاتها قصورها عن تقديم المنهج الذى تتطلع إليه النفس الإنسانية جامعاً بين مطامح المادة وإشراق الروح ، وهو ما دعا إليه كل الذين عرفوا الإسلام من أهل الغرب : من أمثال محمد أسد (ليوبولد ڤايس) وجارودى وبوكاى وجرمانوس وأخيراً (مراد هوفمان) الذى دعا الغرب إلى التماس المخرج من الأزمة التى يمر بها من خلال الإسلام فى كتابه (الإسلام كبديل) وكلهم يتطلع إلى الإسلام كمنقذ للحضارة من الانهيار .

إن الذين يريدون احتواء الإسلام فى أمة الإسلام ويصهرونها فى بوتقة التبعية يجهلون الخطوات التى قطعها الإسلام فى اقتحام قلوب الأمم وعقولها ؛ ليكشف لها عن حقيقة المصدر الربانى لإقامة حضارة التوحيد ودخول الأمم فيها كمنقذ لها من الوثنيات والماديات التى تحاول أن تقتحم البشرية كلها اليوم .

وسوف تنهار هذه القلاع التى بنوها ؛ لأنها لا أساس لها وخطوات الانهيار ما زالت تزحف على هذه الحضارة وأيديولوجياتها من رأس مالية ووجودية واشتراكية وفرويدية ودارونية ؛ لتحل محلها مفهوم الحق ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَق ﴾ (فصلت : ٥٣) .

التربية الإسلامية هى الإطار الحقيقى للتعليم

إن قضية التربية فى العصر الحديث هى واحدة من أكبر القضايا بالنسبة للمسلمين ومن أكبر التحديات التى تواجه مجتمعهم اليوم بأشد الأخطار ، بل إن أغلب التحديات التى تواجه المجتمع المسلم اليوم هى تلك التبعية لمناهج التربية الغربية وانحسار منهج التربية الإسلامى إلى عدد قليل من الأقطار ، وقد كشف أسلوب النقل والاقتباس من البرامج الغربية عن نتائج خطيرة أخرت سير حركة اليقظة الإسلامية وحالت دون قدرة المسلمين على امتلاك إرادتهم وإقامة مجتمعهم الربانى سنوات طويلة .

ومن هنا كانت ضرورة تطبيق مناهج التربية الإسلامية حماية للشخصية المسلمة من الانصهار أو الذوبان أو الاختراق .

ذلك أن التربية الإسلامية تحقق للمسلم مفهوم الحرية الصحيح : المتمثل فى : التحرر من الأهواء والغرائز والنزوات ، وذلك عكس ما ترمى إليه وسائل الثقافة الوافدة التى تقصر الإنسان على الاستجابة للأهواء .

وهى تهدف أساساً إلى بناء الشخصية بالقرآن والتاريخ والقدوة الطيبة وبناء الشخصية بناء أخلاقياً دينياً عقلياً ، هو أساس بناء المجتمع ومصدر القوة فى مواجهة كل تحديات الغزو الخارجى .

وأبلغ مظاهر التربية الإسلامية : « التزكية » : تزكية النفس ، والتزكية تعنى تنمية الروح الأخلاقية ونزعات الخير وفق القاعدة القرآنية :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ (الشمس : ٧ ـ ٩).

وأبلغ ما تصل إليه التزكية : تربية الوازع النفسى القائم فى أعماقها كالدين ، بأن اليقظة تدعوها إلى الخير وتردها عن الشر وتشكل الإرادة الحية القادرة على

الإقناع عن الشر والاندفاع إلى الخير وفق قاعدة الرسول ﷺ الرائعة :

[**طوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر**] .

وليس أصدق من حاجة الأمة الإسلامية إلى بناء مناهج التعليم فى إطار التربية الإسلامية ؛ وذلك أن التعليم هو تزويد الفرد بمجموعة من المعارف والخبرات والمهارات، وما لم تكن هذه العلوم حية ومتحركة فى إطار تربوى أخلاقى دينى عقلى سليم فإنها تفقد وجهتها ولا تكون عاملاً من عوامل البناء والتقدم فى الطريق الصحيح .

ولقد قامت التربية الإسلامية المسلم على أمرين عجزت عنهما التربية الحديثة نتيجة لمصادرها المادية ، وهما قوام الحياة الحقة على هذه الأرض واساس بناء الانسان الربانى ، هذان الأمران هما :

أولاً : الإرادة والمسئولية الفردية حتى يعرف الإنسان أنه قادر على أن يختار بين الخير والشر والحق والباطل وأن يمضى مع موكب الحياة ويضع لبنات جديدة فى ذلك الصرح الحضارى الإنسانى وبدون هذه الإرادة والمسئولية الفردية لا يكون الجزاء الدنيوى أو الأخروى بعد البعث والنشور : هذه المسئولية قائمة على غاية (هى الجزاء : ثواباً وعقاباً) وبدون هذا لا يستقيم عمل الإنسان ولا يعتصم فى دائرة التقوى من شر الأهواء والمطامع.

ثانياً : الالتزام الأخلاقى : الذى يحيط بالإنسان وعمله إحاطة السوار بالمعصم فيدفعه دائماً إلى الطريق الصحيح والشريف ، ويحميه من أخطار المعصية والخطيئة والفساد والانحلال والإباحية ويجعله إنساناً قوياً قادراً على مواجهة كل خطر ، والوقوف فى وجه كل عاصفة .

ومن خلال هذين السلاحين الماضيين رسمت التربية الإسلامية طريقها الحق إلى بناء الإنسان لنفسه رجلاً معتصماً بالإيمان بالله من الخطأ والفساد وعاملاً لأسرته وجماعته دون أن تجرفه المادية الطاغية ، فهو بذلك يكون قادراً على حماية عقيدته ووطنه وأمته من كل ما يتعرض له من تحديات وأخطار ، سواء كانت فى مجال الأرض أو فى مجال الفكر .

أما حين تخلو التربية من قيم العقيدة والأخلاق فإنها لن تكون إلا تبعية شائنة لأهواء الحياة وأخطاء المجتمعات .

والواقع أننا نحن فى حاجة إلى مناهج تربوية تعنى بأمرين :

الأول : غرس الإيمان بالله تبارك وتعالى خالقًا رازقًا فى نفوس الشباب وتزويده بالقيم والمفاهيم الإسلامية الصحيحة وتعريفه بدوره ورسالته فى الحياة باعتباره مؤمنًا بأن الإسلام له مهمة أساسية فى هذه الدنيا ، وهى إقامة مبادئ الحق والعدل والدفاع عن حقوق الإنسان .

الثانى : تحصين الشباب ضد كل فكر منحرف وافد إلى بلاد المسلمين .

نقول هذا : وقد تبين للأمة الإسلامية أن هذه الأزمة الخطيرة إنما جاءت نتيجة إهمالها وتقصيرها فى اتباع منهج الله تبارك وتعالى وأن الله لم يخلف هذه الأمة وعده، ولم ينقض عهده حين قال جل شأنه :

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين ﴾ (الروم : ٤٧) .

وقد لخص الباحثون التربويون خصائص الفكر التربوى الإسلامى فى خمسة عناصر أساسية :

الأصالة ، الفاعلية ، التكامل ، التوازن ، الأخلاق ، فالأصالة هى أصالته فى نظرته الخاصة إلى الإنسان وعلاقاته مع العالم المادى (فالإنسان فى الإسلام يختلف عن مذاهب الغرب (الداروينية فى أوربا ، الماركسية فى الشرق ، الجنس عند فرويد) وهو مستخلف أساسًا ، له وجهة ربانية خالصة .

٢ ـ أما الإيجابية فتعنى الفاعلية والمسئولية الفردية والتزام الأخلاقى فى بناء الحياة والتعرف على سنن الله تبارك وتعالى فى الكون المادى وفى حياة الإنسان .

٣ ـ الشمولية والتكامل : تعنى الإيمان بالجانبين معًا : المحسوس والروحى ، أما الروحى فهو الجانب الذى أغفلته الحضارات المادية .

٤ ـ التوازن فى السلوك بعيدًا عن القلق والطباع .

٥ ـ الأخلاق : إقرار الضوابط الأخلاقية التى تجعل لأعمال الإنسان غاية

ربانية وطريق للوصول إلى الله تبارك وتعالى (عن بحث لمحمد صالح عزيز) .

* * *

وبعد فإن الخطر الحقيقى الذى واجهته الأمة الإسلامية إنما بدأ من التعليم ، وأن اليقظة الحقيقية إنما تبدأ منه ، وأن أول هذه الخطوات تعميم دراسة الثقافة الإسلامية على الجامعات والمعاهد العليا ؛ بوصفها المدخل الصحيح لبناء الإنسان المسلم الذى لا تستطيع قوى الشر أن تحتويه ، سواء أكانت قوى الغزو الفكرى أو قوى الإرهاب والتطرف .

وقد أكدت التحديات الخطيرة هذه الضرورة : ضرورة أن تعود الأمة الإسلامية كلها إلى أسلوب التربية الإسلامى من السنوات الأولى ، ثم يتنوع منها التعليم المدنى : زراعيًا أو تجاريًا أو صناعيًا أو ثقافيًا ، وهذا هو ما يسمى بالتعليم الأصيل ، ثم ينبثق منه التعليم المتخصص ، وأن يقوم منهج التعليم كله فى إطار التربية الإسلامية الجامعة المتكاملة .

وان يصبح الإسلام هو أساس مادة كل المناهج والعلوم والدراسات ، وليس مادة الدين والفقه فحسب ذلك لأنه يمثل وجودًا حقيقيًا فى اللغة العربية وعلم النفس والأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون ، فهو روح كل الدراسات حتى نهاية الجامعة ؛ ذلك لأن الإسلام ليس دينًا بمفهوم الدين الغربى ، ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع ، ولن تستطيع هذه الأمة أن تحقق وجودها وتمتلك إرادتها ما لم تتحرر من التبعية للنفوذ الوافد ، فى نفس الوقت الذى ينفتح فيه الإسلام لكل العلوم التجريبية والثقافات التى لا تتعارض مع مفهوم التوحيد الخالص .

ونحن نعرف أن التربية والتعليم والثقافة هى وجوه ثلاثة لحقيقة واحدة هى تربية العقل والقلب والجسم وأبواب الثقافة الإسلامية مفتوحة على مصاريعها لكل العلوم النافعة ، وكذلك كانت منذ أربعة عشر قرنًا ولا تزال ، تأخذ كل نافع فى العلوم وتحوله إلى طبيعتها وتصهره فى بوتقتها .

وترى أن المعرفة جامعة بين الوحى والعلم ، وأن التربية الإسلامية جامعة روحًا

وعقلاً وجسماً وقومية وإنسانية وفردية وجماعية وخلقية وعقلية وربط بين الماضى والحاضر والمستقبل .

ملحق بالبحث :

ملاحظات على المؤلفات الخاصة بالتربية الإسلامية المقدمة إلى لجنة التعريف بالإسلام لدراستها ومراجعتها أقدمها من قبيل الدعوة إلى ضرورة توسيع نطاق هذه المناهج لتشمل النقاط الآتية :

أولاً : يجب أن يمثل منهج التربية الإسلامية تصوراً كاملاً للتكوين النفسى والعقلى لأبنائنا بمفهوم الإيمان بالله تبارك وتعالى خالقًا ورازقًا إليه يرجع الأمر كله وأنه خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة ، وهذا هو التصور الحقيقى للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى للمسلم وكذلك الإيمان بالغيب والنبوة والبعث والجزاء.

ثانياً : أن تكون الصورة التى يقدمها منهج التربية الإسلامية للرسول محمد ﷺ على نحو يملأ قلوب أبنائنا بحب النبى وتقديره والإعجاب به واعتباره المثل الأعلى لهم وللأجيال كلها .

وذلك بعرض مواقفه في السلم والحرب وسمو خلقه على النحو الذى صوره القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤) .

وأن يتمثل هذا الخلق فى السلوك والعمل وحل المشاكل وقضاء الحاجات والإجابة على التساؤلات على نحو ما وصفته السيده عائشة رضى الله عنها :«**كان خلقه القرآن**» .

ذلك الطالب المسلم إذا امتلأ قلبه بعظمة النبى محمد ﷺ فى هذا السن فإنه لن يجد من البطولات والنماذج التى تعرض عليه ما يدانيه أو يتميز عليه .

وعلى أن يظل النبى محمد ﷺ هو المثل الأعلى للمسلم فى البطولة حياته كلها .

ثالثًا : أن ترسم مناهج التربية الإسلامية (الإسلام) بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع، وأنه قدم للبشرية أعظم نظام وأصدق منهج بحيث لا يتسامى إليه أى

منهج فى الدنيا جميعاً .

وأن يتمثل ذلك فى التعامل والبيع والشراء والعلاقات الاجتماعية وأن يكون العرض قادراً على أن يملأ قلبه بعظمة الإسلام كمنهج تطبيقى فى حياته العامة والخاصة فلا يدانيه أى منهج بشرى .

رابعاً : أن يعنى منهج التربية الإسلامية بالقرآن الكريم من حيث سيرته وتاريخه ونزوله وتفسيره والقضايا التى شملها (وهو فى تقدير بعض رجال القانون أكثر من أربعمائة مسألة) وكيف واجهه المشركون وكيف آمن به الناس وأثره فى الفرس والترك والعناصر المختلفة على مدى التاريخ ، فإن ذلك يعطى الطالب إحساساً بعظمة القرآن وما يتصل به من قضايا ، وما أرسى من قواعد لتنظيم المجتمع البشرى، وأنه من عند الله تبارك وتعالى وخاتم كتب السماء ومهيمناً عليها .

هذا وبالله التوفيق ،

معرفة الله تبارك وتعالى الدعامة الأساسية لمنهج التربية الإسلامية

يقوم منهج التربية فى الإسلام على قاعدتين أساسيتين :

الأولى : أنها تربية شاملة للعقل والقلب والجسم .

الثانية : أنها تربية متخصصة ، يكون فيها الرجل لمهمته والمرأة لمهمتها ، إن هدف التربية الإسلامية هو تخريج أفراد صالحين فكرًا وخلقًا وتطبيقًا لقواعد الشريعة والحكم بما أنزل الله ملتزمين بواحدانية الله تبارك وتعالى وبمساواة البشر وبجوهر العدالة، والاستمرار فى تبليغ الدعوة الإسلامية .

وتبدأ التربية فى المنزل ، ثم فى المدرسة ، ثم فى التعامل مع الناس ، على أن يكون المتكلم واعيًا لمسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى ، متعرفًا على حقوق والديه وأهله وجيرانه ، مقدرًا لعلاقاته الاجتماعية فى التعامل مع الناس فى مجال التجارة والبيع والشراء .

أما المرأة فلابد أن تتعلم كل ما يتعلق بمهمتها فى المجتمع ، وأن تكون مناهج التعليم الخاصة بها مختلفة فى جوانب كثيرة عن مناهج الرجال ، من حيث : تقديم قضاياها الخاصة بمهمتها فى المنزل ومع الزوج ومع الأبناء ومع زملاء العمل ، بحيث يحفظ لها الإسلام كرامتها ويحمى كيانها ، وبالنسبة للطفل فيجب أن يحفظ الأطفال قدرًا كافيًا من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأن يلموا إلمامًا واسعًا بسيرة الرسول ﷺ وتاريخه ، بوصفه المثل الأعلى للمسلم فى حياته الخاصة والعامة وأن يقدم لهم شذرات كافية من السنة النبوية وتاريخ الخلفاء.

وأهم ما يجب تعليمه للنشء معرفة الحق تبارك وتعالى والإيمان به ، حيث يجمع علماء التربية الإسلامية على أن المفهوم الإسلامى للتربية يركز على أن الإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقى للمعرفة ؛ لأنه العالم بكل فرد ، وهو الذى فتح للإنسان باب معرفة الأشياء .

ويقرر الباحثون أن ارتباط التعليم والتربية بالأخلاق عملية مترابطة وأساسية ،

بل إن التعليم والأخلاق هما وجهان لحقيقة واحدة .

ويتلخص هدف التربية الإسلامية فى عدة نقاط أساسية :

أولاً : المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها .

ثانياً : تنمية مواهبه واستعداداته كلها .

ثالثا : توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق .

رابعاً : التدرج فى هذا العمل وتقسيمه إلى مراحل والمحافظة على التوازن فى السلوك بعيداً عن الاندفاع وعن القلق والضياع فى ضوء المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والإيمان بأن مقررات الضوابط الأخلاقية هى الطريق إلى الوصول إلى معرفة الله تبارك وتعالى والالتزام بمنهجه .

والارتباط به تبارك وتعالى فى كل الأموره عن طريق اليقين بأن الأمر كله لله وأن الأمور تبدأ به تبارك وتعالى وتنتهى إليه . إن على شبابنا المسلم أن يواجه الحياة فى إيمان وحكمه ، وأن ينطلق فى اعتدال ويقين صادق بقدرة الله تبارك وتعالى على النصر . وأن يثبت فى مواقع النضال دون أن يجنح إلى الانحراف أو الانفعال ، وعلينا العمل على تحصين الشباب ضد كل فكر منحرف ومغاير للقيم الأساسية التى قدمها الإسلام للبشرية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأن يعرف شبابنا أن بلادنا معرضة لأخطار كثيرة ، فعلينا أن نكون على حذر فيما يقدم إلينا من تراث الشعوب والأم ، وأن يكون ذلك بالعودة إلى منهج الله تبارك وتعالى ، حيث لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وليس معنى هذا أننا نغلق الأبواب ضد الثقافات ، ولكن المسلم دائماً طالب للعلم كما أمره دينه دون أن يحول ذلك بينه وبين القيم الأساسية التى قام عليها دينه .

وهى قيم التوحيد والوحى والغيب والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى مع المحافظة على الذاتية الإسلامية ، وقد لخص الباحثون التربويون خصائص الفكر التربوى الإسلامى فى خمسة عناصر أساسية (على النحو الذى قدمه الأستاذ محمد صالح عزيز) الأصالة / الفاعلية / التكامل / التوازن / الأخلاق .

١ـ فالأصالة ، هى أصالته فى نظرته الخاصة إلى الإنسان وعلاقاته مع العالم المادى، فهو مستخلف أساساً له وجهة ربانية خالصة .

٢ـ أما الإيجابية ، فهى تعنى الفاعلية والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى فى بناء الحياة والتعرف على سنن الله تبارك وتعالى فى الكون المادى وفى حياة الإنسان.

٣ـ الشمولية والتكامل : تعنى الإيمان بالجانبين المحسوس والروحى ، وهو ـ أى جانب الروح ـ الجانب الذى أغفلته الحضارات المادية .

٤ـ التوازن فى السلوك بعيداً عن القلق والضياع .

٥ـ الأخلاق : إقرار الضوابط الأخلاقية التى تجعل لأعمال الإنسان غاية ربانية وطريق الوصول إلى الله تبارك وتعالى .

هذا وبالله التوفيق

التربية الدينية كما ينبغى لها

بمراجعة المؤلفات الخاصة بالتربية الإسلامية المقدمة إلى لجنة التعريف بالإسلام لدراستها ومراجعتها أقدم الملاحظات التالية التى تدعو إلى ضرورة توسيع نطاق هذه المناهج لتشمل النقاط التالية :

أولاً : يجب أن يمثل منهج التربية الإسلامية تصوراً كاملاً للتكوين النفسى والعقلى لأبنائنا بمفهوم الإيمان بالله تبارك وتعالى خالقاً ورازقاً وإليه يرجع الأمر كله ، وأنه خلق الإنسان من تراب ، ثم من نطفة ... كما يجب أن يمثل التصور الحقيقى للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى للمسلم . وكذلك الإيمان بالغيب والنبوة والبعث والجزاء .

ثانياً : أن تكون الصورة التى يقيمها منهج التربية الإسلامية للرسول محمد ﷺ على نحو يملأ قلوب أبنائنا بحب النبى وتقديره والإعجاب به واعتباره المثل الأعلى لهم وللأجيال كلها ، وذلك بعرض مواقفه فى السلم والحرب وسمو خلقه على النحو الذى صوره به القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم :٤) وأن يتمثل هذ الخلق فى السلوك ، العمل وحل المشاكل وقضاء الحاجات والإجابة على التساؤلات على نحو ما وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها (كان خلقه القرآن) .

ذلك أن الطالب المسلم إذا امتلأ قلبه بعظمة النبى ﷺ فى هذا السن فإنه لن يجد من البطولات والنماذج التى تعرض عليه ما يدانيه أو يتميز عليه وعلى أن يظل النبى ﷺ هو المثل الأعلى للمسلم فى البطولة حياته كلها .

ثالثاً : أن ترسم مناهج التربية الإسلامية الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع، وأنه قدم للبشرية أعظم نظام وأصدق منهج ؛ بحيث لايتسامى إليه أى منهج فى الدنيا جميعاً.

وأن يتمثل ذلك فى التعامل والبيع والشراء والعلاقات الاجتماعية ، وأن يكون العرض قادراً على أن يملأ قلبه بعظمة الإسلام كمنهج تطبيقى فى حياته العامة والخاصة فلا يدانيه أى منهج بشرى .

رابعاً : أن يعنى منهج التربية الإسلامية بالقرآن الكريم من حيث سيرته وتاريخه ونزوله وتفسيره والقضايا التى شملها (وهى فى تقدير بعض رجال القانون أكثر من أربعمائة مسألة) ، وكيف واجهه المشركون وكيف آمن به الناس وأثره فى الفرس والترك والعناصر المختلفة على مدى التاريخ ؛ فإن ذلك يعطى الطالب إحساساً بعظمة القرآن وما يتصل به من قضايا وما أرسى من قواعد لتنظيم المجتمع البشرى وأنه من عند الله وخاتم كتب السماء ومهيمناً عليها .

هذا وبالله التوفيق ،

المجتمع المسلم والحضارة الغربية

لقد كانت غزوة الحضارة الغربية للمجتمع المسلم من أكبر التحديات التى واجهت الأمة الإسلامية ، فقد كانت بالغة الأثر على البناء الاجتماعى من حيث إنها حجبت الشريعة الإسلامية وفتحت أبواب الإباحة والتحلل وهدم القيم بإيقاف حدود الله تبارك وتعالى، وقد تأثر البيت المسلم بذلك ، حيث جرى تدمير القيم الإسلامية والحيلولة دون سيطرتها وأذابة المسلمين والعرب فى بوتقة الأمم وإخراجهم من ذاتيتهم الخاصة ، وفرض ثقافة الغرب عليهم وغلبت مداخل الربا إلى الاقتصاد وعملت على تمزيق ثروة الأمة وسيطرة القانون الوضعى ، وكان التعليم هو الخنجر المسموم الذى طعنت به الأمة الإسلامية .

أما المدرسة فقد حجبت عنها المفاهيم الإسلامية التى يقدمها القرآن الكريم والسنة النبوية ؛ حيث فرضت نظرية دارون التى ما تزال تدرس فى أغلب البلاد الإسلامية ، وهى المدخل الأكبر إلى الإلحاد وتدمير الشخصية الإنسانية والتشكيك فى قصة الخلق القرآنية ، وقد أضيفت إليها كثير من نظريات الفلسفة المادية فى العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق ؛ حيث كان التصور أن الإنسان حيوان تحكمه غرائز الجنس ، وتوسعت نظريات الفكر الغربى من جانبيه الليبرالى الرأسمالى والماركسى .

وكانت عملية تدمير الوحدة الإسلامية هى أساس المؤامرة كلها فى محاولة لخلق أقليات تاريخية وثقافية منفصلة تحطم وحدة الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية أساساً .

فقد جرت المحاولة إلى إثارة النعرات الإقليمية والقومية والعرقية وإحياء التاريخ السابق للإسلام ، وعمدت بعض الأقلام العلمانية والتغريبية إلى مناهضة مفهوم الإسلام للمجتمع وضوابطه وخداع المسلمين بمذاهب غربية وافدة بدعوى أن الديمقراطية هى الشورى والإسلام ، وأن العدل الاجتماعى هو الاشتراكية على ما

بينهما من خلافات عميقة وواسعة سعة ما بين المنهج الربانى والفكر والوضعى .

ولكن الفكر الإسلامى فى مرحلة اليقظة ثم فى مرحلة الصحوة استطاع أن يكشف فساد هذه المذاهب المادية ، سواء مفاهيم ماركس أو دوركايم أو سارتر أو فرويد ، وأن يكشف تناقض الكتب المقدسة القديمة وعجز القانون الوضعى وقصوره.

وكان أهم ما عملت الصحوة على كشفه وبيان فساده : إسقاط نظرية العلمانية وفصل الدين عن المجتمع وإسقاط نظرية العنصرية والدماء . كما كشفت الصحوة عن سقوط مفهوم القوميات والإقليميات والماركسية واستحالة اندماج الإسلام فى الأيديولوچيتين : الليبرالية والشيوعية ، وتميز الإسلام بوصفه الدين الحكم الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، كما عملت الصحوة على تحرير فكرة تحرير المرأة التى عمل النفوذ الأجنبى على خداع المرأة المسلمة بها؛ ليخرجها عن المنهج الربانى الذى جعل مسئوليتها فى بناء الأسرة ورعاية الأجيال الجديدة؛ مما أدى إلى عودة المرأة المسلمة إلى الأصالة .

* * *

إن الشريعة الإسلامية هى الأصل والمناهج الوافدة هى الأساليب المستحدثة التى فرضت على المجتمع الإسلامى خلال مرحلة التبعية ، بوصفها تقدماً وعصرية ولحاقاً بالمجتمعات المتمدنة ، لم يقبل المسلمون أساليبها عن اختيار وإنما فرضت مع النفوذ الاستعمارى الوافد بسلطانه السياسى والعسكرى والاجتماعى ، ولكنها عجزت بعد عقدين أو ثلاثة أن تحقق التقدم الذى وعد به أتباعها وكتابه ؛ وتبين أن المنهج الإسلامى أكبر من الأيديولوچيات وأكثر منها عطاء ، وأن الليبرالية لم تحقق سعادة للمجتمع الإسلامى ، ولما جاءت الماركسية عجزت عن العطاء أيضاً .

وتبين للمسلمين فى مرحلة حساب ومراجعة أن منهج الإسلام أكبر من

الأيديولوجيتين وأن المنهج والوضعى هو منهج بشرى قد وضع لمجتمع مختلف ، وأنه فكر بشرى يمكن أن يكون رد فعل لواقع كالمجتمع الغربى ، ولكنه لا يصلح للمجتمع الإسلامى الذى تشكل فى قلب المنهج الربانى خلال أربعة عشر قرناً .

وتبين للمسلمين أن العدل الاجتماعى الإسلامى يختلف عن الاشتراكية، وأن الشورى تختلف عن الديمقراطية ، وتبين قصور المنهج الاجتماعى فى مجال علاقات الآباء والأبناء ، وفى التعامل بين الرجل والمرأة ، وفى التعامل الاقتصادى ، وجاءت العلوم الاجتماعية الغربية لتقدم للمسلمين تصوراً مختلفاً عن مفاهيم الأخلاق والنفس والاجتماع ، وكان الفارق الواسع والعميق بين المنهج الغربى الوضعى الوافد وبين المنهج الإسلامى ذلك العامل الأساسى الأصيل : « **أخلاقية المجتمع** » فقد أقام الإسلام منهجه على أساس الأخلاق التى هى جزء من العقيدة الإسلامية، فالإسلام عقيدة ومعاملات وأخلاق، والأخلاق فى الإسلام من الثوابت التى لا تتغير مع تغير الزمان أو البيئات .

وهنا موضع الخلاف الواسع والعميق مع المنهج الغربى الذى يتحدث عن (نسبية الأخلاق) ويربطها مع التطور ، بينما يجعلها الإسلام من القواعد الثابتة .

ومن هنا كان تحريم الإسلام للخمر والربا والقمار وتحريم الزنا وإقامة الحدود ، وكان موقف الإسلام من مفاهيم الغرب عن الإباحية الاجتماعية وإعلان عدم فطرية الأسرة أو فطرية الجريمة ، ومن هنا كان مقاومة الإسلام للترف والتحلل الذى يحطم المجتمعات والشباب ويفرغ الأمم من طاقات المقاومة والرباط وحماية الثغور ، أيضاً كان رفض الإسلام للقوانين الغربية الخاصة باللواط وزواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتشار الفسوق والفجور ، وقد تبين أن أعظم المجتمعات الغربية ثراء هى أكثرها تدميراً بتعاطى المخدرات وكثرة الانتحار .

ومن هنا كانت حماية القيم الأخلاقية من ثوابت المجتمع التى يجب الدفاع

عنها وحمايتها ؛ حتى لا تسقط ، والتى هى أساس (هوية الأمة) وخصوصيتها الذاتية .

ولقد قدم القرآن تصوراً كاملاً لسقوط الأمم التى تخرج عن طاعة الله والتى تغرق فى الترف والفساد والخلقى ، ولقد سقطت ثلاث حضارات كبرى قبل الإسلام نتيجة الانهيار الخلقى والفساد والاجتماعى ، وهى اليونانية والرومانية والفارسية .

* * *

هذه المقولات التغريبية المطروحة فى محاولة لجعلها مسلمات فى الفكر الإسلامى نرى أنها غير مقبولة .

أولاً : فساد مقولة أن الإسلام تراث قديم ، وأن الرجوع إليه والدعوة إلى ابتعاثه تمثل مخالفة لروح التطور والتعبير .

إن هناك الإسلام : هو الميراث الربانى الخالد الذى لا يغيره الزمن ولا تنال منه الأحداث ، فهو من الثوابت التى لا سبيل إلى تجاوزها أو تجاهلها .

أما أساليب التطبيق وعوامل الالتقاء مع المتغيرات فذلك شأن آخر يمكن أن يضع الإسلام فى كفة المتغيرات ؛ وبذلك يمكن التجاوز عن أصل من أصوله فى سبيل قبول مفهوم العصر أو التقدم .

ومن هنا فليس ما يطالب به المسلمون اليوم هو إحياء للتراث ، وإنما هو شريعة الله الخالدة المنزلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأن فى إمكان القانونيين والمشرعين المسلمين أن يقدموا منهجاً مرناً يحقق ثوابت الإسلام ومتغيرات العصر .

ثانياً : خطأ مقولة أن الإسلام الذى ندعو إلى تطبيقه من شأنه أن يكون عائقاً دون التقدم والتنمية ، فالإسلام يؤكد أنه كان العامل القوى والأكيد للتقدم على

مدى العصور.

ثالثاً : لا يمكن أن تقوم نظرية المعرفة الإسلامية إلا بالجمع بين الوحى والعقل، وأسلمة المعرفة والعلوم فى العصر الحديث توضح مكانة الوحى (أو النص) كمصدر للمعرفة وتكاملها مع العقل والتجريب ، فالوحى أساس مكين فى قاعدة المعرفة .

وهذا التصور فارق واضح بين الثقافة الإسلامية بوصفها منهجاً ربانياً جامعاً بين قبضة الطين ونفخة الروح التى تشكل عليها الإنسان أساساً ، وبين مفهوم المعرفة التجريبية التى تتوقف مفاهيمها عند العقل والحس وحده .

ولقد عمد المستشرقون والمبشرون إلى تقديم نظريات غربية تعارض هذا المفهوم الجامع الإسلامى الأصيل وتحاول أن تقصر المعرفة على مفاهيم العقل والعلم وحدهما كمصدر للمعرفة ، والهدف هو محاولة تغبير هوية الأمة والقضاء على أصالتها .

رابعاً : ليس صحيحاً ما يدعيه الفكر الغربى من أن العقلية الإسلامية عقلية غبية بشكل مطلق ، وكيف يمكن لعقلية غبية أن تنتج علماً ومنهاجاً وتحليلاً ونقداً على النحو الذى قدمه الإسلام (وهو صاحب المنهج التجريبى أساساً ومنهج المعرفة ذى الجناحين) لقد استطاع المسلمون أن يجمعوا بين ما قدمه القرآن من غيب ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ (البقرة :٣) وما يسمى بالاستقراء فقد عرف المسلمون الملاحظة والتجربة والمشاهدة ، بينما عرف علماء الغرب مفاهيم الحس والعقل وحجبوا عن أنفسهم علوم الغيب التى أطلق عليها « ما وراء العقل » أو الميتافيريقا .

خامساً : لا يقر الفكر الإسلامى مقولة العقول الثلاثة : (البيانى والعرفانى والبرهانى) ولا يقر غلبة البرهان والعرفان ، فهى مقولة استشراقية ، فالعرفان عندهم يقصد به ما يسمى الفكر الباطنى الذى كان يعرف قبل الإسلام بالفكر الوثنى اليونانى (علم الأصنام) أما البرهان فهو عندهم الفكر العقلانى ومفاهيم المعتزلة .

أما الإسلام فله منهجه الجامع القائم على بيان القرآن وبلاغته وارتباطه بالسنة النبوية، وهو قائم على حقيقة البرهان والتجربة والغيب .

مقولة العقول الثلاثة مقولة استشراقية مضللة قالها الفيلسوف الفرنسى (التوسير) ورددها الجابرى الذى تأثر بها فى نظريته عن الفكر العربى بالفكر الفلسفى الفرنسى .

أما محاولة إحياء الفكر الغنوصى والوثنى والباطنى تحت أسماء جديدة خادعة فنحن لا نقبله ، فالإسلام قد أقام الفكر على أساس التوحيد الخالص وقدم منهجاً كاملاً فى هذا الصدد .

أما سيطرة البيان أو العرفان فى مرحلة من المراحل فقد جاء لأسباب تاريخية سياسية وغير مطلقة .

فقد استعلى الفكر العقلانى (المعتزلة) حيناً ، ثم سقط ، كما استعلى الفكر الوجدانى (التصوف الفلسفى) مرحلة ، ثم سقط أيضاً ، وتأكد فى العصور الأخيرة مفهوم أهل السنة والجماعة وقامت الصحوة الإسلامية على أساس منهج القرآن الجامع .

هذا وبالله التوفيق ،

الإسلام والعلوم الاجتماعية والإنسانية
مقارنة بين نظرة الإسلام ونظرة الغرب

تختلف نظرة الفكر الغربى عن نظرة الفكر الإسلامى فى مسائل كثيرة أهمها : الإنسان ، ومن خلال مفهوم الإنسان يتحدد دور النظريات الأخلاقية والفلسفية والاجتماعية فى كل من المنهجين ؛ حيث يقوم المنهج الغربى على مصادر ثلاثة هى :

(١) الفلسفة اليونانية .

(٢) القانون الرومانى .

(٣) الوصايا المسيحية

ولقد كان لاضطراب مفهوم (الدين) فى الغرب أثره فى قيام نظريته عن الإنسان، وهى نظرية تختلف فى مفهوم الفلسفة اليونانية التى تقوم على عبادة الجسد عن نظرية الرومان التى تقوم على شرعية الرقيق إلى مفهوم المسيحية الغربية التى تقوم على أساس الإنسان الخاطئ نتيجة الخطيئة الأولى ووفق هذا ومن خلاله تكونت مفاهيم الاجتماع والأخلاق والنفس وتأثرت ، وكان لسيطرة اليهود التلموديين على مناهج الدراسة فى الجامعات أثرها فى فرض مفاهيمهم التى ترسموا خطة نشرها فى (الجوييم) وهم من غير اليهود ؛ وذلك لإبادة الجنس البشرى وتدميره قبل السيطرة على قيادة العالم ، وإذا كان أساس الفلسفة المادية هو:

إنكار الجانب الروحى والمعنوى بما فيه الدين والغيب والوحى إنكاراً تاماً ، فإن ذلك قد فرض طابعه على هذه النظريات التى ادعى أصحابها أنها (علم) ، بينما قامت الأدلة الأكيدة على أن هناك فوارق عميقة بين الفلسفة والعلم التجريبى من ناحية والعلوم الإنسانية من ناحية أخرى ، فإذا كان هذا الاضطراب قائماً فى مجال الفكر الغربى نفسه فإن هناك اضطراباً أشد قوة بين هذا الفكر بجملته وبين الفكر

الإسلامى القرآنى المصدر ، وذلك بعد أن طرحت مفاهيم الفلسفة المادية ومفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع فى معاهدنا ؛ حيث تتسع شقة الخلاف بين فكر ربانى جامع يقوم على أساس التكامل بين مادية الإنسان وروحانيته وبين فكر انشطارى لا يعترف بعالم الغيب أو الوحى أو الروح أو المعنويات ويفسرها تفسيراً مادياً .

وهناك أيضاً عاملان مُهِمَّان فى هذا المجال :

أولاً : عامل البيئة المختلفة : البيئة الغربية بكل تحدياتها واختلافها مع الكنيسة، ومن ثم مع مقررات المسيحية وبين البيئة الإسلامية التى تصدر عن يقين كامل عن الإسلام الذى لا توجد بينه وبين العلم عداوة ، بل إن الإسلام هو الذى أعطى العلم منهجه الذى مكنه من بناء قاعدة التجريب .

ثانياً : عامل العصر : الذى يختلف عن علوم صدرت عن حضارات متقدمة وعن تطورات واسعة وعن مفاهيم متغايرة خلال خمسة قرون من النهضة الأدبية وبين عصر اليقظة التى تجرى بخطوات وئيدة نحو تصحيح مفاهيم واستعادة ذاتيته الخاصة بعد أن حاصرته : رياح السموم والتغريب والغزو الثقافى ، فكيف يصح فى الأذهان : أن يتقبل المجتمع الإسلامى هذه النظريات ، وهو ما يزال يحتفظ بقيمه ومفاهيمه وأخلاقه وأسلوب عيشه الخاص (مفرقًا بين الحضارة والمدنية أو بين القيم الإنسانية والتقدم المادى والصناعة) .

خضوع العلم للسياسة :

ومن خلال الاختلاف الواضح العميق بين مفهوم الإسلام للإنسان والنفس والأخلاق والاجتماع وبين مفهوم الغرب ، يتبين أن العلم فى الغرب ليس محايداً ، ولكنه منحاز ، فهناك مفهوم اجتماع للأيديولوجية الغربية الرأسمالية اللبيرالية وبين الأيديولوجية الماركسية الاشتراكية ، وهو بهذا ليس علماً بمفهوم العلم الصحيح ، ولكنه منهج يعمل فى خدمة هذا النظام أو ذاك وما يتصل به من تثبيت

سلطانه ونفوذه فى عالم المستعمرات أو البلاد الخاضعة له اقتصادياً .

ومن هنا فقد أشار كثيرون إلى أن علم الاجتماع الأمريكى مثلاً لم يقف عند حدود مجتمعه ، وإنما تعداه إلى بحوث استهدفت مقاومة التغيير فى العالم الثالث وضرب الحركات التحررية ـ بحكم ما كان ـ وأثبت علماء آخرون ارتباط البحث الاجتماعى فى الغرب بأدوات السياسة والقوة العسكرية وأن بحوث علم الاجتماع تستخدم كوسيلة فى النزاع العالمى وتثبيت تبعية العالم الثالث للنظام الرأسمالى فكراً وتوجيهاً ، كذلك فإن الفكر الماركسى الاجتماعى يقوم أساساً على كشف خلافات وتناقضات المجتمع الرأسمالى على وجه العموم .

ومعنى هذا كله أن علم الاجتماع فى الغرب ـ رأسمالياً واشتراكياً ـ ليس علماً أصلاً ، وإنما هو منهج سياسى داخل المجتمعات الغربية لخدمة أهداف النفوذ والسيطرة وفى داخل المعسكر الماركسى كذلك ، ومعنى هذا أن علم الاجتماع بصورته الحالية هو علم « تبرير الواقع » يقول دكتور عبد الباسط عبد المعطى فى كتابه (اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع) :

إن دور كايم وفيبر ومن قبلهما أوجست كونت أرادوا جميعاً التنظير لصعود الرأسمالية الأوربية والمحافظة على منجزاتها وتبنى توجه ليبرالى مغال فى الفردية التى هى جوهر المشروع الرأسمالى ، وأن رواد علم الاجتماع لم يكونوا قادرين على وضع نظرية شاملة ، وأنهم خضعوا لمجتمعاتهم ولتحديات عصرهم وبيئتهم فى حدود فرنسا وألمانيا ؛ وبذلك جاءت ملاحظاتهم متعايشة مع الوقع متجددة به .

كما أن هؤلاء جميعاً كانوا منظرين للطبقات الحاكمة والمسيطرة ، فتحول العلم عندهم إلى تحكم ذى بعد واحد قضى على واحدة من خصائص العمومية ، أى نسيج البناء الاجتماعى بطبقاته وجماعاته وقطاعاته ، وأنهم اتخذوا جميعهم موقفاً تبريرياً من أوضاعهم الاجتماعية .

وتلك أقوى مقاتل علم الاجتماع الذى نقله المسلمون فى مدارسهم وجامعاتهم وحاولو أن يصوغوا مجتمعاتهم على ضوئه الكئيب .

ومن هنا فقد أنكر علماء منصفون قدرة علم الاجتماع الغربى فى الوصول إلى قواعد عامة للتطور الاجتماعى .

وهذا الذى يقال عن خضوع العلوم الإنسانية يقال بالنسبة لما يسمى علم الإنسان (الأنثربولوچيا) الذى خدع الكثيرين اليوم ويظنون أنه علم خالص ، فقد تكشف من خلال عديد من أبحاث جادة ، أن هذا العلم ينطوى فى تطبيقه فى بلاد الإسلام على مؤامرة خطيرة تمسك الصهيونية التلمودية خيوطها من أجل تحقيق أهداف خطيرة ، فقد أخذ علم النفس الاجتماعى (بيلز) الذى يوجد وجود تعارض بين قضايا البحث الأنثربولوجى والأخلاق ، فقد حكم على الأنثرويولوجيا الارستقراطية اللا أخلاقية للأسباب التى أوضحها ، ومنها: أن الطريقة فى البحث الأنثربولوجى القائم على الملاحظة الشخصية يعتمد على الانطباعات الذاتية ، وكل ما هو ذاتى ليس موضوعياً ، علماً بأن الأنثربولوجية كما يقول دكتور زيدان عبد الباقى قد نشأت بتشجيع ورعاية الاستعمار؛ لكى يتمكن من قهر الشعوب المختلفة وامتصاص ثرواتها تحت زعم العمل على الرضى عنها ، وهذه الأنثربولوجيا لا يقرها قانون الأخلاق ، كما يؤكد ذلك علم الاجتماع . إن حركة التحرر جعلت من الاستعمار عملية غير مربحة ، ومن ثم كف الاستعمار عن تحويل الأنثريولوجية ، وبالتالى فلا يجوز للجامعة أن تحل محل الاستعمار فى تمويل الأنثربولوجية ، إن وظيفة أنثربولوجى لا توجد إلا فى البلاد الاستعمارية .

من هذين الوثيقتين يتبين بكل وضوح أن العلوم الإنسانية التى تستخدم فى بلاد المسلمين وفى سبيل تحقيق غايات ترسخ النفوذ الأجنبى وتدمر أسس الإدارة الخاصة .

وهذا جانب خطير يجب ألا يغفل عنه الباحثون فى هذا المجال .

ومن ناحية أخرى نجد التعارض الواضح بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم العلوم الاجتماعية ، وفى مراجعة لفكر الأربعة الكبار فى علم الاجتماع . (أوجست كونت ، دوركايم ، ماكس فيبر ، ليفى بريل) نجد أن القاعدة الأساسية لهذا العلم

ولعلم النفس والأخلاق هى نظرية دارون التى تقول : إن الإنسان حيوان ناطق ، وتدرجه فى نظام الحيوان ، وتعرض عليه أحكامه متجاهلة جوانبه الروحية والمعنوية التى هى أساس النظرية المادية بالإضافة إلى التفسير المادى للتاريخ.

وقد حرص هؤلاء العلماء على أن يكون :

(١) علم الاجتماع أداة للمحافظة على الواقع القائم وتأكيد السلطة القائمة.

(٢) أن يكون كالعلوم الطبيعية .

(٣) ويرى هؤلاء أن على الإنسان أن يتواءم مع ما هو قائم وليس له من الإرادة ولا يجب أن تكون له أية إرادة .

وهذه كلها مفاهيم لا يقرها المنظور الإسلامى الذى يرى فى علم الاجتماع أداة تغبير وإصلاح ، وأنه علم إنسانى له منهجه الخاص المختلف مع العلوم الطبعية وأن للإنسان إرادة حرة ، وأنه قادر على الاختيار بين النجدين وقادر على التغيير .

وهذا هو العنصر الخطير الذى تختلف فيه مفاهيم الإسلام للعلوم الإنسانية مع مفاهيم الفكر الغربى ، وهو عنصر الجدية المطلقة للفرد فى إطار المجتمع ومحاولة الإقرار بعجز الإنسان عن تغيير المجتمع وضرورة خضوعه له ، وقوله : إن العامل الفعال الذى يؤثر فى المجتمع هو البيئة الاجتماعية ، ومعنى هذا إلغاء كامل لدور الفرد وإرادته ومسئوليته الفردية التى بنى عليها عمله فى الدنيا وحسابه فى الآخرة .

* * *

ولاريب أن إنكار مسئولية الفرد ودوره فى سبيل تغيير المجتمع هو أخطر أوجه الخلاف :

(١) فدور كايم يرى أن الفرد لا قيمة له ، ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية، وإنما القيم كلها للمجتمع ، وأن الدين قد خرج من الأرض كما خرجت الجماعة كلها ، (عبارة طه حسين بالنص) فضلاً عن فكرة التطور المطلق ،

والإسلام يعارض هذه المقررات كلها ويرفضها تماماً ، فهو يقر المسئولية الفردية ودور الفرد وقيمه وربانية الدين المنزل .

كما تذهب مقررات الاجتماع والنفس والأخلاق إلى تفسير الإنسان وفق مذهب المادة وعالم الحيوان فى مواجهة مفهوم الإسلام الذى يكرم الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ الآية (الإسراء : ٧٠) فضلاً عن تكامل المنهج الربانى بين المادة والروح ، ومن أكبر أخطاء دوركايم دعواه الباطلة بأن الجريمة هى الفطرة وأن الدين والأسرة ليسا من الفطرة .

وهكذا نصل إلى الغاية نفسها التى كشفنا عنها من قبل، وهى أن هذه العلوم لا تملك مقومات العلم الصحيح وإنما هى أيديولوجيات ذات هدف أساسى، هو تبرير النظام الغربى وإحكام سيطرته على مجتمع الإسلام، وهى مفاهيم تسوق الإنسان لا محالة إلى دماره المادى والمعنوى .

* * *

فإذا رجعنا إلى أحدث الأبحاث فى مجال العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية وهو كتاب (حدود العلم) لعملاقه الكبير (سوليفان) نجده يصور مفاهيم النفس الغربية على أنها مجموعة من الأكاذيب حيث يقول :

إن علم النفس لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن ، والمعارف الأخرى مثل علم الاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك، بعض النواحى التى لا تعتبر مرضية من وجهة نظر العلم، والعلم أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادى ، أما مقولاته فى الموضوعات فتعتبر نسبياً ضعيفة وملجلجة .

وقد وجد سوليفان نقوداً عديدة إلى النظرية يتبين منها أنه لا يمكن أن نغتر بحال مسلمة نهائية تحل اللغز المتعلق بعمل العقل ، لقد ركز فرويد على الرغبات

الجنسية المكبوتة، بينما ركز علماء آخرون على دوافع رغبات أخرى ، ومن هنا فإن معطيات التحليل النفسى لم تلق إقراراً عاماً من قبل علماء النفس بأن النظرية فى حقيقة الأمر ، تركيب شديد التعقيد ، وقد قللت وفرة الفرضيات التى انطوت عليها هذه النظرية الكثير من قيمتها بدرجة الثقة بها فى أعين الكثيرين ، وينتهى سولفيان (إلى أنه ليس فى نظريات علم النفس كافة شيء من شأنه أن يغير جدياً من قناعتنا بأن هذا العلم لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن) أ هـ .

والعلم هو أقوى ما يكون عندما نتناول العالم المادى، أما مقولاته فى الموضوعات الأخرى فتعتبر نسبياً ضعيفة وملجلجة ، وهى نفس النتيجة التى انتهى إليها (إليكس كاريل) فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول) . إن السيطرة على عينة من العالم المادى لغرض فهمها ممكنة إلى حد ما، أما السيطرة على عينة يدخل فيها الإنسان والعقل والحياة طرف فتكاد تكون مستحيلة .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء : ٨٥) .

حول الإعجاز القرآنى فى ميدان العلم

يقول الدكتور إدوارد لوثركيل (أخصائي علم الحيوان والحشرات بالولايات المتحدة) :

يعتقد بعضهم أن هذا الكون خالق نفسه على حين يرى البعض الآخر أن الاعتقاد فى أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد فى وجود إله أزلى .

ولكن القانون الثانى من قوانين الدنياميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأى الأخير، فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليًا فهناك اشتعال حرارة مستمد من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية، بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارة .

ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب معين الطاقة، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيمياوية أو طبيعية، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها فى هذا الكون، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيمياوية والطبيعية تسير فى طريقها فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون «لا يمكن أن يكون أزليًا. وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط هذا الوجود».

وهكذا توصلت العلوم دون قصد إلى أن لهذا الكون بداية، وهى بذلك تثبت وجود الله تبارك وتعالى؛ لأن ما له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ولابد له من مُبْدِئ أو من محرك أولى أو من خالق وهو الإله .

كَذلك أثبتت العلوم فوق ذلك أن الكون قد بدأ دفعة واحدة منذ خمسة ملايين سنة، والواقع أن الكون لا يزال فى عملية انتشار مستمر تبدأ من مركز نشأته.

ومن أعظم معطيات الكشوف العلمية التى تفسر « إعجاز القرآن » الذى نزل به الوحى منذ أربعة عشر قرناً سقوط نظرية أن الكون خالق نفسه أو أنه دائم سرمد إلى ما لا نهاية ، وهما الأكذوبتان الكبيرتان اللتان اختلقهما الفكر المادى .

ويقول دكتور سيسل هامان العالم البيولوجى : إن المكتشفات العلمية أدلة ناطقة على وجود الله تبارك وتعالى ، أينما اتجهت ببصرى فى دنيا العلوم رأيت الأدلة على التصميم والإبداع وعلى القانون والنظام بما يؤكد وجود الخالق الأعلى . سر فى طريق مثمر وتقبل بدائع الأزهار واستمع إلى تغريد الطيور ، وانظر إلى عجائب الأعاشر (جمع عشيرة) فهل ذلك كله محض مصادفة .

ما أكثر ما وصل إليه الإنسان من إجابات على أسئلة، ولكن زيادة المعرفة لم تصل بالإنسان ـ بكل أسف ـ إلى زيادة معرفته بالله تبارك وتعالى ، على نقيض ذلك يظهر أنه كلما أحس الإنسان أنه أحاط بسر من أسرار الكون أحدث ذلك فى شعوره الحاجة إلى الإيمان بالله، وكان الأجدر بالبشر أن يدركوا أن هذه الاكتشافات ليست إلا أدلة ناطقة على وجود الله مدبراً من وراء هذا الكون .

عودة الأمة الإسلامية
إلى الأصالة ومنهج الله

يجب أن نكون على ثقة لا تتزعزع بأن الإسلام نجم صاعد فى سماء البشرية منذ فجر تلك اللحظة التى أذن الله تبارك وتعالى بأن يضىء نوره العالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

ويرتبط هذا تماماً بأنه خاتم رسالات السماء وأنه رسالة البلاغ للعالمين وأن الله تبارك وتعالى سيظهره على الدين كله .

وأن الإسلام فى كلا مرحلتيه الأساستين : مرحلة الزحف والفتح ثم مرحلة الضعف والتجدد بعد جولة واسعة ـ ذلك أمر طبيعى وتلك سنة الله تبارك وتعالى التى لا تتخلف ـ قد استطاع فى خلال أقل من قرن (ثمانين عاماً) أن يبسط رواقه على كوكب الأرض من حدود الصين إلى قلب أوربا وإلى جنوب أفريقيا ، فى زحف كاسح تتفتح له أبواب القلوب وتسلم له النفوس حين زحزحها عن الوثنية والعبودية وحررها من ظلم الحضارات والرق وحين حررها ثم تركها تقبل دعوته أو تقيم على عقيدتها دون أن يفرض عليها شيئاً .

وحين جاء فتح لها أبواب الحرية ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وأعلن أن الناس لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، وحرر المرأة، ورد لها حقها فى مالها ونفسها، وأضاء البشرية ألف عام كاملة، وهو حين دعاها إلى حرية الفكر فتح لها أبواب العلم والبرهان العلمى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (البقرة : ١١١)، وأنشأ لها من مصدر القرآن « المنهج التجريبى الذى أقام الحضارة والعلم خالصاً لولا أن انحرفت به أوربا إلى أهواء النفس والتراجع بالإنسانية إلى عبودية الرومان واليونان (روما سادة وما حولها عبيد) .

وحين أعادت أوربا إحياء الوثنية (علم الأصنام) وغلفت ذلك كله بأغلفة

خادعة ولكنها اضطرت على مر السنوات إلى الاعتراف بأن ما أخذ من الإسلام وتم حجبه وإقامة (مؤامرة الصمت) لم يكن ليخدع أحداً ، واضطر كثير من علماء أوربا فى الآونة الأخيرة أن يعترفوا بفضل الإسلام وعلماء الإسلام، وما يزال العلماء المنصفون يعلنون هذه الحقائق.

ولعل آخر من اعترف منهم علماء الوراثة من سبق علماء المسلمين لنظرية (مالتوس) وسبق علماء المسلمين لكشف الدورة الدموية (ابن النفيس) وكشف الأطباء عن دورة الجنين فى بطن الأم، مما أطلق عليه القرآن قبل ذلك بخمسة عشر قرناً (الظلمات الثلاثة) وما يجريه ـ اليوم ـ علماء الغرب من الكشف عن فساد (نظرية الربا) وأثرها الخطير على ما يقاسى المجتمع المعاصر وحضارة الغرب كلها من فساد واضطراب .

لقد أعطى الإسلام كثيراً وكتب وجوده الخالد؛ لأنه أصلح البشرية وكشف عنها فساد الوثنية والإباحية .

فالكلام عن مستقبل الإسلام لا يحتاج إلى تأكيد، فقد مضى الزمن الذى كان يواجه الخطر ، ولكنه ما يزال فى حاجة إلى حشد أتباعه وأبنائه والمؤمنين به للدفاع عنه وحمايته من محاذير التبعية ومحاولة الاحتواء وخطر الاختراق، فتلك هى أزمته القائمة اليوم والتى لا تحتاج إلى عودة المسلمين إلى الوحدة الجامعة ونبذ التحلل الخلقى الذى يحاول أن يتفشى فى مجتمع المسلمين فى محاولة لتدميرهم

إن غزوة التغريب والغزو الثقافى التى بدأت بعد هزيمة الحروب الصليبية والتى فرضت وجودها على كيان المسلمين بعد ألف عام من المقاومة ، هذه الغزوة اليوم تجمع أطرافها فى محاولة أخيرة لن تكون إلا أشد هزيمة ـ بإذن الله ـ فما تزال الصهيونية تواجه المسلمين بمحاولات الغزو وتجعل الدعوة إلى (وحدة الأديان) والحوار فى مقدمة مؤامراتها، ولكن هزيمتها لم تزل متحققة بعد أن ارتفعت

الغشاوة عن عيون المسلمين الذين عرفوا (أبعاد المؤامرة) التى تراد بهم والتى تتمثل فى كثير من محاولات تقليص التاريخ الإسلامى واللغة العربية وتوسيع دائرة التحلل والاختلاط والفساد الخلقى ، وتجرى محاولات كثيرة لوضع الإسلام بديلاً للشيوعية التى سقطت، ولكن الأمر يختلف كثيراً فلم يكن الإسلام يوماً عدوانياً ولا ظالماً، ولكنه كان عطاء الخير والضياء والنور للعالمين.

وسيثبت الإسلام فى موقعه ولن يتراجع أو يتقهقر حتى يجمع قواه ويمتلك إرادته ويقيم مجتمعه الربانى ويستأنف حضارته التى تحمل السلام الاجتماعى والأمن النفسى للبشرية جميعاً .

فالمؤكد أن الإسلام لن ينهزم فى وجه المتغيرات الدولية، ولكنه سوف يقدم لها ضياء القرآن كما قدمه من قبل .

والسؤال هو : هل استطاع مشروع التغريب والغزو الكفرى والثقافى الذى بدأه الغرب بعد الحروب الصليبية وأقامه خلال قرنين كاملين، ثم جاءت بعد ذلك الحملة الفرنسية ، هل استطاع أن يحقق الهدف الذى طمع الغرب فيه أساساً، وهو تحويل الإسلام إلى دين لاهوتى؟ وتفريغه من منهج الحياة ونظام المجتمع أو فرض فكرة العلمانية المسمومة. والرد على شبهات المستشرقين والمبشرين جاء دعوة إلى التأصيل وإقامة البدائل تحت عنوان عريض هو (أسلمة العلوم المناهج والمعرفة والثقافة) وجرى مراجعة المصطلحات الوافدة وكشف حقائقها وتقديم (البدائل الإسلامية الأصيلة. كما بدأ الكشف عن ضوابط أساسية لإحياء التراث الإسلامى والكشف عن أنه يختلف اختلافاً عميقاً عن التيار الغربى؛ لأن التراث الإسلامى مرتبط بالميراث الإسلامى الأصيل: القرآن والسنة .

ولقد تحققت عدة عوامل تؤكد «أصالة التراث الإسلامى » منها ما كشف عنه بوكاى وأطباء الجنين ومنهج العلم التجريبى والنظريات الإسلامية التى قامت عليها الحضارة المعاصرة فى مجالات الفلك والبحار والكيمياء وذلك قبل أن

يحولها أصحابها إلى الاتجاه الوثنى المادى وربطها بالفلسفة اليونانية التى هى علم الأصنام .

وكان الجهاد الإسلامى فى فلسطين والجزائر وأفغانستان والعاشر من رمضان علامات مضيئة على فهم هذه الأمة للمرابطة فى الثغور .

وجاءت الظاهرة الثالثة فى كتابات علماء الغرب عن الإسلام، سواء منهم من أسلم (ليوبولد ڤايس ، بوكاى ، جارودى ، عبد الكريم جرمانوس ، إتيان دينيه ، محمد أسد، مراد هوفمان) ومن لم يسلم (كارليل ـ جوستاف لوبون ـ سجريد هونكه) هذا فضلاً عما كشف عنه علماء الغرب من ملاحظات وأخطاء وزيوف فى المذاهب الغربية مما يتعارض مع الفطرة الإنسانية .

وما يدخل فى دائرة (التمويه) وخدمة أهداف النفوذ الغربى والأديان المختلفة.

وكان أكبر آثار هذا الفهم والتحول : سقوط الشيوعية فى السنوات الأخيرة؛ مما كشف عن فساد المنهج الغربى كله والفلسفة المادية عامة على النحو الذى كان معروفاً فى فساد اللبيرالية، وتطلع أهل الغرب إلى منهج جامع بين الروح والمادة والعقل والقلب، ويعطى الروح الإنسانية سلاماً، وقد رشح عشرات من العلماء: الإسلام وحده بوصفه الدين الخاتم، الذى وعد الله تبارك وتعالى أن يظهره على الدين كله لتحقيق هذه الغاية اليوم ، لقد سقط الفكر الماركسى، ولكن أتباعه تحولوا إلى خدمة أهداف الماسونية والمادية .

كل هذا يؤكد تلك الحقيقة الإسلامية : (ما زال نجم الإسلام يصعد)

ولعل أهم الحقائق التى تكشف فساد الفلسفة المادية وتؤكد مفاهيم القرآن هزيمة نظريات دارون وفرويد وماركس ودوركايم، وهى كبرى أسس الفكر الغربى الحديث ، أما حقائق الإسلام التى سجلها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً فهى تتكشف اليوم بين أيدى علماء التجريب وخاصة فى مجال خلق الإنسان وفى قيام الأمم والمجتمعات وسقوطها وفى نشأة عشرات العلوم .

ولقد جاء عشرات العلماء والمفكرين الغربيين ليسجلوا عظمة الإسلام المتجددة

وعطاءه الوافر وتصديقهم لحقائقه وإيمانهم بكل ما جاء به، ومنذ وقت طويل أعلنوا تقديرهم للشريعة الإسلامية وتميزها عن القانون الرومانى الغربى .ولم يعد يقف فى وجه الإسلام ويحمل عليه اليوم إلا أعداء الإنسانية وأصحاب المطامع المتطلعين إلى السيطرة .

وما يزال الإسلام قادراً على أن يقدم نفسه للبشرية فى هذه المرحلة من التاريخ الإنسانى كما قدمها من قبل بوصفه محررها ومنقذها من الخطوب والأزمات التى تتصاعد وتنعقد فى أفق العالم المعاصر، وهو حين يقدم نفسه اليوم لا يتطلع إلى السيطرة أو العدوان، ولكنه يرغب فى إشاعة روح الأمن والإيمان بعد أن قاست البشرية كثيراً من عوامل الرعب والفساد والاضطراب الذى يجتاحها .

وهو لا يعرض نفسه ولكن يتطلع إلى أن يتاح له فرصة إقامة مجتمعه وتقديم نموذجه، لا يفرضه على أحد ولا يلتمس لتحقيقه أى إرهاب أو تطرف ولا أى نوع من أنواع الإلزام .

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل : ١٢٥) .

ليكون واقعاً ماثلاً إلى جوار المجتمعات والأيديولوجيات القائمة ليس بديلاً عنها ولكن متعاوناً معها إلى الحد الممكن المستطاع، وماذا على الغرب أن يفسح للمسلمين تحقيق منهجهم وإقامة مجتمعهم واستئناف حضارتهم من جديد بعد أن توقفت منذ فرض نفوذه قبل قرنين من الزمان وحجب شريعتهم ، ومازالوا منذ ذلك الوقت يجاهدون فى سبيل استعادة حقهم الضائع .

وذلك بعد أن عجز المنهج الغربى الذى فرض على المسلمين عن تحقيق أشواقهم النفسية ولا استطاع أن يملأ قلوبهم بالأمن ولا أن يمكنهم من إقامة الشورى والعدل الاجتماعى والاقتصاد المتحرر من « الربا » ، وقد عجزت كل محاولات الغرب فى احتواء المسلمين فى إطار الحضارة الغربية أو الفكر اللبيرالى والعلمانية أو الاشتراكية دون جدوى، ذلك أن الوجدان الذى شكله الإسلام خلال

أربعة عشر قرناً لم يكن من اليسير أن يسقط أو يحتوى أو ينهار .

وفى أشد أوقات الأزمات والظلمات ومراحل الضعف لم يكن من المستطاع أن يستسلم المسلمون أو يخضعوا ، فقد أعطاهم دينهم القدرة على الانبعاث من الداخل مرة أخرى بعد أن أصابتهم سنة « التخلف » ولقد عرف الغرب بما لا سبيل إلى تجاهله أن المسلمين صامدون فى وجه محاولة احتوائهم أو السيطرة عليهم ، وعلى الغرب أن يعيد النظر فى موقفه منهم وعلى الغرب أن يفهم أن وجهة المسلمين كريمة وسامية وليست عدوانية أو طامعة فى السيطرة أو راغبة فى أكثر من إقامة مجتمعهم الأصيل المسالم الراغب فى التعاون مع كل ما يناسبه من جوانب الحضارة المعاصرة ، وأن كل ما تدعيه بعض الدوائر الكارهة للإسلام والحاقدة عليه من دعاوى فهو باطل أو زائف .

لقد عاش الإسلام قائداً للبشرية أكثر من ألف سنة دون أن يعتدى على أحد ، بل كان حصناً لمن يلوذ به ، وسوف يظل الإسلام قادراً على حماية وجوده ؛ لأنه رسالة الإنسانية الخالدة .

إن العلم هو طلبنا من الحضارة وليس العلوم الإنسانية ، ولكن الغرب خلال أكثر من مائة عام ما يزال مصراً على أن يجعلنا مصدراً للمواد الخام وسوقاً لبيع منتجاته وقد تغيرت الأمور ، فعلى الغرب أن يفهم وجهة المسلمين ويتنازل عن تصوره القديم ، فقد تحولت أمور كثيرة والدنيا متغيرة ، وليكن واضحاً بأن الأمة الإسلامية لا تعرف البغى ولا العدوان ، ولا حتى الانتقام مما قاسته من الظالمين .

ولقد وصلت الحضارة المعاصرة إلى أبعد الغايات فى العنف والإباحية وإطلاق حرية الفن والاغتصاب والكشف والتحلل ، وأصبح عليها اليوم أن تعيد النظر فى مسارها ، وأن تعود إلى الفطرة وإلى الأصالة ، وإلا فسوف تسقط كما سقطت الحضارة الرومانية واليونانية . إن البلاد الإسلامية التى قلدت الغرب وخطت وراء خطواته قد أحست اليوم بالندم وهى تحاول أن تعيد نفسها إلى الأصالة وأن تعود

إلى منهج الله تبارك وتعالى فإن دينه الحق هو وحده القادر على إسعادها .

لقد شقى الغرب بتجربته المطلقة وتحرره من القيم الأخلاقية فإن الانتحار والعدمية والانهيار الاجتماعى للأسرة والمجتمع نذير بالفناء والتدمير .

إن الحملات التى تشنها صحف الغرب على الإسلام والمسلمين تقوم على خصومات وأحقاد يراد بها تشويه الصورة الصحيحة .

وتتضافر قوى كثيرة كالصهيونية والاستشراق والعلمانية والتغريب على تقديم هذه الصورة المثيرة بأقلام مشبعة بالأحقاد ، ولابد من تقدير الدور الذى يقوم به الإسلام والذى يتطلع إليه كبار مثقفى الغرب وعلمائه كمخرج للإنسانية من أزمتها والعمل لإعطاء المجتمع الإسلامى حقه المشروع والقانونى فى تبليغ الرسالة وإقامة النظام الربانى العادل الرحيم على البشرية كلها » .

ليس أمام الغرب من منقذ إلا الإسلام
الإسلام يضيء الطريق أمام المؤمنين
ويكشف زيف أعدائه

في قلب الأعاصير التى تلف أرض الإسلام اليوم وتنكشف عن تحديات ومؤامرات ما يزال الإسلام - وسيظل - قادراً على أن يقدم نفسه للبشرية هدى وضياء فى كل عصر وجيل ، وكلما ادلهمت الخطوب وأظلم الطريق وتعددت صيحات الظالمين الذين يظنون أن التقدم المادى قد حقق لهم قوة يستطيعون بها إطفاء نور الدين الذى أنزله الله تبارك وتعالى أو تحجيم الرسالة الخاتمة الممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ (الصف : ٨) ومن صميم الأحداث يكشف الإسلام عن جوهره ويظهر الله نور رسالته التى جاءت لتهدى البشرية إلى الحق وتردها عن الباطل وتخرجها من الظلمات .

* * *

ويجىء الدكتور مراد هوفمان على رأس القائمة فى كتابه (الإسلام كبديل) فى محاولة لإعلان هذه الحقيقة التى تأخر إعلانها كثيًرا وهى أن لا سبيل إلى الغرب لإنقاذ حضارته إلا التماس الإسلام طريقاً له .

ولقد كشف (هوفمان) : أن الإسلام لا يسمح بأى تدخل خارجى فى العلاقة بين الفرد وربه ، فليس فى الإسلام وسيط ، سواء كان خليفة أو إمامًا أو قديسًا ، وقد أدرك (هوفمان) أن تحرر المسلمين من الوصايا التى تفرضها المؤسسات الدينية على علاقاتهم بالله هى أنسب وسيلة لبناء العلاقة بين الله تبارك

وتعالى والإنسان الناضج ، والإنسان العصرى .

وكان (هوفمان) قد تحول إلى الإسلام وفهم أن الإنسان لا يستطيع إلا أن يؤمن بشىء ما، وأن الخليقة من حولنا وفى كل مكان واضحة وثابتة ، وأن الإسلام يتفق ويتوافق تماماً مع كل ما هو واقع وحقيقى .

ويقول مراد هوفمان فى كتابه :

إنه كإنسان غربى بدأ بالضرورة ينظر إلى بلاده بنظرة مختلفة تماماً منذ اكتشافه الإسلام ، ومن خلال إيمانه بدأ يحكم على الحضارة الغربية وعلى مدى قوة الإسلام بالمقارنة بضعف تلك الحضارة .

فقد رأى (هوفمان) كيف أن الإسلام استطاع حماية نفسه ومقاومته أية محاولات من الغرب للقضاء عليه ، سواء كان ذلك فى الماضى خلال فترة القمع الأسبانى ، أو فى ظل الحكم الشمولى السوفيتى أو فى مواجهة الحضارة التكنولوجية القومية ، ففى ظل الحكم الشمولى فى الاتحاد السوفيتى لم تستطع الدعاية العلمانية فى دول آسيا الوسطى أو الدبابات السوفيتية فى أفغانستان أو القمع فى صين ماوتسى تونغ وأسبانيا فرانكو القضاء على الإسلام كدين .

ولقد تصدى الإسلام لكل الضغوط التى تعرض لها فى الغرب على مدى سنوات طويلة ؛ لأن الغرب لم يدرك أن محاربة هذا الدين بالذات عن طريق مصادرة القرآن الكريم وإغلاق المؤسسات الدينية واعتقال رجال الدين أمر سيئ ، ولقد باءت جميع المحاولات بالفشل لسبب بسيط ، وهو أن مصادر قوة المسلمين تكمن فى استقلاليتهم وتنوع شعائرهم ، فالآلاف منهم من حفظة القرآن يمكنهم أن يتلوه بدون كتاب ، كما أن المسلم يستطيع أن يصلى فى منزله وحده أو فى أى مكان نظيف ، ولا يضطر لأن يتوجه إلى المسجد .

وفى الوقت نفسه يستمد الإسلام قوته من مواجهة عداء الغرب له عن طريق تنوع الأسلوب الذى يقيم به الشعائر الدينية والتى تختلف بسبب غياب الطقوس المحددة، وبالتالى غياب دور الوسيط الذى يلعبه رجال الدين ، كما أبدى الإسلام

تسامحاً كبيراً فى مسائل التفسير الشرعى ، فهو يعتبر المرء مسلماً ما دام أشهر إسلامه وطبق الفرائض الخمس ؛ لذلك فإنه من المستحيل أن يقوم مسلم بتكفير مسلم آخر أو إعلان عدم إسلام طائفة من طوائفه .

هذا الإسلام اقترحه (مراد هوفمان) على مستمعيه (وهو سفير ألمانيا فى المغرب) فى المؤتمر السنوى الذى عقدته منظمة حلف الأطنطلى فى بروكسل ١٩٨٤ ، وحضره كبار المسئولين عن الإعلام فى وزارات الإعلام فى الدول الأعضاء ، وكان موضوع المحاضرة التى ألقاها هوفمان هو :-

ظاهرة التغيير التدريجى فى الضمير العام خاصة بين أبناء الجيل الجديد

وقال هوفمان : إن الجيل الجديد معظمه من المثاليين بل الأخلاقيين الذين يرفضون القيم المادية للحضارة الغربية ويبحثون عن زعيم قوى ليتبعوه ، وقد وصف (هوفمان) هؤلاء الشباب بأنهم يعيشون فى ضياع تام بعد أن فقدوا الثقة فى تطبيق الديمقراطية وهى منبر المؤسسات الشرعية لدولهم وفى السلطة عامة . وحذر (هوفمان) مستمعيه من أن قيم المجتمع الغربى ستتغير إلى أسوأ ، فالفردية ستتحول إلى نرجسية، والحكم الذاتى إلى فوضى ، والتسامح إلى نسبية ، والتساهل إلى كراهية التقاليد، والازدهار إلى متع حسية ، والعمل النشيط إلى استهلاك ، والمنافسة إلى مزاحمة قابلة ، والرقة والحساسية إلى ضعف ، والأخوة إلى شمولية ، والمساواة إلى خضوع ، والإيمان بالله إلى الخوف من اتخاذ القرارات ، وهكذا أعطى (هوفمان) مستمعيه صورة للأعراض المرضية التى ستؤدى إلى انهيار الحضارة الغربية ، ويتساءل (هوفمان) عما إذا كانت العوامل الديمقراطية قادرة على التكيف مع هذه التغيرات أم أن الغرب سيقع ضحية أعماله ، واذا كانت هناك فرصة لإنقاذ الغرب عن طريق صحوة دينية جديدة بعد أن استبعد انبثاق أيديولوجيات جديدة بديلة لتلك التى انهارت .

وأوضح هوفمان أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يستطيع أن يجذب الشباب فى اهتمامه بالإخاء بين الناس ورفضه الطبقية الدينية واهتمامه الأكيد بالحياة » .

ولما كان الإسلام لا يزال غريباً فى العالم الغربى ؛ لذلك فإن اعتناق مثقف

غربى يعمل فى السلك الدبلوماسى ويحاضر فى المسائل العسكرية للإسلام يثير حتماً بلبلة ذهنية واضطراباً نفسياً .

ذلك لأن اعتناق مثقف غربى للإسلام أكبر دليل على أن الفكرة التى تسيطر على عقولهم عن الإسلام والمسلمين غير صحيحة .

ودليل آخر على أن الإسلام ليس هو عدو الحضارة الغربية بل إنها هى فى الحقيقة أكبر اعداء نفسها .

ويؤكد (هوفمان) أن المرء عدو ما يجهل خاصة وأنه إذا حاول الرجوع إلى جذور الحضارة التى يجهلها يتكشف له الكثير ، ويصبح قريباً إلى الفهم الصحيح ، وأن الغربى لو رجع إلى جذور الحضارة الإسلامية لتبين له أن مصطلح (الحرب المقدسة) الذى استهلك باستخدام وسائل الإعلام له فى السنتين الأخيرتين مصطلح لا علاقة له بالإسلام ولا يمت لمصطلح الجهاد بصلة .

ويمضى الباحث فى توضيح الكثير من الأحكام الظالمة التى ألصقت بالإسلام عن سوء فهم وخطأ فى القياس المنطلق من المعايير الغربية .

ويرد هوفمان أسباب تدهور العالم الإسلامى إلى عوامل ثلاث :

أولاً : أن العالم الإسلامى قد حورب فى وقت واحد من المغول والمسيحيين وضرب فى مقتل عندما هوجم مركزاه الرئيسيان فى قراطبة وبغداد .

ثانياً : ترك الاجتهاد والاتجاه إلى التقليد فى العالم الإسلامى ، وقد ظهر هذا فى القرن الرابع عشر وأدى إلى ركود الحياة الفكرية .

ثالثاً : وهو الأهم فى نظر المؤلف ، فهو سبب لا يتعلق بالعالم الإسلامى بل بالعالم الغربى ، وكان ذلك بظهور النظريات الرافضة للغيبيات والتركيز على الدنيويات، تهدف إلى جعل النظريات العلمية سبباً لكل الظواهر الكونية بدلاً من إرجاعها إلى القدرة الإلهية .

وهكذا تفجرت فى الغرب طاقة محمومة لكشف أسرار الكون وزادت الاكتشافات وازدهرت العلوم بالتالى وزاد هذا من قوة الغرب وتمكنه من أسباب القوة وظل الغرب يسبق الشرق حتى الستينيات والسبعينيات .

ويقول : يرى المنصفون من مفكرى الغرب أن الإسلام ليس هو الطريق الثالث بين الرأسمالية والشيوعية فقط ، وإنما هو الملجأ الأخير بعدهما .

واليوم أخذ الإسلام يستيقظ من جديد ، بينما المجتمع الرأسمالى بدأ يدمر نفسه بنفسه بعد أن تسبب النجاح الذى وصل إليه فى هدم القيم التى أسس عليها ، وهكذا تبدلت معانى تلك القيم فى مجتمعات الرفاهية والبذخ ، وتحول مفهوم الفردية إلى نرجسية وأنانية ، وأسفر مفهوم التسامح عن تنحية المبادئ والقيم ، وتحولت المنافسة إلى جنون استهلاكى .

ولقد كانت هذه الظروف هى التى مهدت للاتجاه مرة أخرى نحو الدين ونحو الإسلام بالذات .

أما العالم الإسلامى فقد ذهب إلى تقليد الأنظمة الغربية (الليبرالية والجمهورية والاشتراكية والشيوعية) ، ولم يلعب الإسلام فى هذه المرحلة دوراً معيناً ؛ حيث إنها لم تكن حركات إسلامية ، وقد فشلت هذه الأنظمة التى اتبعتها الدول الإسلامية .

* * *

وهكذا جاء صوت المثقف المسلم القادم من الغرب ؛ ليكشف هذه الحقائق ، وليؤكد رسوخ الإسلام وصدق وجهته ، وأنه المنقذ الوحيد للبشرية كلها وللحضارة الغربية فى المقدمة .

ويأتى فى نفس الوقت بحث الدكتور إداورد غالى (المسيحى المصرى والمستشار القانونى) ليؤكد سلامة معطيات الإسلام بالنسبة لغير المسلمين ، يقول : دراستى للإسلام أكدت أنه دين العدالة والمودة للبشر جميعاً ، لقد كان الكسب الوحيد الذى تحقق لى شخصياً من الأحداث المؤسفة المسماة بالفتنة الطائفية هو أننى عكفت على دراسة الإسلام دراسة منصفة ، وأن تلك الدراسة قد صححت عندى كثيراً من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام ؛ إذ تبنيت أن الإسلام دين العدالة والمساواة والرحمة والمودة وحسن المعاملة للبشر جميعاً ، بل إن الإسلام يأمر بالرحمة والشفقة

على الحيوان وليس على الإنسان فحسب .

وإن الإسلام يرفع شأن الإنسان من حيث هو تكوين بشرى قبل أن يصبح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً ، والنصوص القرآنية فى هذا الصدد شديدة الوضوح ؛ لأنها تتحدث عن الإنسان أو عن بنى آدم ، أى عن الناس .

وقد بينت الآيات القرآنية حرية العقيدة وأنه﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة : ٢٥٦)كما بينت أن التاريخ قد سجل التزام المسلمين بقاعدة ﴿ لا إِكْرَاه ﴾ بغاية الدقة ، فأبقى المسلمون فى جميع البلاد التى فتحوها على الديانات والملل وحموها، ومكنوا أهلها من أداء شعائرهم .

وأن العدل فى الإسلام قيمة مطلقة وليست نسبية ، وأنه لا رخصة فيه من قريب أو بعيد ، كما قال ابن تيمية: إن العدل فى كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت ، وإن لم يكن لصاحبها فى الآخرة من خلاق ، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به فى الآخرة ، وهذا ما جعل السلف من قبل يتجازون عن الكافر العادل دون المسلم الجائر .

كما يكشف الإسلام عن منزلة خاصة لأهل الكتاب ، وقد اعترف الإسلام بأنبياء اليهود وبالسيد المسيح ، وبذلك أضاف وشيجة إيمانية إلى الوشيجة الإنسانية، محورها الرئيسى أن هذه الأديان الثلاثة تؤمن بالله (تبارك وتعالى) إلهاً واحداً أحداً لا شريك له.

ولقد ذهب جمهور المؤرخين إلى أن نقاط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية والأرضية الواسعة للدينين هى التى ساعدت على تحول الأقباط من المسيحية إلى الإسلام، فقد رأوا فى الإسلام مخرجاً مريحاً من متاهة الخلاف المذهبى الذى كان محتدماً فى ذلك الوقت حول الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد المسيح ، ورأى الكثير منهم أن الانتقال إلى الإسلام ليس خروجاً من دين إلى دين .

وفى ضوء هذا التقارب بين الإسلام والمسيحية يمكن فهم الحديث النبوى الشريف عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : (**الأنبياء أخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ؛ لأنه لم يكن بينى وبينه نبى**) .

وقد وضع الإسلام القاعدة الذهبية عن حقوق غير المسلمين (**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**) .

وقد التزم المسلمون على مدى أربعة عشر قرناً باستثناء بعض عهود الضعف والتهور التي لم ينج منها المسلمون أنفسهم ـ بهذه القاعدة ووضعوها موضع التنفيذ الدقيق في كافة معاملاتهم مع غير المسلمين عامة وأهل الكتاب خاصة .

والشواهد على تطبيق هذه القاعدة من الكثرة بحيث يصير بها الذمي يتساوى مع المسلم ، من حيث حرمة الدم والعرض والمال ، وأن التضامن الاجتماعي مبدأ عام .

ويشمل جميع أفراد المجتمع مسلمين وغير مسلمين ، ويكفي أن نشير إلى قصة القبطي الذي شكا إلى عمر بن الخطاب ما حاق به من ظلم على يدي ابن عمرو العاص ، فأمر أمير المؤمنين بأن يقتص القبطي من ابن حاكم مصر ، قائلاً : لم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

كذلك أجاز الفقه الإسلامي أن يتولى غير المسلمين الوظائف القيادية في الدولة الإسلامية إلا الوظائف التي تغلب عليها الصبغة الدينية ، كالإمامة ، وقد ذكرت أمثلة عديدة لكثير من أهل الكتاب الذين شغلوا أرفع المناصب في العصور الإسلامية المختلفة.

وبينت أن تعبير (أهل الذمة) لم يعد متفقاً مع الواقع الراهن . إن الجميع يستمدون حقوقهم ويتحملون واجباتهم من صفة المواطنة ، ثم انتقلت إلى موضوع (الجزية) وبينت أنه لم يعد وارداً في المجتمع الإسلامي الحديث ؛ لأن المقرر في الفقه الإسلامي أن الجزية تسقط عن الذمي إذا ما حارب في صفوف المسلمين ، ويقول الدكتور إدوار غالي الذهبي : لقد بينت أن المؤرخين غير المسلمين والمسيحيين قد أجمعوا على أن الأقباط قد ساعدوا العرب المسلمين على فتح مصر ، وأنهم وقفوا إلى جانبهم ضد الرومان ، وأن اللقاء الأول بين عمرو بن

العاص والبابا بنيامين (الذى كان هارباً فى الصحراء وأعاده عمرو إلى كرسيه) كان لقاء ودياً .

ويقول المؤرخون : (وقرب عمرو إليه البطريرق بنيامين حتى لقد أصبح من أعز أصدقائه عليه) .

وقد أجمع المؤرخون على أن الأقباط تمتعوا فى ظل الحكم الإسلامى بحرية تامة فى ممارسة شعائرهم الدينية واستعادوا كنائسهم التى اغتصبها الروم .

ولقد بلغ الإسلام شأناً عظيماً فى حسن معاملة الأقليات والبر بهم والقسط إليهم، حتى ولو كانوا من الأعداء ، ومن الظلم البين أن يحاسب الإسلام بتصرفات بعض المسلمين، فالعدالة تقضى بأن تقاس تصرفات المسلمين بمعايير الإسلام » .

***

ولا يتوقف العطاء وما يزال نور الإسلام يشرق من قلوب مؤمنة وتتواصل أضواؤه على نحو معجز .

ماذا بقى من طه حسين بعد ربع قرن من وفاته ومائة عام من مولده

طه حسين ومؤامرات ثلاث :

(١) الشك الفلسفى .

(٢) السخرية والتهكم .

(٣) إحياء الفكر اليونانى .

ما هو الدور الذى قام به طه حسين ؟

إن مصر ظلت فى سبيل تحقيق الديمقراطية والعلم الغربى جاهلة لمصادرها ومحتقرة إياها بعض الاحتقار ، فلما جاء طه حسين كشف عن أسباب تلك الحالة المتناقضة ، حيث هاجم الرأى العام بطريقة الشك الفلسفى والرأى المصرى غير مستعد لها فسار يقطع المراحل من إنكار إلى إنكار ، وقال المستشرقون لطه حسين : إن منهج ديكارت يغيظ الأزهريين، ولكن الغمراوى أثبت أن ما عرضه طه حسين ليس منهج ديكارت ، وقال فريد وجدى : إن مفهوم ديكارت فى الشك مأخوذ من الإمام الغزالى الذى كان يجب أن يعرفه طه حسين أكثر من ديكارت .

وقال المستشرقون : إن منهج الشك الفلسفى هو مفتاح شخصية طه حسين (وأن أسلوب الشك هو مصدر الشهرة وإحداث الدوى ، وقد امتدت نظرية الشك إلى كل كتابات طه حسين ، وكان على رأسها التشكيك فى نظام الحكم الإسلامى ، حيث يرى أن النظام الإسلامى ؛ انتهى مع عمر بن الخطاب ؛ وأكد عناصر الولاء الغربى بشخصية عبد الله بن سبأ قائد الفتنة فقد أنكر وجود هذه الشخصية واعتمد على كتاب طبع فى إسرائيل فيه جزء واحد من كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذرى ، وفى كتاب (نقض مطاعن عن القرآن) للشيخ محمد عرفة يقول طه حسين :

(١) أسلوب القـرآن فى مكة يخـتلف عن أسلوبه فى المدينة ، ويعـزو هذا الاختلاف إلى ما ادعاه من صلة رسول الله باليهود فى يثرب ، وكانوا فى رأيه أهل فصاحة ونبوغ، والحقيقة أن اليهود فى يثرب كانوا موضع التسفيه والنقض من رسول الله لما ارتكبوه من انحدارات هابطة وما لاكوه من أقوال شائنة .

(٢) أى الفريقين كان مظنة الإبداع : أفريق مكة ، أهل الفصاحة والبلاغة أم فريق اليهود بالمدينة؟ فكيف يكون اليهود ذوى أثر فيما يتعلق بكتاب الله تبارك وتعالى .

(٣) وإذا كـان طه حسين ألّف كـتـاب (مـرآة الإسـلام) وإذا كـان فى الملاحظات السابقة يذكر تأثير اليهود فى الأسلوب المدنى ، فإنه فى هذا الكتاب ينفى كل تأثير .

ويظهر مكر طه حسين فى الأولى وفى الآخرة ، لقد استبدل شكًا بشك، وتفرغ لما هو أشد خطرًا ، ولكن هل كذب نفسه أو أشار مجرد إشارة إلى خطئه الأول؟.

يشير الدكتو محمد البهى فى كتابه (الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى) (ص ٥٢ ، ٥١٩) حول طه حسين . (مسألة بشرية القرآن) :

« فهو يعتقد أن القرآن تعبير عن الحياة التى عاش فيها محمد ﷺ بما فيها المكان والزمان وجوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية ، فإذا كان القرآن انطباعًا منبثقًا من البيئة فهو يعبر عن ذات هذه البيئة وبالعكس ، فإذا كان تعبيرًا عن البيئة فقد انطبع أولاً بلا شك فى نفس قائله قبل أن يعبر عنه وقبل أن يقوله ، وكلتا الصورتين تفصح عن أن القرآن عمل خالص بمحمد ﷺ تأثر به كما يتأثر الإنسان العادى ، ويعبر عن المعانى التى كانت فى نفسه من بيته كما يعبر الإنسان عن أية معان تجول بنفسه ، وقد تأثر بها فى بيئته وانطبعت فى حاضره وفى ظروف الحياة التى تحيط به».

* * *

لم يتوقف نفوذ الاستشراق والدور الذى يقوم به هاملتون جب على النحو الذى قام به الدكتور طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر» فى محاولة خطيرة ترمى إلى فرض مذهب « شعوب البحر الأبيض المتوسط » على مصر، لا باعتبارها مصر، بل باعتبارها جزء من عالم الغرب .

يقول دكتور محمد عمارة : لقد ذهب الانبهار بالنموذج الحضارى الغربى إلى إنه إلزام غربى لنا بمقتضى المعاهدات غير المتكافئة التى عقدها الاستعمارى الأوربى فى ظل حراب الاحتلال وقهر الاستعمار .

فكتب الدكتور طه حسين عقب معاهدة ١٩٣٦ بين انجلترا ومصر ومعاهدة ١٩٣٨ بين الدول الاستعمارية ومصر يقول :

لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها فى الحكم ونسير مسيرتها فى الإدارة ونسلك طريقها فى التشريع ، التزمنا هذا كله أمام أوربا ، وهل كان إمضاؤها هذا الاستقلال إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا نسير سيرة الأوربيين فى الحكم والإدارة والتشريع، ولو أننا هممنا الآن أن نعود أدراجنا وأن نحمى النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ؛ لأننا عاهدنا أوربا على أن نسايرها ونجاريها فى طريق الحضارة الحديثة .

(مستقبل الثقافة ج ١ ص ٣٦ سنة ١٩٣٨) .

وبدلاً من أن يرفض طه حسين هذا الإلزام الأوربى لأمته بمقتضى المعاهدات غير المتكافئة أن تساير أوربا وتسير سيرتها فى الحكم والإدارة والتشريع ، أى فى جماع النموذج الحضارى الغربى ، رأيناه يذهب فيحاول إقناع الناس بأن السير فى الطريق الغربى بدلاً من الطريق الإسلامى هو أمر طبيعى ، بدعوى أن الحضارة واحدة ـ وهى الحضارة الغربية ، وأن طريق الرقى والتقدم والتحضر واحد لا تعدد فيه فقال ما قرره صمويل هاتنجون اليهودى الأمريكى ، وكتب عن (واحدية العقل بين الشرق والغرب) ، لأن العقل الشرقى فى رأيه هو كالعقل الأوربى ، مرده

ومرجعيته إلى عناصر ثلاثة :

(١) حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفقه .

(٢) حضارة الرمان وما فيها من سياسة وفقه .

(٣) والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان .

وبعد أن أنكر تمايز الحضارات في الإنسانيات وزعم وحدتها في الأدب والفلسفة والفن والسياسة والفقة والتشريع رتب على ذلك : (واحدية العقل الشرقي والأوربي) فقال : لقد كانت مصر دائماً جزءاً من أوربا في كل ما يتصل بالحياة العقدية والثقافية على اختلاف فروعها والوانها .

ثم مضى فرفض أن يكون ظهور الإسلام ونزول القرآن قد أحدث تغييراً للعقل الإسلامي الشرقي عن العقل النصراني الغربي فقال : وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي ، فكذلك القرآن لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي ؛ لأن القرآن إنما جاء متمماً ومصدقاً لما في الإنجيل؛ فأهدر الرجل التمايز الحضاري القديم بين مصر الفرعونية وبين الإغريق، وأهدر تميز الإسلام في الشريعة عن النصرانية » .

كان إحياء الفكر الباطني والوثني والفلسفة المادية والتصوف الفلسفي والغنوصي المسيحي وشعر الزنادقة وكتابات الحلاج وابن عربي وابن الفارض ورسائل إخوان الصفا وشعر الأغاني وأبي نواس وغيره من أهم أعمال طه حسين ، وقد مضى على الخطة نفسها التي بدأها من تراث الفرق الضالة والدعوات الهدامة (القرامطة) المزدكية ، البابكية ، الشعوبية، وبُدأ بدراسة هذ التراث المدمر الذي عمله اليهود أساساً ؛ لتحطيم وحدة المسلمين الثقافية .

وكان أخطر ذلك كله دعوى طه حسين إلى إعادة كتابه السيرة النبوية على نسق النصارى في فرنسا والكنائس الغربية ، وهو ما أطلق عليه في الأخير (الميثولوجيا) الإسلامية وحذر منها الدكتور هيكل . حقق الأستاذ محمد نور

النائب العام مع طه حسين حول أربعة مسائل رئيسية :
أولاً : أن طه حسين عمد إلى تكذيب القرآن الكريم فى إخباره عن إبراهيم وإسماعيل .
ثانياً : زعم طه حسين أن القراءات السبع لم تنزل من عند الله ، بل جاءت نتيجة اختلاف اللهجات .
ثالثاً : طعن المؤلف فى حقيقة نسب رسول الله ﷺ .
رابعاً : أن المؤلف أنكر أن للإسلام أولية فى بلاد العرب ، كما أنكر أنه دين إبراهيم» اهـ.

وأهدر كل ذلك ، ثم انطلق من ميدان الحكم على الماضى والتراث ليعمم هذا الادعاء على الحاضر والمستقبل ، فدعا الناس أن يسلكوا فى النهضة ويختاروا للتقدم نفس الخيار الغربى الذى ألزمتنا به معاهدات الاستعمار الغربى - زاعماً أنه خيار وحيد وسبيل مقررة لا تعدد فيها فقال :

« وأن السبيل واضحة مستقيمة لا لبس فيها ولا عوج ولا التواء ، وهى واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهى : أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره وما يحق منها وما يعاب » .

ويقول دكتور عمارة معلقاً (فى عدد المنهل أغسطس ١٩٩٨م) :

ولست أدرى كيف يكون الملزمون بمقتضى المعاهدات « أنداداً وشركاء للذين ألزموهم ، هذا الإلزام بمقتضى هذه المعاهدات » .

* * *

عاش الدكتور طه حسين خمسين عاماً فى بوتقة الصحافة والسياسة من خلال ثلاث قضايا :

ـ فلسفة الشك .

ـ هامش السيرة .

ـ الحملة على الأزهر .

وكانت قضيته الكبرى هى نقل مصر إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط من خلال تاريخه ، وكانت دعوته إلى الاتجاه للبحر الأبيض المتوسط وليس لمكة والجزيرة العربية وبيت الله الحرام .

لقد كانت كلمته هى إثارة روح الشك فى كل ثوابت اللغة والأدب والفكر العربى الإسلامى كله .

هذه الإثارة التى تفرد بها طه حسين فى هذه المرحلة كأنما جعلها الغربيون مقصورة عليه وحده ؛ حيث فتحت الأبواب للتشكيك والإثارة من خلال عباراته المعروفة .

أولاً : الأخذ من الفكر الغربى السابق للإسلام الذى كتبه ابن سلام لإثارة الشبهات والتشكيك فى كل ثوابت اللغة والأدب العربيين .

ثانياً : الاستهانة بالثوابت من القيم والمقدسات والدوران حولها من أجل إثارة الشبهات وفن الشك الغربى .

ثالثاً : كان فهمه لكلمة الدين تختلف تماماً عن الإسلام كدين عالمى هو ختام رسالة السماء وحامل رسالة الله تبارك وتعالى إلى العالمين .

رابعاً : التشكيك فى تراث الفكر الإسلامى .

خامساً : رأس تحرير مجلة لخدمة الفكر الصهيونى : تحت اسم الكاتب المصرى .

سادساً : إحياء كل تراث الشعوبية ومخلفات يونان .

* * *

ولقد عمل طه حسين همه على إحياء كتب ألف ليلة والأغانى وشعر الفرق الضالة ورسائل إخوان الصفا وإنكار عبد الله بن سبأ ، وكانت أخطر مقولاته أن الشريعة الإسلامية لم تطبق بعد وفاة عمر بن الخطاب .

ولقد كشف الأستاذ محمد نور النائب العام بعد التحقيق مع طه حسين ، فقال: إن الشك بغير دليل طريقة سهلة جداً فى متناول كل إنسان عالماً كان أو جاهلاً .

ولقد تغيرت الكتابات والمحاضرات فى السنوات الأخيرة بما تكشف كثيراً مما يدعيه بعض أصدقاء التغريب ، ولكن الأمر فى طريقه إلى الضوء الكاشف بإذن الله

فشل محاولة تنصيب الدكتور طه حسين عميداً للتنوير الغربى مرة أخرى

إن هناك محاولة فاشلة ترمى إلى أن يعود التاريخ القهقرى : تلك هى محاولة دعاة التغريب والغزو الثقافى الذين لا يجدون ما يقدمونه إلا إعادة طبع الكتب التى صدرت فى الثلاثينيات والتى قاومها الأصلاء من رجال الفكر الإسلامى وكشفوا زيفها .

وقد تصدروا محاولة فرض مفاهيم التغريب وسموم الكلمة المضللة والكلمة الإباحية والكلمة الملحدة مغلفة بغلاف خادع يريد أن يكسب عقل المسلم وقلب المؤمن ولكن هيهات .

أولئك الذين يحملون لواء « التنوير » المضلل والذين يلتمسون طريقهم فى ظل ظلاميات طه حسين وسلامة موسى ولويس عوض أنهم يصدرون الآن من منطلق تنصيب طه حسين عميداً للأدب من جديد، غافلين تمام الغفلة عن أن كل ما قدمته حركة الغزو الفكرى التغريب قد تهدم ودمر، وكشفت الأقلام الشريفة عن أخطائه وسمومه .

هم ينسون ويتجاهلون موجة الإيمان الإسلامى التى نشرت ألويتها فى العالم كله واستمدت طريقها من القرآن الكريم والسنة المشرفة وأقامت أعمدتها فى كل مكان.

ولم يعد أحد يستطيع أن يتصدر لحمل لواء الدعوة للشك الفلسفى والتشكيك فى نصوص كتب التاريخ والأدب على النحو الذى فعله طه حسين وجماعة قبل سبعين سنة من صدور كتاب بديل للشعر الجاهلى (وبعد مصادرة الكتاب الأول) ذلك لأن القضية الكبرى التى حاول طه حسين أن يحمل لواءها هى قضية التشكيك فى مصدر أصيل من مصادر فهم القرآن الكريم وتفسيره الشعر العربى الذى حمل كلمات جاءت فى القرآن من بعد وفسرت مفاهيمه .

ولم تكن القضية أساساً إلا محاولة من الاستشراق والتغريب إلى هدم هذا

النص الذى يخدم منهج القرآن الكريم بعد ما قال العرب: إن الشعر القديم يناصر بيان القرآن ويخدمه، فإذا جاء مرجليوث ليشكك فى هذا الاتجاه معتمداً على بعض الكتب القديمة فإن طه حسين استعان بالشعر فى سبيل التشكيك فى الحق .

وإذا جاء اليوم من يقول : إن طه حسين لم يعتمد على مرجليوت وإنما اعتمد على رينان فإن الأمر بالنسبة لنا نحن المسلمين واحد، كلاهما أعجمى وعدو للإسلام .

لقد بلغ بطه حسين الأمر أن دعا طلبته فى كلية الآداب إلى نقد النص القرآنى والقول بأن هذا ضعيف وهذا غامض .

وكان قد سبق ذلك بالدعوة إلى دراسة الكتب القديمة، وقال: إن الأوربيين ينقدون التوراة، وعلى العرب أن ينقدوا القرآن، فهل غفل طه حسين أو تغافل عن أن القرآن من عند الله، وأن التوراة المعاصرة من عند البشر ، كتبها الأحبار .

ولقد عمل طه حسين على نصرة مفاهيم الأحبار والرهبان ومحاولة تطبيقها على الإسلام والقرآن .

بل لقد ذهب طه حسين إلى عدم تصديقه لوجود سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل على نحو ما تجاهلته التوراة، وتجاهل أكبر حدث من أحداث البشرية وهو بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة المشرفة .

ولقد ذهب العلمانيون والتنويريون إلى أبعد حد حينما أعادوا طبع كتاب (الشعر الجاهلى) الذى صادرته الجامعة؛ وذلك ليذيعوا تلك السموم التى نزعها طه حسين أخيراً من كتاب (الأدب الجاهلى) .

وقد قطع الأدباء فى عصره أن طه حسين لم يوفق فى المآخذ ولم يبرأ من السقطات (كما قال المازنى) .

أما مصطفى صادق الرافعى فقد حمل لواء الكشف عن زيف طه حسين، وفى مجلس النواب كانت كلمات النواب كلها تكشف عن جرأة طه حسين الشديدة على الدين ، وقال السيد مصطفى القاياتى :

أريد أن أقول لأقوام لا يرون رأينا، ويدعون أن البحث أمر واجب حر ، وأنه لا

يجوز لنا أن نقيد حرية الناس فى آرائهم ، نقول لهم: إننا لا نقيد حريتهم فى عقائدهم، ولكننا نقيد آراء تلقين عقائدهم لأولادنا وتشاع على أفراد الأمة ما بين متعلم وغير متعلم، ولما اتسعت دائرة الكشف عن أهداف طه حسين، قال سعد زغلول رئيس مجلس النواب آنذاك : إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر فى هذه الأمة المتمسكة بدينها أى أثر ، هبوا أن رجلاً مجنوناً يهذى فى الطريق فهل يغير العقلاء شيء من ذلك ، إن هذا الدين متين، وليس الذى شك فيه زعيماً ولا إماماً حتى نخشى من شكه على العامة، فليشك ما شاء، فما علينا إذ لم تفهم البقر (الأهرام ١٩٢٦/١١/٧م) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لقد ألفت كتب كثيرة فى الرد على طه حسين.

- نقد كتاب الشعر الجاهلى ١٩٢٦م - محمد فريد وجدى .
- نقض كتاب الشعر الجاهلى ١٩٢٦م - محمد الخضر حسين .
- تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعى .
- الشهاب الراصد - محمد لطفى جمعة ١٩٢٦ .
- محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب الشعر الجاهلى - محمد الخضرى .
- النقد التحليلى لكتاب الأدب الجاهلى - محمد أحمد الغمراوى .

وقد كشفت هذه الدراسات عن كثير من أخطاء طه حسين :

أولاً : خطأه فى الادعاء بتبنى منهج ديكارت، قال الأستاذ لطفى جمعة: إن منهج ديكارت خاص بالرياضيات والطبيعيات والميكانيكا ؛ ولذلك فهو بعيد كل البعد عن العينيات ، وقال : إن ديكارت اتخذ الشك وسيلة إلى اليقين أما عند طه حسين فهو لذة ورضا إلى أن الشك للشك .

ثم أصبح يقول طه عن المجددين : « خلق الله لهم عقولاً تجد فى الشك لذة، وفى القلق والاضطراب رضا ، كما أن الشك عند طه حسين ليست غايته الاطمئنان وإنما هدفه الإنكار والجحود» . وقال لطفى جمعة: إن الشك ليس حكماً

فلا يرتاح إليه عقل الحكيم، وبين لطفى جمعة أنه ما يتعلق بالعقيدة لم يطبق عليه ديكارت منهجه .

وقال الخضر حسين : إنه يأخذ على طه حسين ثقته فى القدماء واطمئنانه إلى روايات أبى الفرج الأصفهانى والنقل عنه، ومعنى هذا أن طه حسين ليس جاداً فى استخدام منهج ديكارت أو غيره، وإنما كان يلتقط من الكتب والروايات التى تعزز رأيه وتخدم قضيته بهدف النظر عن الشك أو المنهج، ومن هنا قال الرافعى: إن طه حسين لا يبحث كما يدعى وكما هو الأصل فى ديكارت، وإنما يقرر تقريراً ، وشتان بين بحث يراد منه ما ينتجه من غير تعيين لنتيجة محتومة وبين تقرير النتيجة التى يساق لها البحث وتجمع له الأدلة .

ويرى فريد وجدى أن طه حسين كان يرتب المقدمات ويتسامح فى درس علل الحوادث على الأسلوب العلمى ويخالف العرف وطبيعة الأشياء لخدمة غرضه الأولى .

واتهمه ناقدوه بأنه يبتر النصوص القديمة ويلوى مسارها ويعكس مفاهميها، وقد ضرب له الخضر حسين والرافعى أمثلة على ذلك تظهر طه حسين بعدم الأمانة، وأخذ عليه الغمراوى كثرة الافتراضات والبناء عليها، وهذا يخالف الطريق العلمى .

وهل يمكن أن يكون الظن من مقومات الطريق العلمية قال طه حسين عن أبى عمرو الشيبانى : « أكبر الظن أنه كان يؤجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعراً يضيفه إلى شعرائها ، واتهم طه حسين الرجل وليس فى يده سند أو وثيقة، واتخذ له وظيفة مع أن خصومه كانوا يثقون به ـ على حد قول الخضر حسين ـ لقد تحول الظن إلى يقين علمى عند طه حسين .

لقد انهال النقاد على (المنهج) حتى تمزق وتهرأ وصار كالغربال به من الثقوب أكثر مما به من الخيوط .

ومن أدلة طه حسين على نحل الشعر الجاهلى ما ذهب إليه من أن اللغة الجنوبية القحطانية كانت غير اللغة الشمالية العدنانية، وأن الشعر الجاهلى الذى

وصل إلينا كله مكتوب باللغة الفصحى أى الشمالية، فكيف كتب شعراء اليمن شعرهم وهم من الجنوب، ولو صح هذا التعليل لحقق طه حسين فوزاً، ولكن خاب سعيه، فقد أعد له لطفى جمعة عبر عشرات الصحفات بياناً علمياً معززاً بالوثائق، وبآراء المتخصصين فى الفيولوجيا والأثريين وأثبت أن اللغة العربية (أى العدنانية) ظهرت على إثر اندثار القحطانية قبل ظهور الإسلام أى أن العرب كانوا يتكلمون لغة واحدة قبل البعثة النبوية .

ولو كان طه يعرف هذا ما قال: إن الرواة نظموا بلغة عدنان شعراً ونسبوه إلى شعراء من قحطان .

وهذه النتيجة التى وصل إليها لطفى جمعة عام ١٩٢٦ قال بها العقاد عام ١٩٦٠م فى (اللغة الشاعرة) حيث قال : وكانت وحدة اللغة من مقدمات الدعوة الإسلامية التى خاطبت العرب جميعاً بلسان يعرفونه من قبل عصر الإسلام، كما قال ذلك شوقى ضيف تلميذ طه حسين، وهكذا ضاع جهد طه حسين فى هذه القضية .

وتدل كل المراجعات التى قام بها الأساتذة الكرام عن أن طه حسين لم يراجع الكتب التى انتقدته ، يقول الأستاذ أحمد حسين الطحاوى (الذى نقلنا عنه هذه الشذرات) كان على الذين احتفلوا بمرور سبعين سنة على صدور كتاب (فى الشعر الجاهلى) أن يحتفلوا أيضاً بالنقاد الذين تصدوا له وقوموا مادته وصححوا أخطاءه » .

* * *

فإذا رجعنا إلى مناقشة النيابة لطه حسين وجدنا أن الأستاذ محمد نور وكيل النيابة ركز على أربع مسائل أساسية :

الأولى : أن طه حسين عمد إلى تكذيب القرآن الكريم فى إخباره عن إبراهيم.

الثانية : زعم المؤلف أن القرءات السبع لم تنزل من عند الله ، وإنما هى نتيجة

لاختلاف اللهجات حيث قرأتها العرب بحسب ما استطاعت .

الثالثة : طعن المؤلف فى حقيقة نسب الرسول الكريم .

الرابعة: أن الأستاذ المؤلف أنكر أن للإسلام أولية فى بلاد العرب وأنه دين إبراهيم .

وقد ناقش محمد نور ما كتب طه حسين وعارضه، وطالب طه حسين أن يقدم المراجع التى نقل منها هذه المفاهيم المغلوطة فكان رد طه حسين : أنا لا أقدم شيئًا .

وقد عمل محمد نور على تقديم الحجج العلمية فى تحقيق النيابة، وأثبت من وجهة نظره خطأ ما كتبه طه حسين ويقول فى النهاية : وجدت أنه مما تقدم يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتصدى على الدين، بل إن العبارات الماسة بالدين التى أوردها فى بعض المواضع من كتابه قد أوردها فى سبيل البحث العلمى وحيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائى غير متوافر، فلذلك تحفظ الأوراق إداريًا» .

هل يمكن أن تقدموا المصادر أو الأدلة على ما ذكرتم، قال طه حسين : أنا لا أقدم شيئًا !!

ولقد كان أخطر ما فى كتاب الشعر الجاهلى مقولة طه حسين الخطيرة: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللإنجيل أن يحدثنا عنهما، وللقرآن أن يفعل ذلك، ولكن هذا لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ولا ينهض عليه دليل» .

وكان هذا أخطر ما قاله طه حسين بجوار مقالاته الأخرى المسمومة .

* * *

ولقد كانت محاولة العودة إلى إحياء (الشعر الجاهلى) مرة أخرى بعد سبعين عامًا كانت وبالاً على التقدميين فإنهم لم يستطيعوا أن يدافعوا عن الاتهامات التى نشرت مرة أخرى اليوم، حيث نجد أن أصحاب الأصالة أصبحوا قادرين على دحض هذا الفكر المسموم .

يقول الدكتور أحمد درويش : ينبغى أن نرضى أن طه حسين نفسه قد تراجع عما جاء فى هذا الكتاب فى الحواريات التى دارت بينه وبين علماء عصره .

وتبقى فكرة الجرأة فى البحث الأدبى أمام التراث، وكانت فكرة طه حسين فى الاجتراء على الجانب الدينى هو الذى جعل الأمور أكثر وضوحاً .

وقد أشار عبد الرحمن بدوى فى كتابه عن أعمال المستشرقين أن كل ما أورده طه حسين عن الشعر الجاهلى كان من عمل هؤلاء المستشرقين .

* * *

والواقع أن كتاب (فى الشعر الجاهلى) و(الأدب الجاهلى) الذى ظهر بعد مصادرة الأول تكشف عن هدف أبعد كثيراً من مسألة الشعر العربى والحميرى ، وإنما كان الهدف تقديم مجموعة من السموم من داخل البحث المسمى بالعلمى، ومنها الادعاء بأن العرب أفادوا من اليهود، ومنها مقولة ضد الرسول ﷺ ونسبه الشريف، وأخطر من ذلك كله فتح الباب أمام طلاب الجامعة فى لغة القرآن على النحو الذى قدمه طه حسين (راجع كتابنا محاكمة فكر طه حسين) .

* * *

ومن ناحية أخرى أكد الشيخ أحمد حسن مسلم عضو مجمع البحوث الإسلامية ولجنة الفتوى فى الأزهر أن كتاب : (الإسلام وأصول الحكم)

ليس من تأليف الشيخ على عبد الرزق ـ كما زعم العلمانيون والشيوعيون وأنصار حركة التنوير المزعومة ـ ولكن من تأليف طه حسين، وأن هذه الشهادة جاءت على لسان الشيخ على عبد الرازق نفسه، وقد أصدر الشيخ مسلم بياناً سماه (بيان للناس) جاء فيه تفصيلاً كاملاً لهذه الشهادة مفادها أن بعد صلاة الشيخ مسلم والشيخ عبد الرازق معاً وبعد الخشوع فى الصلاة ، قال الشيخ مسلم : إن الشيخ على عبد الرازق قال له بالحرف الواحد : «إننى لم أقم بتأليف هذا الكتاب وإنما الذى ألفه صديقنا الدكتور طه حسين» وأوضح الشيخ مسلم أن الشهادة

أودعها مجمع البحوث الإسلامية، لتكون وثيقة للتاريخ حول كتاب (الإسلام وأصول الحكم) .

وهذا الخبر هو فى الحقيقة إضافة جديدة أريد بها إضافة حلقة جديدة من حلقات الربط بين على عبد الرازق وطه حسين، وفى نفس الوقت الربط بين (الشعر الجاهلى) و(الإسلام وأصول الحكم) .

أما الدعوى بأن المحقق محمد نور قد برأ طه حسن من التهمة فهو ليس صحيحاً ، إنما الصحيح أن محمد نور أريد منه أن يقفل الملف، فقدم الاتهامات وحولها عن عقوبة الاتهام إلى ما يسمى (القصد الجنائى غير متوفر) .

أما الاتهام فهو واضح، وقد كشف محمد نور فى بيانه عن كل أكاذيب طه حسين فى كتاب الشعر الجاهلى .

ونص العبارة التى ختم بها وكيل النيابة التحقيق تقول : (إن الباحث حذا فى بحثه حذو العلماء من الغربيين (يقصد المبشرين والملاحدة) لشدة تأثر نفسه بما أخذ عنهم قد تورط فى بحثه حتى تخيل حقًا ما ليس بحق، أو مازال فى حاجة إلى إثبات أنه حق، فكان يجب عليه أن يسير على مهله وأن يحتاط فى سيره حتى لا يضل، ولكنه أقدم بغير احتياط، فكانت النتيجة غير محمودة .

ومعنى هذا أن الجناية والتورط والضلال والمساس بالدين متوافر، ولكن القصد الجنائى غير متوافر، ويذكرنا الدكتور محمد عمارة بأن طه حسين فى عام ١٩٤٧م أعلن أنه شكك فى عقائد إسلامية جاءت فى القرآن الكريم، وذلك حين قال : «لا لقد انتهيت إلى رفض قدر كبير من الشعر الجاهلى، وفى إطار هذا المسعى شككت فى بعض المعتقدات التى ذكرت فى القرآن أو فى الأحاديث النبوية، وكانت الصدمة قاسية والاستنكار واسع النطاق».

آفاق مضيئة فى وجه الدعوة الإسلامية
مراجعة بوكاى للكتب المقدسة

كان يحاول متحدياً أن يجد فى القرآن نقطة تبدأ بالشك، فرده القرآن متراجعاً إزاء جلال النص القرآنى وعظمته .

وصل آخر الأمر إلى حقيقة أساسية إذا كانت هذه الحقائق العلمية التى جاء بها القرآن لم يكن أحد من البشر يعرفها فى هذه الفترة التى تنزل فيها القرآن فمن أين جاء محمد بهذه الحقائق ؟

هناك شىء واحد أن يكون الله وحده هو الذى يعلم هذه الحقائق، وهو الذى أعلنها فى هذا التاريخ .

* * *

هذا الدكتور الطبيب (موريس بوكاى) الذى هداه الله تبارك وتعالى عن طريق البحث العلمى أن يجد فى القرآن الكريم ذلك الضوء الكاشف الذى تتطلع إليه المجتمعات المعاصرة الحاضرة بعد أن شاقها التطلع إلى هدى مقنع يكشف الطريق الصحيح للبشرية بعد أن حوصرت خلال القرون الأربعة الأخيرة فى نطاق الفلسفة المادية.

وبعد أن عجزت الكتب المقدسة السابقة أن تصمد أمام الفحص العلمى الذى تعرضت له فى السنوات الأخيرة على أيدى علماء من رجال الدين المسيحى أنفسهم .

وقد أشرق هذا التيار الجديد بضوء خافت منذ بدأت كتابات توماس كارليل وجوستاف لوبون ودرابر، ثم اتسعت دائرته فى السنوات الأخيرة بكتابات الدكتورة

سجريد هونكه وغيرها .

وفى خلال ذلك ظهرت أشعة مضيئة على أيدى بعض الذين اهتدوا فعلاً إلى الإسلام، أمثال : الدكتور عبد الكريم جرمانوس والدكتور خالد شلدريك والدكتور لوبولد ڤايس (محمد أسد) والدكتور إتيان دينيه، وكلهم من جلة العلماء الباحثين الذين دخلوا فى الإسلام وكتبوا تجاربهم وعشرات آخرون أوردنا أحاديثهم فى كتابنا (الإسلام فى غزوة جديدة للفكر البشرى) مما يؤكد وجود مجرى جديد أخذ يعمق ويتسع ويلفت النظر حقًا ويؤثر فى المجتمع الغربى على النحو الذى نراه الآن، والإسلام يقتحم هذه المجتمعات فى جميع القارات ويقدم رسالة التوحيد ويكشف زيف النظريات المادية والعلمانية ويتقدم رغم كل محاولات المؤامرات التلمودية والاستشراقية التى مازالت تنفث سمومها بهدف واضح هو أن لا يصل مفهوم الإسلام الأصيل إلى أهل الغرب، وإن وصل فيجب أن يشوه بإثارة كثير من المغالطات والملابسات والتمويهات .

وفى قلب هذه الصحوة تجىء صيحة الدكتور موريس بوكاى فى كتابه الذى صدر تحت اسم (التوراة والقرآن والعلم) والذى ترجم إلى أغلب لغات العالم، فأحدث آثاراً ضخمة جد خطيرة يجب أن يلم بها القارئ المسلم؛ ليكون على علم بذلك التيار الجديد الذى يقدم القرآن والإسلام إلى أهل الغرب عن طريق البحث العلمى والمقارنة مع العهد القديم، وليزداد الذين آمنوا إيمانًا، وليكون ذلك مزيداً من الأسلحة التى يستطيع أن يستعملها الدعاة إلى الله تبارك وتعالى مع من يحاورهم .

***

ويتساءل الدكتور موريس بوكاى :

ما هى الأسباب التى تدفعنا فى القرن العشرين إلى الإيمان بالله ؟

والسؤال مطروح هنا مع اندراج عامل الزمن فى صيغته؛ إذ ليس من المفارقات

القليلة الشأن فى عصرنا هذا أن تكون البواعث ذات العلاقة بالعلم قادرة على صرف البعض عن الإيمان بالله تبارك وتعالى، بينما يقوى لدى الآخرين نفس هذا الإيمان .

لقد أرادوا فى الواقع أن ينزعوا باسم العلم كل قابلية تصديق عن الميراث الدينى الذى تركته لنا القرون السابقة فى أشكال متنوعة وفى أنحاء مختلفة وأرادوا ألا يثقوا بالمعرفة الإنسانية التى لا تفتأ تتقدم فى المعرفة العقلانية للحقيقة، وألا يروا فى الدين إلا نتاجاً لخيال جامع، وهكذا استبعد قبلنا كل وثيقة تتعلق بالإيمان بالله، فهم يقبلون أن يأخذوا كل ما استطاع أفلاطون أن يكتبه عن سقراط الذى لاينكر وجوده .

أما أن يحدثنا العهد القديم أو القرآن الكريم عن موسى أو أن تنقل إلينا الأناجيل قصصاً عن عيسى فإن هذه النصوص لا يحكم عليها بالصدق وإنما تنبذ جملة وتفصيلاً بالنسبة إلى الموضوعات المطروقة فيها، وذلك هو موقف المفكرين لما فوق الطبيعة ، أو ما يتجاوز نطاق المحسوس ، أولئك المفكرين الذين وجدت مواقفهم فى الغرب قبولاً لدى مفكرى القرن التاسع عشر وأدت إلى قيام نظرية المادية الملحدة.

وهناك بالمقابل من يؤمنون بالله تبارك وتعالى، ولكن كثيراً منهم للأسف فى البلدان الغربية ما يزالون بحكم تربيتهم السابقة وتعاليمهم الراهنة التى ما تزال متحجرة صلبة لا يرضون بأن يتجزأ فكر موضوعى حتى ولو استمسك بإيمانه كاملاً على الاهتمام بأسس هذا الإيمان المتمثلة فى الكتب المقدسة من أجل دراستها دراسة نقدية مجردة من أى حكم مسبق .

إن التأثير الدينى فى الغرب تحت التأثير السائد فى اليهودية المسيحية ليشهد اليوم انحساراً كبيراً جداً .

فالترجمة المادية لهذا الهبوط قابلة للقياس بمنطلق الدقة، فنحن نجدها فى هبوط الاتجاهات أو الميول الدينية عند الشباب، ويستطرد الدكتور بوكاى قائلاً:

تقول الإحصائيات : إنه كان لفرنسا عام ١٩٦٥م ما يقرب من ٣٦ ألف قسيس، وكان من الممكن لسلك رجال الكنيسة أن يتجدد بصورة مرضية بمتوسط قدره ١٥٠٠ سنوياً من القسس الجدد، إلا أنهم لم يبلغوا ١٩٦٧م سنة أكثر من ٤٨٩، ومن ذلك العام أخذ عددهم ينخفض باطراد، ليصل إلى ١٣٦ فى سنة ١٩٧٦ و٩٩ سنة ١٩٧٧م ، ثم إن عدد الطلبة المسجلين فى المدارس الإكليريكية من القلة بحيث يمكن معه التأكد بأن عدد مَنْ سيتم تكوينهم سنوياً من القساوسة فى السنوات القادمة لن يصل إلى مائة (١٠٠)، الأمر الذى يمكن معه القول بأن الكنيسة لن يكون لها فى غضون عقود قليلة سوى عدد ضئيل من الرجال، ومن الأسباب الأساسية لهذا النفور من الحياة الدينية فى البلاد المسيحية فقدان الثقة فى الكتب التوراتية .

وفيما يلى بيان ذلك :

لم يكن يجرى الحديث حتى مجمع الفاتيكان الثانى (٦٢ ـ ١٩٦٥) عن أصالة نصوص التوراة التى كان الناس يقتنونها على ما هو عليه حالياً باستثناء حاله اختصاصيين نادرين ، من ذلك أنه ما من أحد كان يتجرأ ـ فيما يتعلق بالأناجيل ـ على أن يشكك فى كونها كلام النبى عيسى بدقة وإحكام .

فهو ـ كما كان يقال ـ نتاج شهود مباشرين لرسالته ، ألم تكن الأناجيل تدعى (مذكرات الحواريين) ولكن لائحة من لوائح مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٦٥ لم تنح هذا النحو بصورة قطعية، غير أن هذا التصور قد هاجمته بعد سنوات قلائل من المجمع الأخير بحوث أخذت تظهر ابتداء من سنة ١٩٧٠، وهى من إنتاج لاهوتيين مسيحيين أنفسهم ، فقد قام هؤلاء بدراسة دقيقة للنصوص مستعملين كل العناصر التى تمنحها لهم المعرفة العصرية فى مجال علم اللغة وعلم الآثار والتاريخ إلخ، فقد أصبح الناس اليوم مسلمين بأن الأناجيل الشرعية الأربعة ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده فى عيسى جماعات مختلفة لا تتفق

فيه ـ كما يبدو من النصوص ـ على رأى واحد؛ لأن أحداثًا من رسالته قد عولجت بصورة تختلف باختلاف نظرة أصحاب الأناجيل الناطقين بلسان تلك الجماعات .

إن شروح الترجمة المسكونية الأخيرة للتوراة (العهد الجديد ١٩٧٢) وهى عمل اشترك فى إنتاجه أكثر من مائة اختصاصى من الكاثوليك والبروتستانت بذلك بدون أدنى التباس أو غموض ، كما تعبر عنه أيضًا مدرسة القديسة التوراتية .

وقد أثبتت مراجع دقيقة وعديدة من هذه الدراسات كتاب (التوراة والقرآن والعلم) بيد أن مجمع الفاتيكان الثانى كان قد استثنى فى الحقيقة العهد القديم، إذ أكد أن هذه الكتب تتضمن نقصًا بل وحتى (باطلاً) ، وتبين الأعمال الحديثة من المشروع تقييم الأناجيل بمثل هذه التقييمات .

فكيف تتصور كون هذه الأناجيل لا تنقل الينا إلا الحقيقة التى أوحى بها الله عندما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل إطلاقًا ، مثل هذه السلاسل من نسب عيسى التى هى من تلفيقات خيال (لوقا) و(متى) .

وقائمة لوقا ألا ينسب هذا الإنجليزى خمسة وسبعين جدًا لعيسى منذ آدم .

إن ما نعرفه من الحد الأدنى لقدم الإنسان على وجه البسيطة ليجعل مثل هذا القول فى عصرنا هذا أمرًا غير مقبول فكيف يلقن الله الناس مالا يطابق الواقع .

ويستطرد الدكتور بوكاى فيقول :

وهناك تناقضات كثيرة فى الأناجيل بين مرقص ولوقا ومتى نجد تفسيرها فى هذه البحوث العصرية التى أجراها الخبراء المسيحيون الذين بينوا أن صياغات متتالية لنصوص إنجيلية قد لفقت انطلاقًا من روايات سمعية عن عيسى كانت ذائعة لدى الجماعات المسيحية الأولى، وأن ذلك كله قد أفضى إلى الأناجيل الحالية، وهكذا يقوم الدليل على تلاعب الرجال بالمعلومات الأولية بهدف إنتاج نصوص مكتوبة يضعها الأب كانخيسر : أستاذ معهد باريس الكاثوليكى بنصوص مكتوبة للمناسبة

أو للنضال؛ لأنها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل منها إلى إنفاذ نظرتها الخاصة .

وقد نشر اللاهوتيون البريطانيون السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب انجلترا نتائج أعمالهم سنة ١٩٧٧م تحت عنوان (وهم الإله المجسم) .

وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث، وهكذا أدت المعارف العصرية والممنوعة والمطبقة على دراسة النصوص بالأفكار الموضوعية إلى عدم منح التوراة تلك الأصالة التى كانت تضفى عليها دون برهان أو دليل فى القرون الماضية تناقض قصص الخلق والطوفان .

هذه المعارف العصرية قد أدت إلى تغيير المفاهيم التى كانت إلى ذلك الحين مفاهيم مسلماً بها دون مناقشة إن الانتقال من التشكيك فى أصالة مجموع الكتب اليهودية والمسيحية بواسطة معلومات عصرية إلى رفض الإيمان بالله هو ما تفعله ـ لسوء الحظ ـ كثير من العقول المضطربة بفعل هذه الاكتشافات والتى تجهل أو لا تريد الاعتراف بأن وحى الله لا يقف عند عيسى ، وهم إذ يرفضون اعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الإسلام يصلون إلى الاعتقاد بأن المعارف الدنيوية تعدم المفتاح لجميع المسائل وأن العلم القوى جداً قد سبق نهائياً كل إيمان بالله، وقبل أن أعرف بزمن طويل ما يمكن أن تقودنى إليه دراسة الإسلام إلى الاكتشاف ـ فيما بعد ـ كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفة العلمية كانت ـ مهما قيل فيها ـ كفيلة جداً بأن تعود إلى التفكير فى وجود الله، ونحن حين نأخذ بعين الاعتبار ذلك التنظيم العجيب الذى يقف وراء نشوء الحياة وبقائها يبدو عامل الصدفة كما لو كان أقل احتمالاً أكثر فأكثر. ألا يؤيد المعتقد البالغ للكائنات العليا وجود تنظيم محكم جداً يقف وراء هذا الترتيب العجيب لظواهر الحياة .

لقد وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم فى تفكير يقوم أساساً على معطيات مادية، ولقد وجدتها ـ والحمد لله ـ يوم أن شرعت فى دراسة القرآن، وبحثت طويلاً، ووجدت فى قراءته تجسيداً جديداً لهذا التوافق بين الدين والعلم ، ذلك

التوافق الذى كان يمكن لدراسة النصوص التوراتية من حيث المنطق أن يصرفنى عنه (عن نص لبوكاى).

إن تطبيق مكتسبات العلم على دراسة الكتاب المقدس (القرآن) قد جعلتنى أكتشف كل ما يتعلق بظواهر طبيعية عديدة لا يمكن أن تنسبها إلى إنسان، نظراً لما نعرفه عن تاريخ العلوم .

ولقد تجلى لى أن مكتسبات العلوم ضرورية لفهم كثير من الآيات، وأن (دراسة القران) فى ضوء المعارف العصرية تقود من جهة أخرى إلى اكتشاف كلام قرآنى سابق لزمانه بما يزيد عن ألف سنة، وأن ما نعرفه عن تاريخ العلوم ليجعل من المستحيل أن يكون الإنسان هو قائله، وحيث إن القرآن) يضع أمام تفكيرنا تأكيدات تمثل تحدياً للتفسير البشرى، فإنه يبدو وأن كل متناقض بين الدين والعلم قد أبطله هو بالذات .

إن النص الموجود بين أيدينا اليوم هو عينه الذى كان فى فجر الإسلام، فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص (القرآن) والمعارف العصرية .

كذلك فإن هناك عصراً هاماً يكمن فى المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق فى ضوء التصورات العامة الحديثة عن خلق الكون وتصوره .

فنحن لا نجد فى (القرآن) ما نجده فى التوراة من أخطاء، وهى ملاحظة تقضى على الفرضية التى سبق أن أبديت فى الغرب ـ ودون أى حجة ـ والتى مفادها أن ما فى القرآن نقله إنسان ما من التوراة .

إن ما ذكره (القرآن) عن الأرض ولا سيما عن دورة الماء فى الطبيعة وتكوين التعاريج وعن مفاهيم العلوم الطبيعة والفيزولوجيا وتوالد البشر ، يستحيل على إنسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه .

وقد أوضحت بأن عبارة المقارة الدنيوية تعنى أحداثا تثبتها وتؤكدها تجربة وليست قابلة للنقض فيما بعد .

قارنت بين القصة القرآنية والقصة التوراتية فى موضوع الخلق والطوفان وخروج موسى من مصر ، لقد حددت التوراة زمان الطوفان فى عصر لم تحصل فيه أية كارثة كونية لأسباب تاريخية باتت معروفة جداً فى عصرنا الحديث فى حين أن القصة التى أوردها (القرآن) للطوفان بوصفه عقاباً سلّطه الله على شعب نوح بسبب كفره لم يحدد له زمناً، قصة لا يرقى إليها أى نقد من هذه الوجهة، والسؤال هو : هل استطاع الناس فيما بين الحقبة التى وضعت فيها التوراة والعصر الذى أوحى فيه القرآن المعرفة الإنسانية ان يحصلوا على معلومات عصرية فى هذا الموضوع .

من المؤكد أنهم لم يحصلوا على شيء فكيف يتسنى لرجل - إذا صح أنه هو الصانع للقرآن - أن يستبق منه كل ما لا يقبله العقل فى العصر الحديث وألا يعتمد من الأحداث والأخبار إلا ما يعلو على كل نقد من الوجهة العملية، وكما تصدق هذه الفكرة على الطوفان تصدق على ما جاء فى القرآن بصدد موضوعات أخرى .

* * *

لقد وفرت التوراة العهد القديم والعهد الجديد مجالاً للتكفير فى تعارض صارخ بين بعض مقاطع نصوصها وبين المعارف الحديثة ولقد كان دور التلاعبات البشرية بها دوراً كبيراً جداً أما القرآن فإنه لا يتضمن شيئاً مهمّاً يمكن للعلم أن يرفضه؛ لأن كلامه وقائع ثابتة مؤكدة ، وغير قابلة للتغير ، كما أن عدداً من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها إلا فى عصرنا هذا .

ويصور الدكتور بوكاى آثار غلبة الفلسفة المادية على الغرب فيقول : ألا تشهد فى البلدان الغربية التى يغلب فيها التأثير اليهودى المسيحى عجزاً كاملاً لأساتذة الفكر الدينى فى مواجهة المادية بمعارضتها معارضة فعالة تقوم على حجج دامغة

من شأنها أن تقض سداً منيعاً فى وجه أمواجها العارمة نجد فى الغرب هبوطاً قوياً للميول الدينية هو أقوى دليل على هذا الانهيار بينما نلاحظ فى بلاد الإسلام توسعاً وانتشاراً فى الآونة الراهنة .

والملاحظ أن هناك ديانات تتقهقر فى عصرنا هذا، من حيث توزعها العددى، وهناك ديانة تتقدم على المستوى العالمى هى « ديانة الإسلام » .

هذه المعلومات من الكتب المقدسة فى مواجهة العلم لا ينبغى أن تترك أخذاً فى موقف اللامبالاة بسبب عناصر التقييم الجديدة التى تقدمها لنا وإمكانيات المستقبل التى ترتسم فى الزفق .

إن اشتمال القرآن على جميع العناصر التى هى من الوقائع الراهنة التى أخذت فى هذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة بعداً كان مجهولاً إلى هذا الحسين ليحملنى على دعوتكم إلى التدبر فى هذه الآية الكريمة فى سورة البقرة :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ٢٤٣).

ونقول فى ختام هذا الاستعراض :

إن الدكتور بوكاى بلغ مرحلة فكرية تربوية فى الكشف عن عظمة القرآن وعن اضطراب التوراة والإنجيل بالدليل العلمى مصدقاً لما أشار اليه القرآن من أن أصحاب هذه الكتب جعلوها قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً منها .

وغاية القول :

إن بوكاى أيد بلسان المقال عبارة القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ .

وما يزال الحق تبارك وتعالى يكشف عن آياته :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت :٥٣).

آفاق مضيئة فى وجه الدعوة الإسلامية

الدكتور فؤاد سزكين : شهادة للتراث الإسلامى

بعد أكثر من أربعين عاماً من العمل الجاد فى سبيل تحقيق التراث الإسلامى يقدم الدكتور فؤاد سزكين شهادة خالصة لوجه الله تعالى :

يقول : «إن أسلافنا ما طلبوا العمل للحصول على الشهادات، وللأسف الشديد فإن الحضارة الأوربية قد أخذت من حضارتنا هذا المنهج، بينما انحططنا نحن إلى مستوى جعل العلم وسيلة لتحقيق أغراض ومنافع شخصية، فالجامعات الإسلامية لم تلحق بالتقدم العلمى ولا الحضارى وليس لها مكانة علمية وليست قادرة على تكوين علماء باحثين حقيقيين .

إن معظم المستشرقين ليسوا على استعداد لقبول أكثر أفكارى وآرائى الواردة فى كتابى (تاريخ التراث العربى) وخاصة لأنها لا تتفق مع الآراء السائدة من قبل فى نفس المواد ، إنهم لا يرونني مقلداً لهم، بل يصفوننى بأنى محافظ، وقد ادعى أحد المشاهير أنى أرفض نتائج الدراسات الاستشراقية على الإطلاق .

ولكنى أومن بأن تبيان مكانة العلماء المسلمين فى تاريخ العلوم والحضارة أمر ضرورى؛ لإعطاء الأجيال القادمة الثقة اللازمة » .

إن مؤلف تاريخ التراث العربى يحاول أن يبين ويبرهن على أن العلماء المسلمين والعرب قد أصبحوا منذ أواسط القرن الثالث الهجرى مبدعين بنائين ، أى أنهم تمكنوا بعد رحلة الأخذ والتمثيل فى وقت قصير نسبياً أن يصلوا إلى ما لم يصل إليه الأسلاف فى الحضارات الأخرى، وأن هذه المرحلة من الإبداع والابتكار استمرت فى توسع وعمق أواخر القرن الثامن الهجرى ،وأن قصة (أخذ وتمثل) العالم اللاتينى لهذه العلوم ابتدأت فى القرن الرابع الهجرى إلى أن وصل إلى مرحلة الابتكار ببطء وتدرج فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى .

إن معرفة مكانة العلماء المسلمين فى تاريخ العلوم والحضارة أمر ضرورة؛ لأنه يعطى للمنتسبين لهذه الحضارة من المعاصرين ومن الأجيال القادمة الثقة بالنفس؛ للتخلص من العقدة النفسية الموجودة عند كثير من المثقفين غير الحقيقيين الذين لا يرون نهضة الأمة الإسلامية إلا فى الترك المطلق للموروث والانصراف الكلى إلى كل ما هو أجنبى .

إن كل ما يروى عن العرب قبل الإسلام لايعطى إخواننا العرب والمسلمين أهمية بالقدر الذى يعطيه لهم دورهم فى تاريخ العلوم والحضارة تحت راية الإسلام.

لقد جاءت مرحلة جديدة للجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام حيث اجتمعت عناصر مختلفة فيها فى ظروف مهيئة ودوافع هامة لتجعل هذه المرحلة بعد وقت قصير انقلاباً هاماً فى تاريخ البشرية .

وقد أوضحت فى المجلد الرابع من تاريخ التراث الإسلامى : أن المسلمين أسسوا علم الكيمياء النظرى والتجريبى، وهذا العلم هو الذى وصل إلى أوربا وبقى هناك إلى أن جاء شىء جديد فى نفس الميدان فى القرن الثامن عشر الميلادى .

ويستأنف الدكتور فؤاد سزكين فيقول :

«إن المكانة الحق للعلوم العربية الإسلامية فى تاريخ العلوم العام أكبر بكثير مما أثبتته الدراسات التى تمت حتى الآن وأميل من هذه المكانة أن نعترف لمن سبقنا بما له من جهد، فمكانة العلوم العربية والإسلامية فى تاريخ العلوم (العالمى) لا تقل عن مكانها لدى أمم أخرى ، وأثر العلوم العربية فى عصر النهضة الأوربية أوسع وأعمق من أن يتصور، ليس مجرد رأى أو انطباع ، وإنما ثمرة دراسة وبحث فى هذه العلوم مدى أربعين عاماً (الآن أكثر من ذلك) حاولت فيها تتبع قصة أثر العلوم العربية والإسلامية فى الغرب فى عدة مجالات ، ولكن أكثر هذه الحقائق لم يتضح لمؤرخى العلوم وسيستغرق إظهارها فى كتبهم وقتاً طويلاً ومن واجب العلماء المنتمين لهذا التراث لغوياً ودينياً تبيان هذه القضية.

إن على العلماء المسلمين اليوم أن يقارنوا النتائج التى وصل إليها العلماء المسلمين بكتب العالم الغربى (من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر) للميلاد، فقد قطع المسلمون مرحلة الأخذ والتمثل فى وقت قصير نسبياً حتى إذا وصلوا إلى أواسط القرن الثالث الهجرى كان المسلمون قد دخلوا مرحلة الإنتاج الأصيل المبتكر ، وقد نفذ هذا الطابع الإبداعى إلى جميع العلوم فى سرعة وعمق ، وقد ظل مستمراً دون انقطاع حتى القرن الثامن الميلادى عندما بدأ الركود فى العلوم والحضارة الإسلامية، ومعنى هذا إن المسلمين فى أواسط القرن الثالث الهجرى استطاعوا أن يطوروا ما ورثوا عن الأغريق والبابليين والهند والفرس، أن يصححوا هذا الموروث وأن يأتوا بقوانين ومذاهب جديدة، وأن يستخدموا آلات جديدة فى تجاربهم ومقاييسهم، وأن يضعوا علوماً جديدة غير معروفة لدى الأسلاف .

أما بدأ انتقال هذا التراث إلى الأجانب فقد ترجمت بعض كتب الكيمياء والطب وأحكام النجوم من اللغة العربية إلى اللغة اليونانية فى أواخر القرن الثالث الهجرى. ثم بدأ الطريق الثانى عبر الأندلس ؛ وذلك عندما أخذ الغرب المسيحى المعرفة عن المسلمين ولم يقتصر على الترجمة، بل كان هناك اتصال بشرى قوى مباشر.

إن أقدم الترجمات المعروفة من اللغة العربية إلى اللاتينية تمت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى .

وأقدم ما ترجم كان كتاباً فى علم الفلك وكانت أقدم ترجماتهم تتعلق بالأسطرلاب بالهندسة العملية، ولم يجدوا فى كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة للاصطلاحات العربية مما اضطرهم إلى استخدام المصطلحات العربية كما هى .

وقد انطلق اللاتين من مبدأ (الانتحال)

أما الموقف الإسلامى فقد كان واضحاً فى إسناد الأقوال إلى أصحابها، وقد كان لأخذ اللاتين العلم من أعدائهم فى الدين والسياسة إلى الانتحال لإخفاء المؤلفين الحقيقيين، وذلك خلافاً للمتبع عند المسلمين، فقد كانوا يأخذون من أبناء دينهم وغيرهم دون أى مانع معنوى، وامتدت عملية الأخذ فى القرن السادس إلى باريس تورى وتولوز؛ حيث ترجمت كتب عربية ضخمة تتطلب ترجمتها إحاطة المترجم بمعلومات علمية متخصصة، حيث بدأت مرحلة التمثل، أما الانطلاق الكبير فى فن الترجمة فقد حدث فى أواخر القرن السادس حيث ترجمت مؤلفات فى الفلك مقتبسة من الفرغانى والتبانى .

واستقرت مراكز الأخذ والتمثل للعلوم العربية فى نهاية القرن السادس تجاه إنجلترا وشمال إيطاليا وجنوب إيطاليا، وفى صقلية منذ أوائل القرن الثالث إلى الخامس تحت حكم المسلمين، وفتحت مترجمات قسطنطين الإفريقى فى أوربا الأبواب لطلب العلم وانتقلت العلوم العربية الإسلامية إلى الغرب عن طريق بيزنطة وعن طريق الأندلس وعن طريق إيطاليا .

ويميل بعض مؤرخى العلوم إلى الاعتراف للعلوم الإسلامية بالأثر المتواضع فى قيام النهضة الأوربية دون أن يلاحظوا طرق الانتقال وهم يعلقون على الحروب الصليبية أهمية كبرى، ويظنون أن احتكاك المحاربين هو الذى جعل العالم اللاتينى يعرف بعض الإنتاج العلمى الإسلامى، وهذه تسمى (نظرية التوارث) .

وفى القرن السابع الهجرى (١٣ الميلادى) كان قيام الجامعات فى المدن الأوربية : هذه الجامعات على غير مثال أوربى، لم يعرفها الإغريق، ولم تعرفها العصور الوسطى الأوربية، وهى ليست إلا تقليداً للجامعات الإسلامية فى أصولها وفروعها وبرامجها .

***

وعندما بدأت الحركة الفكرية فى الغرب فى القرن الثالث عشر الميلادى وجدنا المؤلفين يفخرون أحياناً بكونهم مقلدين للعرب وتلاميذ لهم وليس فى هذه الكتب

جديد بالنسبة إلى الكتب العربية وهى أقل فى المستوى من مصادرها العربية .

وقد عرفوا عمل بطليموس عن طريق الكتب العربية، ومنها وصل علم الفلك إلى مستوى أفضل مما فى كتاب بطليموس ومدرسة أرسطو التى أنشأها البرتوس العظيم ولم تعرف كتب أرسطوطاليس إلا بواسطة شروح ابن سينا وابن رشد وهو مؤسس علم الحيوان والنبات والأحجار والآثار والعلوم والكيمياء، أخذها مما وجدها فى كتب (ابن سينا وابن رشد وجابر بن حيان) .

أما روجر بيكون الذى استند إلى كتب الكندى وابن سينا وابن رشد ومؤلفين عرب آخرين فهو تلميذ العرب اشتهر باكتشافات مهمة أخذها من العلماء العرب وشهرته أنه أول عالم أفاد من التجربة لخدمة العلم، وكان البيرونى وابن الهيثم سابقين زمنياً، وكان بيكون تلميذهم الذى ظل دون مستوى أساتذته .

***

ويركز الدكتور فؤاد سزكين على ظاهرة انتحال الكتب العربية ونسبتها إلى علماء الإغريق :

أولا : نسبة كتاب (حنين بن إسحاق) فى العين إلى جالينوس .

ثانياً : نسبة كتاب (نور الدين البطروخى) فى الفلك إلى أرسطو .

ثالثًا : نسبة كتاب إسحاق بن عمران إلى ردفوس اليونانى .

ويقرر الدكتور فؤاد سزكين أنه فى القرن الرابع عشر الميلادى قاموا بتلخيص الكتب المترجمة من العربية واعتادوا حذف أسماء العلماء العرب، وذكروا بدلاً منها أسماء علماء الإغريق المشار إليها فى المصادر العربية، وذكروا بطليموس وكتابه فى الفلك مع أن مصدرهم كان كتاب البتانى .

ولاريب أن نسيان علماء العرب منذ القرن الرابع عشر يرجع إلى عاملين آخرين مهمين :

أولهما : ظهور التيار المناهض للعربية، وقد نشأ هذا التيار فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى وأوائل الرابع عشر ضراوة وشدة.

إنها العقدة النفسية تجاه أسماء العلماء العرب، ورائد هذا التيار المناهض للعربية هو (رانموند لولوس)، وقد وصل إلينا أكثر من سبعين كتاباً اتضح من بحثها إنها جميعاً مؤلفات عربية ، وقد استمر هذا التيار إلى أواسط القرن السادس عشر .

ثانيهما : الطموح والولع بالتفوق الحضارى، فكانت الاكتشافات المهمة للعلماء المسلمين تنسب إلى يومنا هذا إلى علماء أوربيين (خلال القرون ١٣ ، ١٤ ، ١٥) ومن هذا القبيل اكتشاف الحجرة المظلمة فى النظريات، وكشف المثلثات الكروية، والأدلة الفلكية المسماة باسم (عصا اليعقوبى) وتأسيس التجربة، وهى مكتشفات نسبت بغير حق إلى (ليفى بن جرنين) وذاعت شهرته بها .

ولم يسجل أحد من الباحثين نفسه كيف يمكن لرجل واحد أن يكتشف هذه الاكتشفات الخطيرة واليوم نعرف المكتشفين الحقيقيين لها من العلماء العرب .

ويستطرد الدكتور فؤاد سزكين فيقول :

إلى جانب الكتب المترجمة فثمة وسائل أخرى لإخفاء الإنتاج العلمى للعالم الإسلامى . أن الكثير من الأوربيين بعد أن أدركوا أهمية العلم الإسلامى شرعوا فى الرحلة إلى الشرق والإقامة سنوات طويلة ، وتعلموا اللغة العربية ودرسوا العلوم وعادوا ومعهم العلم والكتب .

(كوبرنكوس) أخذ نظرياته عن دوران السيارات من الفلكيين المسلمين .

والعالم الإيطالى (ليوناردو تيجورانيوس) أحد علماء للرياضيات اللاتين تعلم العربية ودرس الرياضيات فى تونس، وتنسب إليه اكتشافات خطيرة فى تاريخ الرياضيات، هذه الاكتشافات هى اقتباسات من الكتب العربية ، وثمة وسيلة أخرى لأخذ العلوم العربية، وهى طريقة النقل الشفوى ومنذ القرن الثانى عشر عرف العلماء اللاتين الذين لايفهمون العربية الإنتاج العلمى للعلماء المسلمين عن

طريق الترجمة الشفوية ، كانوا يستفيدون من تلك الكتب دون آن تكون قد ترجمت فى أوربا أو من كتب ترجمة وخفيت ترجمتها على الناس ، ويبدو أن الأمر كان معروفًا للمسلمين لذا كان عليهم فى كتب الحسبة أن يحذروا بشكل رسمى من بيع كتب العلم لليهود والنصارى إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلم وينسبونها إلى أهليهم وأساقفتهم وهى من تألف المسلمين .

وتعرف الآن بالدليل القاطع أن مدرسة لترجمة الكتب العربية والفارسية إلى الإغريقية قد تأسست فى (طيراريزون) على ساحل البحر الأسود وأخرى قامت فى القسطنطينية فى القرن الرابع عشر . اهـ .

***

هذه هى شهادة الدكتور فؤاد سزكين العالم المسلم التركى الذى يعمل أستاذاً بجامعة فرانكفورت منذ وقت طويل على إخراج موسوعة إسلامية جامعة عن التراث العربى يصحح بها كثيراً من المواقف المدخولة التى حاول الاستشراق تعميتها وتزييفها .

وقد عمد إلى تصنيف العلوم العربية كلها وطبقات مؤلفيها من مراجع التراجم الخاصة بهم العربية والأجنبية، وقد رجع إلى فهارس المخطوطات فى حوالى ٧٢٤ مكتبة زارها فى (٤٠ دولة) من أنحاء العالم، منها مائة مكتبة فى استانبول وحدها، وقرأ ما كتب عن مخطوطاتها .

وكذلك راجع ٣٢٧ مرجعًا عربيًا قديمًا و٢١٥ مرجعًا أجنبيًا بمختلف اللغات، وقد اجتمع له من المعلومات عن كتب ومؤلفى القرون الأربعة الإسلامية الأولى ما يملأ خمسة مجلدات .

١ـ علوم القرآن .

٢ـ الحديث والتاريخ والفقه والعقيدة والتصوف .

٣ـ الشعر والنثر واللغة والآدب.

٤ـ العلوم الطبية .

٥ـ العلوم الطبيعية .

٦ـ الترجمة والفلسفة .

وما يزال الدكتور فؤاد سزكين مستمرًا فى عمله التاريخى الكبير .

تكامل الفكر الإسلامى
تكامل قيم (الروح والمادة والقلب والعقل ، الدنيا والآخرة)

تكاد تجمع كل الدراسات الجادة والمنصفة على : أن رسالة الإسلام مدعوة لإنقاذ العالم كرة أخرى وإخراجه من براثن الوثنية والمادية والانهيار الخلقى؛ حيث يراد وضع قواعد دين جديد غير دين الإسلام الذى أنزله الله تبارك وتعالى ومحاولة ترويج الفهم للإسلام على أنه عبادة وليس منهج حياة .

وكان الإسلام منذ اليوم الأول قد احترم خصائص الشعوب التى دخلها واكتفى بأن يرفع عنها ما كانت تعانيه من اضطهاد قومى أو عنصرى، سواء من الفرس أو الروم، وترك لها الحق فى تأدية شعائر دينها ، وبهذا شكل الإسلام أفقاً على تعدد الألسنة والأصول القومية، وأفسح مكاناً فى داره لمن خالفه فى العقيدة من أهل الكتاب .

لقد حرر الإسلام البلاد التى دخلت دائرة حكمه من العبودية = عبودية الإنسان للإنسان ، عبادة شعب لشعب ، عبودية الشهوات واللذات والمطامع، ثم رأت شعوب المنطقة إعادة تشكيل نفسها فى ظل الإسلام بعد أن رأت سماحة الإسلام وحمايته لوجودها ولمادتها حتى قبلت راضية الدخول فيه وتكونت عالمية الإسلام من هذه الدعوة المفتوحة التى لم تحتكر العالم على العرب، وإنما أشاعت ذلك فى كل العناصر التى تستظل بظل الإسلام، فالبخارى من بخارى، والخوارزمى من خوارزم، والقابسى من قابس، وأبو الريحان البيرونى من بيرون فى بلاد السند، وابن خلدون تونسى قحطانى، وابن النفيس القرشى من دمشق ، فكلهم ـ كما يقول الدكتور عبد المجيد الهاشمى ـ أسرة إسلامية واحدة .

كانت دعوة الإسلام الكبرى هى التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى الذى منه

تبدأ الأمور كلها وإليه تنتهى والذى جعل التمسك بالقرآن كأساس موحد بين المسلمين مع إلغاء العصبية المذهبية .

ويتقرر الإسلام أن باب الاجتهاد مفتوح، وبه دعوة إلى التبشير بالمخترعات الحديثة ويدعو إلى وسطية بين طرفى الأمور .

ويقدم الإسلام تكامل مفهوم المعرفة (الحس ـ العقل ـ الإلهام ـ الوحى الإلهى) كما يقرر أن لكل أمر وجهين : مادى ومعنوى، وأن تكاملهما هو المنطلق الصحيح .

وأن العقيدة ـ وليست اللغة ـ هى علامة بناء الجماعة فإذا زالت العقيدة زالت الجماعة وانحلت وانقرض وجودها .

والإسلام هو الذى شكل عقلية الأمة .

كما دعا الإسلام إلى التحرر أساساً من العنصرية والاستعلاء بالعرق أو الدم ، كما كانت الحرية والعدل فى الإسلام تمتاز عن الديمقراطية والاشتراكية، وتجىء هنا خطيئة مقولة (ثم جاءت الأديان) لأن الأديان بدأت مع نوح عليه السلام .

وقد جعل الإسلام (الأخلاق) ميزاناً لكل القيم ، فهى جزء من العقيدة ولها ثباتها واستقرارها .

كما جعل الوحى والعقل متكاملين، فالوحى نور العقل ، والعقل لا ينطلق إلا فى ضوء الوحى ، وأن العقل الإنسانى لا يكون فى كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة تماماً، وبذلك ليس ثمة ما يجعلنا نطمئن إلى صدق أحكامه، وتعد قيم الدين أكثر فاعلية فى النفس وفى تقدم المجتمع من تلك القيم التى تستند على العقل وحده .

وأن أغلب مذاهب الأخلاق الوضعية ـ قديماً وحديثاً ـ انحرفت عن الجادة القويمة (أخلاق الفلسفة) .

٢ـ إن قيم الأخلاق فى الإسلام تخاطب الفطرة السليمة والوجدان المباشر ،

وإن أخلاق الدين قادرة تماماً على هداية السلوك وتقدم الشعوب والمجتمعات بما تمنحه من طاقات روحية هائلة .

وإن تراث المسلمين يختلف عن تراث الغرب؛ وذلك لارتباطه بالقرآن والسنة الشريفة، فقد جاء إيضاحاً لهما وتفسيراً وكشف عن جوهره، ومن خلال هذا التراث أقام المسلمون أعظم مناهج الفكر والعلم فى حياتهم الإسلامية؛ حيث أقام منهج المعرفة الجامع بين الوحى والعلم ، ومنهج تكامل الثقافة فى الربط بين الأمة فى وحدة شاملة كان قوامها (الوحى) والرسالة، وكان منهج العلم التجريبى أكبر مناهجه التى أعطت البشرية الحضارة الحديثة التى قامت على التجريب والبرهان، فلما توقفت حضارة الإسلام انقطع الخيط، فإذا عاد المسلمون اليوم إلى استئناف حضارتهم فلابد أن يصلوا حاضرهم بماضيهم، ومن هنا كانت أهمية بقاء التراث واستمراره .

***

وقد أعاد الإسلام شأن الفكرة والعقيدة على العناصر والدماء والأجناس، وأن جامعة الإسلام هى جامعة وحدة الفكر القائمة على الإيمان بالله تبارك وتعالى، وقد أدخل الإسلام فكرة (الأمة) المرتبطة بالعقيدة ووضع النبى ﷺ أسسها ونظمها على قاعدة : «**الناس كلهم لآدم وآدم من تراب وأنه لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى** »

وقد تبين على مدى أربعة عشر قرناً، وعلى عشرات الأقلام الحاضر ، وغيرها أن الإسلام هو المنقذ الوحيد القادر على مواجهة كل قضايا البشرية؛ لأنه الكتاب السماوى الذى وثق الأنبياء والرسل والكتب السماوية وقد اعترف بهذا علماء الغرب فى ظل ما عرف بأزمات التاريخ .

إن الإسلام هو القادر على حل أزمة الغرب النفسية والاجتماعية، وقد تكشف

بما ليس له مزيد أن حضارة الإسلام حضارة أخلاقية تجمع بين الفكر والعمل، وهي كما عبر عن ذلك بعض الباحثين :

(١) لا تقدس الفكر وترفعه فوق العمل كما كان الشأن فى الحضارات اليونانية القديمة .

(٢) تجمع بين المادة والروح، وترى أن المجتمع المتكامل السليم هو المجتمع الذى لا يهمل الحوافز الروحية إلى جانب الحوافز المادية في عملية التطور، ولهذا كانت الأمة الإسلامية الآخذة بهذه الحضارة أمة وسطاً ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص : ٧٧) .

وقيم الإسلام الدافعة إلى التقدم الحضارى ليست معانى مجردة مستقلة بذاتها عن العمل (كمثل أفلاطون) بل هى قيم ذات فعالية إيجابية فى واقع المجتمع .

ومعنى الحضارة هو مجموع الفكر العمل، وليست الحضارة هى التقدم المادى وحده، بل هى جماع القيم الروحية والنفسية وقيم الفنون والعلوم ، ولابد أن ترتبط أساساً بالقيم الأخلاقية .

إذن فإن الحضارة المادية وحدها بدون قيم أخلاقية لا تلبث أن تسقط .

***

لقد كان الإسلام علامة على انتهاء عصر ، وبدأ عصر قوامه تكامل القيم لا الفصل بين القيم ، فقد قدم القرآن الكريم تصوراً كاملاً للميتافيزيقا (عالم الغيب) كما قدم منهجاً كاملاً للحياة يختلف عن منهج الفلاسفة اليونان الذين أقروا عبودية الإنسان للإنسان .

هذا الدين الخاتم الذى يبقى إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها فلن تستطيع قوة على وجه الارض أن تغلبه أو تقضى عليه ، بل يؤكد القرآن فى ثلاث آيات متفرقات هذه الحقيقة ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .

ولن يكون مـــا يمر به الآن من تراجع لأهله أو تخلف لهم إلا نوع من

الامتحان لمواجهة المؤامرات الممتدة والأزمات المتوالية، وقد عرف المسلمون منذ وقت بعيد أنهم محاصرون، وأن عليهم أن يثبتوا فإن لم يستطيعوا أن يتقدموا فلا أقل من الثبات فى مواقعهم .

وعلى المسلمين أن يستجيبوا لنداء المواجهة بالمقاومة بالصمود بالتحرر من قيود المادة وقيود الأخلاق إلى الأرض والتقدم إلى بيع النفس خالصة فى سبيل الله وإقراض الحق فى سبيل الدفاع عن الحق واسترجاع بيت المقدس .

إن الصورة ليست فى جملتها مظلمة، ولكن بعض جوانبها تزخر بالضياء، فما يزال الإسلام يزحف فى قوة ويحتل مواقع جديدة ويتمدد ويزداد كل يوم قوة وعدداً.

إن الذين يظنون أنهم قادرون على حصار الإسلام وإذابته فى بوتقة الحضارة المنهارة يخدعون أنفسهم ، فلن ينهزم الحق أبداً ولكن سينهزم الذين لا يثبتون فى مواقع الدفاع فسيبدلهم الله تبارك وتعالى بغيرهم، ولن تستطيع هذه القوى المتجمعة أن تمضى على هذا الكيان أو تهدمه، ومن المحتم أنه سينتصر فى النهاية بعد أن يرى المؤمنون ربهم من أنفسهم ثباتاً وصموداً أو تحريراً من تبعية الإخلاد إلى الأرض .

إن الحضارة الإسلامية تؤمن بالتقدم المادى من خلال القيم الأخلاقية والثوابت العقدية ولا يقبلون بديلاً عن المنهج الربانى .

وقد أقام الإسلام الثوابت والمتغيرات وجعل الأخلاق من القيم الثوابت، فنحن مطالبون فى الأهم الأكبر بحماية القيم الأخلاقية والقضاء على إشاعة الإباحة والانحلال والفساد الخلقى وحماية المناعة القادرة على مواجهة مخططات الأعداء .

وبالجملة فإن التصور الكامل لمفهوم تكامل الفكر الإسلامى يقوم على أساس قاعدة المعرفة الإسلامية، وأساسها الجمع بين الوحى والعقل، وهو مصدر يقوم على الارتباط بين المعرفة والقيم الإلهية ورد الاعتبار للوحى كمصدر أساسى من مصادر

المعرفة .

وإعادة فهم المعرفة بأنها معطًى إلهى للإنسان ليمكنه من مهمة الاستخلاف والعمران .

مع إعلان فساد نظرية المعرفة القائمة على التصور المادى المتمثل فى (الفلسفة المادية ـ العقل ـ المحسوس) .

ولم يكن تكامل المنظومة الإسلامية بين الواقع وعالم الغيب ما يمثل ردة حضارية أو أفكار محنطة (كما يدعى العلمانيون) وإنما الردة هى إنكار تكامل الفكر الإسلامى بين الروح والمادة وتكامل الذاتية الإنسانية بين العقل والوجدان .

ونحن حين نتجاهل الغيب والوحى فإننا نفقد جانباً كبيراً هاماً من مفهوم الوجود والحياة والإنسان .

ونجرى مع وهم كبير وهو المحسوسات وحدها .

* * *

إننا نحب أن نحترس فى أمرين أساسين :

الأول : الفكر الغربى (ليبيرالى وماركسى)

الثانى : إحياء الفكر القديم الوثنى والمنقول من الفكر اليونانى فكر الفلسفة المادية الذى حاربه الإمامين الغزالى وابن تيمية، والذى يحاولون اليوم إذاعته تحت رداء اسمه (الحداثة) لخدمة أهداف التبشير والاستشراق والتغريب .

تحفظات على دراسات التراث الإسلامى

أولاً : فساد المراجعات التى يقوم بها الاستشراق الصهيونى والماركسى والغربى للتراث والتاريخ الإسلامى؛ لأنها لا تعتمد النزاهة ولا سلامة النفس من الهوى والغرض فضلاً عن قيام هذه التفسيرات وفق المنهج الماركسى أو المادى، وكلاهما يتنكر للتصور الإسلامى الجامع بين المادة والروح .

كما أنها تحاول محاكمة التراث الإسلامى على النحو الذى يحاكم عليه التراث الغربى مع الفوارق العميقة بين التراثين من حيث إن التراث الغربى تراث بشرى فى أغلبه وتراث أسطورى فى عامته؛ حيث لم يتصل بالفكرة الدينية الربانية إلا فى هوامش قليلة اختلطت بالفكر البشرى .

الهدف : هو عزل الأمة الإسلامية عن ذاكرتها التراثية وتشويش رؤية المسلمين المعاصرين لتراثهم ، وهم يعملون هذا عن هدف مبيت؛ ذلك أنهم يعلمون أن المسلمين سوف يعودون إلى هذا التراث عن قريب ليبدءوا منه نهضتهم، فهم يعملون على تدميره؛ ليحولوا بينهم وبين هذه الخطوة الأساسية لأية نهضة ، وبهدف إحداث حالة الانقطاع بين مسار الأمة التاريخى والذوبان فى الغرب والاستقطاب حول مناهج وافدة .

فهم مثلاً يصورون الحروب الصليبية على أنها حروب قومية عربية ضد الاستعمار الأوربى (ويضعون موقعة حطين فى هذا السياق) .

ثانياً : محاولة إيجاد تصور بإنكار الدور الرائد الذى قام به المسلمون فى بناء المنهج العلمى والمنهج التجريبى وحجب كل ما يؤكد هذا المعنى من التراث الإسلامى الذى تحفل به جامعات أوربا .

والهدف هو إبراز النشاط العلمى الأوربى على أنه فكر رائد؛ متجاهلين المراحل التى قام بها العلماء المسلمون فى إنشاء هذه العلوم ، سواء الاجتماعية أو

الاقتصادية أو السياسية حيث يجرى اليوم تعتيم واسع على هذا السبق الإسلامى ، وإذا ما ظهر نص جديد يؤكد ريادة المسلمين جرى العمل على التشكيك فيه وحجبه والمراوغة فى إطلاقه، وهنا يذكر الدور الذى يقوم به الدكتور فؤاد سزسكين(١) .

والمعروف أن القانون المدنى الفرنسى الذى وضعه نابليون قد نقلت أصوله والكثير المستفيض من مواده عن «الشرح الكبير» للشيخ الدردير المصرى على مختصر خليل فى الفقه المالكى، وكذلك فإن قاعدة المنع من التعسف فى استعمال الحق والتى أشار إليها الفقهاء الألمان وأثارت إعجاب العالم هى قاعدة إسلامية أصيلة .

* * *

وتتمثل الحملة على التراث الإسلامى بهدف تقليص أثره وخلق روح النفور منه فى عدة دعاوى مسمومة أبرزها :

(١) ليس التراث العربى إلا ترويداً للفكر اليونانى القديم بعد مسخه وتشويهه .

(٢) التشكيك فى قيمة الإسلام العربى فى التراث .

(٣) الادعاء بأن الذين قاموا بالإسهام الفعال فى الفكر الإسلامى مفكرون من الفرس أو اليونان أو الفينيقيين ممن دخلوا إلى دين الإسلام .

٤ ـ القول بأن التراث القديم عبء يجب التخلص منه من أجل اللحاق بركب المدنية الحديثة .

القول بأن الحضارة الإسلامية لم تكن أكثر من جسر أو معبر عبرت عليه الحضارة اليونانية وعصور سابقة على عصر النهضة والعصر الحديث .

وهذه كلها اتهامات باطلة، كشف علماء المسلمين فسادها بعد أن اعترف عدد من علماء الغرب بأصالة التراث الإسلامى وأهمية الدور الرائد الذى قام به

---

(١) راجع كتابنا (مصابيح التراث والعصر) .

المسلمون فى وضع أساس منهج المعرفة ومنهج البحث العلمى ومنهج التجريب .

سيديو وساركون ودرابر وسجريد هونكه وجوستاف لوبون إلخ كل هؤلاء شهدوا بأصالة التراث الإسلامى .

ومن ذلك قول سيديو : إن الكنوز الأدبية العظيمة أوجدها العرب فى ذلك العصر ونتاج نبوغهم العلمى ينهض دليلاً على نشاطهم الفكرى ، وتؤيد الرأى بأن العرب هم أساتذة الغرب فى كل شىء ... إلخ .

أما أن الحضارة الإسلامية كانت ذات دور مؤثر فى الغرب فذلك أمر واضح ، ففى خلال ألف سنة كانت الحضارة الإسلامية تضيء المنطقة من أسبانيا إلى حدود الصين فى سنوات عرفت فى الغرب بالعصور الوسطى المظلمة .

أما الذين أسهموا فى هذا التراث وهذه الحضارة فهم جميع أهل الأمة الإسلامية، سواء منهم الذى آمنوا بالإسلام أم لم يؤمنوا ، فقد أوجد الإسلام نهضة فكرية جمعت كل العناصر تحت لوائها .

وكانت اللغة العربية هى منطلقها الأصيل ، إن الإسلام وحده هو الذى شكل عقلية الفقهاء ، سواء كانوا فرساً أو هنوداً أو تركاً أو عرباً ، فهم قد شاركوا بعقيدة الإسلام وعقليته ومفاهيمه ، فهم ليسوا فرساً ولا أتراكاً وإنما هم مسلمون كتبوا باللغة العربية ودليلهم القرآن .

أما القول بأن التخفف من التراث مطلب من أجل اللحاق بالحضارة فتلك دعوى مضللة وباطلة ، بل العكس هو الصحيح فقد أكد العلماء التجريبيون أن النهضة الإسلامية لا يمكن أن تستأنف إلا بالاتصال بنهاية التراث الإسلامى الذى توقف من قبل البناء عليه » .

فالذين يدعوننا إلى التخفف من التراث إنما يدعوننا إلى التيه حتى نفقد طريقنا ومنطلقنا الحقيقى إلى النهضة المرتقبة .

ذلك أن أبرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية جديدة

هى تلك العناصر الأساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكز عليها الانبعاث فى أوربا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة ألف عام الإطار الزمنى لازدهار الحضارة الغربية فى مختلف مجالاتها الإنسانية ؛ حيث برهن العرب خلال ذلك على أصالة نادرة وروح خلاقة واستعداد للتكيف ، فقد أعدوا منجهاً تجريبياً لم يكن للإنسانية عهد به ، وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر (كما يقول عبد العزيز بن عبد الله) .

ويقول الدكتور أحمد سعيدان :

إن المهمة الفردية للبحث فى هذا التراث هى أنه يمكننا من إقامة بنيان المعرفة العلمية لدى أجيالنا القادمة على خلفية من إنجازاتنا، إن عرض مسيرة العلم كما لو كان مقصوراً على الإنجازات الغربية لا تخلق حافزاً للأجيال الصاعدة ولا يقيم فى أذهانهم قيماً ومثلاً بقدر ما يضع فى نفوسهم أن يعرفوا أن لأجدادهم إنجازات واكتشافات واختراعات، وإن قصر البحث على الإنجازات الغربية تفقدهم شخصيتهم وتشعرهم بالنقص ، كما أنه يعوق استقلالهم الفكرى ويحول دون الأصالة الإبداع ، وإن موضوعية البحث لا تتناقص بتنشئة المواطنين تنشئة فيها الاعتزاز بماضيهم والانتماء إلى أصولهم والثقة بقدراتهم دون تهويل إلى حد الادعاء الأجوف .

* * *

وبعد .. فلم تعد هناك شبهة أمام الحقيقة الواضحة الجلية التى تتمثل فى فضل الإسلام على مناهج العلم والمعرفة والتجريب فقد تعدد وتكرر اعتراف علماء الغرب بهذه الحقيقة بعد أن ظلت متكورة وقتاً طويلاً ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل لقد تكشف أن علماء المسلمين صححوا كثيراً من نظريات اليونان ، وأن كشوفهم قد قدمت مفاهيم جديدة .

مثال ذلك ما قدمه العلامة (ابن الهيثم) بنظريته فى الطبيعة ، فقد أبطل

علم المناظر الذى وضعه اليونان وأنشأ علم الضوء بالمعنى الحديث ، وإن أثره فى هذا العلم لا يقل (بشهادة كل العلماء الكبار) عن أثر (نيوتن) فى علم الميكانيكا ، فقد أخذ بالاستقراء واعتمد على المشاهدة ، وسبق (بيكون) بعدة قرون ، وتناولت تجربته ضوء القمر وضوء الكواكب ، فضلاً عن أنه استقصى أحوال الإضاءة الشديدة والإضاءة الطبيعية ، يقول الدكتور عبد الحليم منتصر : إن ابن الهيثم أبطل النظرية اليونانية القديمة التى كانت تقول بأن الرؤية تحصل من انبعاث شعاع ضوئى من العين إلى الجسم المرئى وأحل محلها أن الرؤية تحصل من انبعاث الأشعة من الجسم إلى العين التى تخترقها الأشعة ترتسم على الشبكية ، وينتقل الأثر من الشبكية إلى الدماغ بواسطة عصب الرؤية ، لتحصل الصورة المرئية للجسم، وهو أول من قال : إن العدسة المجربة ترى الأشياء أكثر مما هى عليه ، وهنا يأتى الأثر الثالث بعد الريادة وتصحيح مفاهيم العلماء اليونان السابقة ، وهذا الأثر هو تأثر الغربيين المحدثين بهذه المفاهيم ، يقول دكتور مصطفى نظيف : إن كتاب المناظر الذى وضعه ابن الهيثم كان له أثر بالغ فى معارف الغربيين فى العصور الوسطى من روجر بيكون حتى كهلر .

وقد تبين لى على التحقيق أن جل البحوث والكشوف الضوئية التى تنتسب إلى علماء أوربا حتى عصر النهضة قد وردت فى كتاب (المناظر) ، وأن كثيراً من علماء أوربا المشهورين فى تلك العصور لم يصلوا إلى مستوى الآراء الأساسية التى ذكرها (ابن الهثيم) ، وأن كتابه كان له أثر عميق فى توجيه علم الضوء الوجهة الصحيحة .

وكذلك الأمر فى ريادة (ابن النفيس) الذى وصف الدورة الدموية وصفاً صحيحاً يخالف وصف ابن سينا وجالينوس كل المخالفة ، وذلك قبل أن يكتشفها الأوربيون بثلاثمائة سنة تقريباً .

ومما يتصل بهذا ما ألف من كتب لتصحيح أخطاء اليونان ، وقد ألف الرازى

كتاباً أسماه (الشكوك على جالينوس) وفيه يعتذر بأسلوب العالم الإسلامى عن مناقضته لرجل له من الاسم والشهرة ما لجالينوس ، ويقول :

إن التسليم للأستاذ فيه وقوف فى العلم ؛ ولذلك فهو يصحح آراء عالم سابق حتى يكون ذلك منطلقاً لتقدم العلم نفسه ، ولم يقف الأمر عند ابن الهيثم وابن النفيس ، فقد قام بذلك التصحيح ابن حزم وجابر بن الأفلح والغزالى والجاحظ ، وكلهم صحح مفاهيم بطليموس وإقليدس وأرسطو وأبقراط وجالينوس .

ثانياً : سبق المسلمون إلى إنشاء الموسوعات العامة وتراجم الأعلام وفق منهج التحقيق العلمى ، وكان لابد أن يتصل هذا العمل فى العصر الحديث ؛ حيث لا تخلو الموسوعات الأجنبية من دس على حضارتنا وعقيدتنا وتاريخنا ، وبعض هذا الدس يحاول أصحابه إكساءه ثوب العلم والتحقق .

ولم يتوقف هذا السبق فى مجال الموسوعات والتراجم ، بل اتصل بمجال العلم نفسه، فالقابسى (٤٠٣ هـ) يتحدث عن أحوال المعلمين والمتعلمين فى مقدمة كوكبة من علماء التربية الإسلامية (الزرنوخى ٥٩١ الغزالى ٥٠٥ ابن خلدون ٨١٨) ويسبق القابسى فى هذا المجال بأمرين :

أولهما : أن التعليم حق لكل صبى وواجب على الدولة فى حالة عدم قدرة أهله على الإنفاق عليه .

والحجة فى ذلك أن الدولة مكلفة بأن تعلم كل مواطن أمور دينه وصلاته ، وليس هناك من سبيل لتحقيق ذلك إلا أن يتعلم القرآن قراءة .

ثانيهما : اهتمامه بتعليم البنات انطلاقاً من أن الإسلام هو دين الجميع (جميع أبناء المسلمين فقراء وأغنياء إناثاً وذكوراً) وقد نادى القابسى بهذه المفاهيم فى القرن العاشر الميلادى (السادس الهجرى) وكشف عن مفهوم الإسلام فى التربية قبل أن تردد أوربا هذه المفاهيم بأكثر من ثلاثة قرون .

أما المعاجم والموسوعات الإسلامية فقد قدم علماء الإسلام فيها أعمالاً وافرة .

ومن هنا تتضح الحقيقة الأساسية : أن الإسلام لم يقبل أى فكر وافد قبل أن يتحقق من مطابقته للتوحيد الخالص وقبل مراجعته كعلم على مفهوم (التجريب) وأنه حول هذه العلوم كلها لتكون فى خدمة الإنسان الذى حرره الإسلام من العبودية لغير الله ، ومن الرق ومن الوثنية، وأن الإسلام صهر تلك المفاهيم كلها التى وجدها عند الأمم فى دائرة أصالته ؛ ليخضعها لمفهوم التوحيد الخالص ، ورفض كل ما يتعارض معه من مفاهيم الوثنية أو الباطنية ، وكان الشافعى والغزالى وابن حنبل فى مقدمة الذين أرسوا هذه القواعد، هذا وبالله التوفيق .

العودة إلى المنابع

ماذا تعنى العودة إلى المنابع : تعنى التماس مفهوم القرآن والسنة وتعامل الرسول ﷺ مع الأمور والمعضلات إزاء المجتمع الجاهلى القديم وإزاء الوافد من حضارات الروم والفرس ، وهو ما قام به المجتهدون من فقهاء الإسلام من بعد .

أما التماس العودة إلى المراحل المضطربة من تاريخ المسلمين أو مراحل الضعف والتخلف فإنها لا تصلح للانتفاع بها إلا من قبيل العبرة بأخطاء الماضى .

إن ارتباطنا بماضينا يعنى ارتباطنا بالقيم الأساسية من ثوابت الإسلام وليس من الفكر الباطنى أو الوثنى فى مراحل ترجمة الفلسفات أو مراحل التبعية .

ونحن فى هذا الموقف لا نرتبط إلا بالماضى الأصيل بمفهوم أهل السنة والجماعة، وفى نفس الوقت نكون قادرين على أن نقف موقف الأصالة من الفكر الوافد، فلا نقبل منه إلا العلوم والوسائل التى نطورها فى دائرة فكرنا ومجتمعنا ونصهرها فى بوتقتنا .

أما الثقافة الإسلامية فهى تستمد طقوسها الأساسية من القرآن الكريم والسنة المطهرة وقد شكلت طابعاً أساسياً تلتقى فيه الأعراق المختلفة (عربية وفارسية وتركية وهندية جميعاً) وهى التى تستمد عقيدتها وفكرها ومنهجها الاجتماعى والأخلاقى من المنهج الأول والنبع الأصيل .

ولقد كانت مهمة الثقافة الإسلامية المتميزة المرتفعة عن الانصهار أو التبعية استيعاب ما يوافقها ولا يتعارض معها من الثقافات المعاصرة دون الوقوع فى أسرها أو ذوبان الأصالة .

وأمامنا تجربة القرن الرابع بترجمة الفكر اليونانى .

فقد ترجمت الفلسفات ، ورد المسلمون على ما فيها من أخطاء ، وكشفوا ما تختلف فيه عن الإسلام .

ونحن نفرق بين التحديث والتغريب ، فالتحديث يرمى إلى عرض الإسلام

كما أنزل على رسول الله ﷺ فى محافظة كاملة على حقيقته وجوهره، وعرضه عرضاً حديثاً يناسب عقول أهل العصر وأذواقهم دون أن نتخذ من المعايير الأوربية موازين للحكم على الإسلام وحضارته .

فإذا لم يتفق القرآن مع آراء أهل العصر وموازينهم فإن هذا يتطلب شرح وجهة النظر الإسلامية والأحكام الشرعية والأسباب الموجبة لها شرحاً يجعل الغربيين أقدر على فهم الإسلام واحترامه .

أما التغريب فهو تقديم الإسلام من خلال مقاييس الغربيين وقيمهم ومفاهيمهم ، وهذا ما يعارض أصالة الإسلام ومنهجه المفرد .

إن هدف حركات: اليقظة ، البعث ، الصحوة ، التحديث الإسلامى « أن تعرض الإسلام كما هو دون تشويه أو تغيير ، على أهل العصر من مسلمين وغير مسلمين باللغة العربية التى يفهمها الناس ، ومن خلال المفاهيم والتعابير التى تتفق مع بنية عقولهم وتطلعات نفوسهم» .

« وهى تتحدث عن الإسلام الذى يمتاز بنظرته الشمولية فى الماضى والحاضر والمستقبل» .

« كما يمتاز بنظرته الإنسانية التى تقوم على تصور عام للوجود على الإيمان والعبادة والأخلاق ، كما أنه يقوم على تنظيم شامل للمجتمع» .

إن حرص الإسلام على الحفاظ على أصالته لا ينافى رغبته الصادقة فى التعامل مع غير المسلمين ، بل إن حرص الإسلام على أصالته يجعله قادراً على إثراء البشرية فى الميادين التى تتلاقى فيها الحضارات .

حركات إسلامية أصيلة

ولقد اكتشف الغربيون الإسلام أخيراً بعد أن حاربوه خمسة قرون ، وظهر كُتّاب أعلام لفتوا النظر إلى الأخطار المحدقة بالبشرية ، وأعلن بعضهم أن الإسلام وحده هو الدين المؤهل للقيادة العالمية ؛ لأنه يعنى بجماع الدنيا والآخرة والفرد والمجتمع ، ويؤمن بالحرية والإخاء والعدل والإحسان ، كما يثق بالإنسان ومستقبله ويحرص على تكريمه ويطالبه بأداء رسالته ، وهى أن يكون مستخلفاً لله تبارك وتعالى فى الأرض ، ولا ريب أن الإسلام سيستجيب لهذا النداء ويحقق الرخاء ويكون فى المستقبل كما كان منذ ظهوره فى خدمة الإنسانية كلها ، يعنى على أهل الغرب أن يتعرفوا على الإسلام معرفة صحيحة ويطلعوا على جوهره وغاياته فى:

(١) نصرة الشعوب المستضعفة مهما كان لونها أو دينها أو عرقها .

(٢) التشجيع المستمر للبحث العلمى وجعل وجهته خالصة للإنسانية كلها وليس لطائفة تستعلى به على البشرية .

(٣) الإيمان بمستقبل الإنسانية المؤمنة .

(٤) الدعوة الصحيحة للإسلام .

أما فى بلاد المسلمين فلا بد من إعادة صورة الإسلام إلى حقيقتها من حيث كونه عقيدة ونظام حياة قائم على الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية .

ولابد أن تقوم عليه الدولة الإسلامية من خلال أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد تمتع الإسلام بطاقة وافرة تتجلى بقدرته على التوسع والانتشار وتحريك الشعوب، وليس أدل على ذلك من الانتفاضات التى حدثت فى الأقطار الإسلامية إبان مكافحة الاستعمار وانتهت بانحساره عنها .

فضلاً عن مشاهدة اليقظة فى بعض البلاد الإسلامية التى كافحت وتكافح من أجل تحررها السياسى وتقدمها الاجتماعى ، وقد اعترف بذلك من متعصبى

المستشرقين برنارد لويس الذى قال: « إن الشيء الواضح الوحيد هو أن من بين جميع الحركات الكبرى التى هزت الشرق الأوسط فى آخر قرن ونصف كانت الحركات الإسلامية وحدها أصيلة فى تمثلها لمطامح أهل هذه المنطقة ، فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية والاشتراكية كلها أوربية الأصل مهما أقلمها أتباعها، وبالرغم من أن كل الحركات الإسلامية قد هزمت غير أنها لم تقل كلمتها بعد » .

شريعة متكاملة :

ولقد كان الإسلام وما زال شريعة متكاملة تستوعب كل أوجه الحياة ديناً ودنيا تضبط علاقة الإنسان بالخالق تبارك وتعالى وبينه وبين غيره من بنى الناس جميعاً .

يقول الفيلسوف محمد إقبال : إن الشئون الروحية والدنيوية فى الإسلام لا تعتبر ميدانين منفصلين ، وتوجد حقيقة واحدة فى الإسلام لا حقيقتان طبقاً لوجهتى كل من الدين والدنيا ، وليس صحيحاً أن تقول : إن الدين والدولة وجهين أو مظهرين لنفس الشيء . إن الإسلام يعتبر حقيقة متفردة غير قابلة للتحليل» .

فالدولة من وجهة نظر الإسلام إنما تعبر عن السعى لتحويل تلك المبادئ والمثل العليا إلى قوى عاملة فى إطار الزمان والمكان ، وتعد أملاً لتحقيق تلك المثل فى تنظيم إنسانى محدد» .

والإسلام يربط بطبيعة لا تقبل الفصل بين ما هو لا دينى وبين ما هو مقدس، بين ما هو روحى وبين ما هو دنيوى ، ويكفى أن نقول عن الدول الإسلامية : إنها دولة مدنية مؤسسة على الإسلام ، لا هى دينية ولا ثيوقراطية ، فهى دولة شورية لا استبدادية ، دستورية لا بوليسية ، أخلاقية لا ميكافيلية ، إنسانية لا همجية ، علمية لا علمانية ، دولة عقيدة وفكرة تؤيد الحق وتنصر الخير وتقيم العدل وتحرس القيم وترعى الحرمات وتصون الحقوق والحريات .

الغيب شطر الشهادة الثانى :

ولما كانت هذه الوحدة الجامعة وهذا التكامل لايجد قبولاً عند العلمانيين

والملاحدة والذين يقيمون مفاهيمهم على أساس الفلسفة المادية والانشطارية ، فيرفضون الروح والمعنويات وعالم الغيب والنبوة وكل ما ليس محسوساً ، فقد شاعت مقولة العقلية الغيبية التى قصرت مثلاً على الإسلام ، فهل الإسلام كذلك؟ .

نحن المسلمين نؤمن بالغيب ونعتبره الشطر الثانى لعالم الشهادة . ونقيم مفهومنا على التكامل بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة، هل نعتبر العقلية الإسلامية عقلية غيبية بمعنى أنها جامدة أو قاصرة ؟ ذلك ما ليس إليه من سبيل؛ لأن هذه العقلية الإسلامية الجامعة هى التى أقامت الحضارة والمنهج العلمى التجريبى خلال أكثر من ألف عام من الآن ؛ ليضىء طريق البشرية ، وقد امتد من حدود الصين إلى قلب أوربا وكان مصدر الحضارة الحديثة .

وإنما يقال ذلك بهدف انتقاص العقلية الإسلامية وتقليل مكانها العميق ، فالواقع أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى جمع بين الغيبية والعلمية فى آن واحد (إن صح هذا التعبير) وكل الدلائل التاريخية والعملية تؤكد خطأ هذا الاتهام ؛ إذ استطاع الإسلام أن يجمع بين العلم والغيب معاً على خلاف العقلية الغربية المادية، ولقد حاول كتاب الغرب من أعداء الإسلام نشر هذا الادعاء الباطل، محاولة لانتقاص العقل العربى أو العقلية الإسلامية ، وجاراهم فى هذا بعض الكتاب العرب.

ولكن من يراجع تاريخ العلوم الإسلامية يتأكد له أن العقلية العربية الإسلامية على حد تعبير – الدكتور ماهر عبد القادر – تتضمن جانباً تحليلياً نقدياً تأويلياً يعمل العقل حتى فى النص القرآنى ، وليس كما يقولون بسيطرة النواحى البيانية والعرفانية التى جاءت فى ظروف تاريخية وسياسية ، وهذا الادعاء قال به الكاتب الفرنسى (التوسير) وجاراه فيه عابد الجابرى وغيره ، أما ما أصاب العقلية العربية من الجمود فقد كان بسبب بعض الظروف السياسية والتاريخية .

أما القول بأن العقلية العربية عقلية غيبية بشكل مطلق فهذا مرفوض تماماً ،

فليس هناك شىء مطلق أولاً ، وثانياً كيف نكون عقلية غيبية وننتج علماً أو منهجاً تحليلياً ونقدياً كما هو معروف .

وبعد فأعتقد أن تلك المحاولات متجددة لتشويه أصالة الإسلام على أيدى بعض الماركسيين (أمثال أدونيس وعابد الجابرى) قد عفا عليها الزمن بعد أن ظهر كتاب من الغرب يؤكدون صدق الإسلام ويخرجون من عقليتهم المادية التى ولدوا بها ليقروا بعظمة الإسلام وكفايته وعطائه ، بينما يسقط الذين ولدوا فى قلب الإسلام ، لأنهم جروا وراء الأهواء والمطامع .

وأخطر ما لديهم أنهم يحاكمون تاريخ الإسلام وفق المذاهب الغربية المادية ، وكيف يمكن محاكمة الإسلام الذى ظهر قبل ألف وأربعمائة سنة بمذاهب مادية ظهرت فى القرن التاسع عشر وثبت فسادها وانهيارها .

إن تمسك هؤلاء بمقولاتهم المبطلة رغم انهيار كل الدلائل التى يمكن الاعتماد عليها لا يقل غرابة عن موقف الشيوعية الآن من التطرف الماركسى بعد سقوط روسيا .

التحول نحو الأصالة وتصحيح الواقع :

لقد تميز الإسلام بحقيقتين أساسيتين تملآن قلوب المؤمنين ثقة فى نصر الله تبارك وتعالى من خلال أشد ظلمات الاضطهاد والقسوة .

الأولى : أن الإسلام يصعد فى بقع جديدة ويفتح بلاداً جديدة فتحاً سلمياً ويكسب فى أشد أوقات المحنة فى مناطق جديدة خاصة فى مواجهة تحديات الصهيونية والشيوعية والعلمانية .

الثانية : أن الإسلام يسترد المسلمين إلى الطريق الصحيح كلما انحرفوا عنه ويفتح لهم آفاقاً جديدة من آفاق تصحيح المسيرة على طريق الله تبارك وتعالى إلى إقامة شريعته وتحقيق بناء مجتمعه ، ونحن اليوم نرى محاولات شديدة الخطر تواجه المسلمين فى كل مكان ، وتحاول أن تجتاحهم ، وخاصة فى المناطق التى سيطر عليها النفوذ الشيوعى خلال السبعين عاماً الماضية ، وهم مسلمو وسط آسيا

وإخوانهم فى البوسنة والهرسك وفى ولاية آسام فى الهند وفى تايلاند .

ولكن محصلة الموقف هى فى جانب التوسع والامتداد والتعمق ، ولقد كانت هى سنة الإسلام دائماً ، ففى أشد أوقات الأزمات التى واجهها المسلمون فى تاريخهم الطويل أيام الزحف التترى والصليبى كانت هناك مناطق جديدة تفتح سلماً بواسطة رجال شاء الله تبارك وتعالى أن يدفع بهم إلى قلب المجتمعات الوثنية فى أرض المغول وما وراء النهر حيث ذهب الشيخ تاج الدين وابنه من بعده فأدخلوا هذه القوة الكبيرة فى الإسلام .

ومن أبرز مظاهر الصعود :

أولا : تجارب المسلمين والمسلمات الجدد :

حيث تكشف الدراسات عن توسع دائرة المسلمين فى الغرب (أوروبا والولايات المتحدة) حيث يوجد ما يربوا على ٧ مليون مسلم فى أمريكا وجدوا فى الإسلام أماناً وسلاماً وتسامياً وتلبية لحاجة الروح والتطهر من أدران المادية التى صبغت حياة هذه المجتمعات ، وحيث فشلت الحضارة الغربية المادية فى الوصول بإنسانها إلى مرافئ السلام والأمن مما كان مصدراً للبحث عن البديل الذى يحقق ما فشلت فى تحقيقه قيم الحضارة الغربية المادية التى أوصلت هذه المجتمعات إلى قاع سحيق ، وحيث يتحدث الناس عن الأمن الذى يوجد فى المجتمع الإسلامى نتيجة القيم الإسلامية الحافظة للأعراض ؛ حيث أصبحت الجريمة هى أخطر المشكلات التى تواجه أهل الغرب وخاصة الولايات المتحدة ، هذا بالإضافة إلى الخطر الثانى وهو العبقرية واستعلاء العنصر الأبيض، ولقد كان لهذين العملين أثرهما فى دخول مجموعات كثيرة من الغربيين فى الإسلام اتخذت من تعاليم الإسلام نبراساً لتطهير الشخصية من عوامل العنف والتحلل وشجب النظرة التى تعلى من شأن الجنس الأبيض على الجنس الأسود .

ثانياً : العلماء التجريبيون وموقف العلم الطبيعى من وجود الله تبارك وتعالى :

ومن أهم ظواهر صعود الإسلام ما تكشف عنه المؤتمرات التى تدرس جوانب الإعجاز الكونى فى القرآن الكريم ؛ حيث عقدت فى السنوات الأخيرة عدة مؤتمرات كان آخرها المؤتمر الجيولوجى العربى، وشارك فيه ستة من خبراء العالم من مختلف التخصصات التكنولوجية . حيث تناول العلماء بعض الإشارات القرآنية المتعلقة بخلق الكون وعلوم الأرض ، وذلك عن طريق البحث الذى قدمه الدكتور (زغلول راغب النجار) وتناول فيه الآيات القرآنية العديدة التى تناولت الكون والعديد من مكوناته : السموات والأرض ، وما بكل منهما من صور الأحياء والجمادات والظواهر الكونية المختلفة.

وجرى الحديث حول الحديد وبأسه الشديد (الآية ٢٥ من سورة الحديد) وأن القرآن دعا إلى قراءة كتاب الله المنظور وهو الكون بكل ما اشتمل عليه ، وقد حفل القرآن الكريم بإشارات تحتاج من كل مسلم واع متخصص أن ينهض ببيانها للناس.

ومما يتصل بهذا تلك الدعوة التى تعمل على تعريب الطب والعلوم التجريبية إيماناً بأن اللغة العربية هى أم اللغات الحية وبأنها جدول حضارتنا وأن يكون ذلك مقدمة لحركة تعريب واسعة للعلوم حتى يبدأ المسلمون فى بناء منهجهم التجريبى المستقل والخاص . وقد قطعت هذه التجربة شوطاً طويلاً ؛ حيث أكد العلماء أن اللغة العربية تستوعب جميع المعانى الطبية والعلمية ؛ لأنها أصل لها ، ذلك أن ما ندرسه الآن بلغات أجنبية له أصل وأساس عربى وما اعتراه من تغيير إنما هو فى المظهر فقط .

وإنه بقليل من التحليل المعملى لأغلب الكلمات الأجنبية فإنه يمكن ردها إلى أصلها العربى ـ وقد ألف فى ذلك العلماء ومنهم الدكتور محمد عبدالعزيز كتاب (الأصل العربى لمفردات طب العيون) أرجع فيه ٩٠ فى المائة من مصطلحات طب العيون إلى أصولها العربية ، وقال : إنه استلهم هذه الفكرة من

القرآن الكريم لما كان يقرأ قوله تعالى ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ لفت نظره كلمت (بور) فى الآيات تتفق مع كلمة (Poor) فى الإنجليزية فى الجرس والنطق، كما أنها تؤدى نفس المعنى ألا وهو الفقر والعدم والقلة .

ومن هذا الكتاب نعرف أن اللغة العربية هى الأم والأصل لجميع اللغات الأخرى .

كذلك فقد قطع علماء المسلمين خطوات واسعة فى إقرار حقيقة وجود الله تبارك وتعالى وعجز العلم الطبيعى عن فهم هذه الحقيقة، وقد كتب علماء المسلمين أبحاثًا هامة فى هذا الصدد فى عديد من المؤتمرات التى عقدت، وقد كانت دراسة الدكتور محجوب عبيد طه أستاذ الفيزياء فى كلية العلوم بالرياض التى قرر فيها أن وجود الله تبارك وتعالى لا بديل عنه فى العلم الطبيعى ، وأن إنكار الله مسخ تستنكره الفطرة السليمة ، ومن ينكرون الحقيقة يتحايلون على الفطرة الإيمانية .

كذلك كشف عن سوء فهم علماء الطبيعة الملحدين الذين يعتقدون أن أساس الإيمان بالله هو حاجة الناس لتفسير ظواهر لا تفسير لها ، ظواهر أراد الله حدوثها ولا نعلم لها سببًا سوى ذلك ، ومعنى ذلك أن الأشياء التى تحدث حدوثًا طبيعيًا (أى لها ارتباط سببى معلوم) لا تتطلب وجود الله عندهم ، إننا نقول: إن الله تبارك وتعالى خلق الحياة إذا كنا نجهل تفسيرًا علميًا لأصل الحياة ولكن إذا صحت لدينا نظرية فى أصل الحياة وقبلناها كأن تكون الحياة نشأت فى بحيرة دافئة نتيجة تفاعلات كيميائية لجزئيات معقدة تكونت عبر الآماد الطويلة فقد انتفت الحاجة إلى القول: إن الله خلق الحياة، وعلى المؤمنين البحث عن ظاهرة أخرى يعلقون عليها علة إيمانهم ، مثل هذا الظن السقيم لا يخلو منه كتاب مما وقع فى يدى من الكتب المعاصرة، وهذا أمر غريب؛ لأن العقيدة الإيمانية واضحة وميسورة وليس من عذر عند هؤلاء المفكرين ليخطئوها أو يجهلوها .

إن جوهر العقيدة الإيمانية أن للوجود خالقاً ، خلق الزمان والمكان والموجودات وخلق القوانين التى تتفاعل بها هذه الموجودات وتتطور فى الزمان والمكان ، كل ما يحدث يحدث وفق سننه ويحقق مقتضى إرادته وتقديره وما نعلمه من هذه القوانين والسنن وما نراه ونحسه من الموجودات إنما هو الشىء اليسير الذى هيأ الخالق لنا إمكانية الوقوف عليه، وفيه دليل على عظمة الخالق وعلى بديع صنعه ودقيق تقديره فيما لا يمكن أن نحيط به من كل صغيرة وكبيرة فى هذا الكون الشاسع .

إن كل مخلوقاته مهما دقت ولطفت مسيرة بسننه ومشيئته ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

ثالثاً : مفاتيح جديدة إلى القرآن ومعطياته :

تحقق فى هذه الفترة توسع جديد فى عطاء القرآن إلى العالمين وتكشفت حقائق كثيرة جاء بها القرآن لم يكن العلم الحديث يعرفها إلى وقت قريب، سواء فى مجالات خلق الإنسان أو خلق الكون وجاءت كتابات «موريس بوكاى» بمثابة تأكيد مطلق للحقيقة الإلهية فى أن القرآن وحده قد حمل معه فى هذا القرن السابع الميلادى هذه الحقائق التى تكشفت فى القرن العشرين لتؤكد أن مصدره هو الله تبارك وتعالى وأن أحداً فى عصر نزول القرآن لم يكن يعرف شيئاً عن هذه الحقائق.

وجاءت كشوف أخرى فى الإعجاز العلمى فقد سبق القرآن الكريم للحقيقة العلمية المكتشفة حديثاً القائلة بتلقيح الرياح للنبات المذكورة فى قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾.

وقد قدم علماء كثيرون حقائق جديدة فى مقدمتهم زغلول النجار وأحمد شوقى إبراهيم، وقد بلغ عددهم ستمائة عالم فى المؤتمرات الأخيرة ناقشوا جوانب الإعجاز العلمى والكونى فى القرآن .

وقد أكد علماء الإعجاز العلمى عدة حقائق أهمها :

أولاً : أن الحقيقة العلمية لا تتعارض مع الحقيقة القرآنية؛ لأن مرجعهما واحد هو الله تبارك وتعالى، وأن الحقيقتين من عند الله تبارك وتعالى .

ثانياً : ليس صحيحاً أن النظريات العلمية متغيرة دائماً وإلى الآن. وليس كل العلم متغيراً مثل كروية الأرض وقوانين الفيزياء .

وكل الحقائق الفلكية التى تأكدت بالرصد والتصوير ومثلها الحقائق الخاصة بالتشريح والفسولوجيا كل هذه ثوابت .

ثالثاً : التفسير العلمى لا يؤثر فى ثبات النص القرآنى وإعجازه ذلك أن النص القرآنى الكريم ثابت لا يعتريه تغيير فهو محفوظ بحفظ الله تبارك وتعالى له .

ويقول الأستاذ إبراهيم محمد سرقس : إن هناك حقيقتين لابد من الإشارة إليهما :

أولاً : أن الله تبارك وتالى قد وعد فى محكم تنزيله أن يبين أسرار هذا الكتاب المعجز على مر الدهور والأعصر ، فكلما تقدم الزمن فتح الله تبارك وتعالى أعين الناس على إعجازه .

ثانياً : أن الله تبارك وتعالى قد أوضح فى تبيان آياته فى الآفاق وفى الأنفس خير معوان على إدراك أن دينه هو الحق ، وهى دعوة قرآنية إلى تكرير معانى الآيات وفهم تطبيقها فى مختلف المجالات .

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

رابعاً : موقف العلماء الذين أسلموا نتيجة الحضارة الغربية والنظام الرأسمالى :

يقول روجيه جارودى : إن العقبة العقلية فى الفلسفة الإلوهية انتهت بظهور الإسلام فإن (لا إله إلا الله) تشكل حركة الإنسان نحو الإله . الحركة من الخارج إلى الداخل، وهى تميز الموجود الحقيقى (الله) عن كل ما هو غير موجود غير

حقيقى، أعنى كل ما يكون مدركًا أو مقصورًا خارج علاقته بالله فما من شىء فى وسعه أن يكون حقيقيًا لا يكون إلهيًا ، إن غير (اعتقاد الكفر) يكمن فى النظر إلى الأشياء مستقلة عن الله (تبارك وتعالى) الذى هو أصلها وغايتها ومعناها ، فعندما عرف (واتهيد) القول بإله واحد كعقيدة تدرك الله على صورة زعيم إمبراطورية على صورة تجسيد للأخلاق على صورة مبدأ فلسفى ، أخيرًا خلص إلى القول : إن العقبة العظيمة فى الفلسفة الألوهية قد انتهت بظهور الإسلام ، ويقول : إن الإيمان ليس نقيض العقل ، بل هو اللحظة التى يعى فيها العقل مسلماته ، اللحظة التى يجعل نفسه فيها قادرًا على أن يضع مسلماته وغاياته موضع التساؤل ، الإيمان هو التجربة النافذة لكل غاية محدودة ، كذلك هو نفى النفى ، نفى حدود الإنسان ، وكيف يمكن للإنسان أن يعرف الحد من دون أن يشعر على الأقل أن فيما وراء ذلك شىء آخر.

ويقول جارودى : إن كلا النظامين (الرأسمالى والاشتركى) قد فشلا فى تحقيق العدل وإسعاد البشرية أو تحقيق الرفاهية، فالرأسمالية تعنى فردًا ، والاشتراكية تعنى الطبقة، فإن التقدم فى أوروبا كان هدفه استعمار الإنسان فى غيرها من دول العالم واستنزاف خيراته، وقد استولى فى هذا الإنسان على الثروة التى ينفقها فى صناعة السلاح ووسائل التدمير . والاشتراكية كانت تهدف إلى تحقيق تقدم على الرأسمالية فى هذا المجال . إنه فى ظل الرأسمالية والشيوعية ، فإن سبعين مليون من البشر فى العالم الثالث ماتوا جوعًا من سوء التغدية ، وهذا يكفى للإعلان عن إفلاس النظامين فى تحقيق مستوى أفضل للحياة الإنسانية الكريمة؛ لأن النموذج الرأسمالى قام على الفرد والاحتكار والأنانية والترف ، والنموذج الاشتراكى قام على الاستبداد وسحق إنسانية الإنسان . أما النظام الإسلامى فإنه نظام يهدف إلى تحقيق الحياة الكريمة لكل البشر ، والشريعة الإسلامية فى ذاتها منهج أخلاقى عالمى ، وعلى علماء المسلمين إيجاد صيغة فقهية جديدة تواكب ظروف العصر

الحديث ، ونحن حين ننظر إلى الشريعة الإسلامية عندما تأخذ أبعاداً جديدة لانجد أمامنا إلا أن نرجع إلى البداية إلى المجتمع الذى بدأ فى المدينة المنورة ، أى المصادر الرئيسية الأولى كما أوردها القرآن الكريم ، يجب أن نعود للتعليم القرآنى وأن نأخذ مسئوليتنا وكوننا بشراً نحو كل آية من الآيات القرآنية .

خامساً : الصحوة فى تركيا والأندلس :

لقد كان واضحاً أن الإسلام يقدم إلى المسلمين المنطلق الذى يعيدهم إلى القوة والحياة بعد أن تمر عليهم مراحل الاضطهاد والضعف ، ويبدو هذا واضحاً فى المرحلة الحاضرة من خلال تركيا والأندلس ، حيث يتكشف أمام الناس جميعاً أن التحول الذى تحولوا إليه عن الإسلام كان محاولة لتدبير وجودهم الحقيقى ، ولكنهم ما كانوا يستطيعون مقاومته أو الاعتراض عليه إلا بعد أن ظهرت النتائج وانكشفت العورات .

أما فى الأندلس فقد دعا كثير من العلماء المسلمين إلى فكرة القومية الأندلسية من بينهم المفكر (بلاس انفانتى بيرز) الذى دعا إلى اعتبار التاريخ الإسلامى كأساس للهوية الأندلسية ، كما سعى إلى ربط الحركة الأندلسية بالحركة الإسلامية والعربية ، وتعالى صوت يؤكد أن جذور القومية الأندلسية فى الإسلام، وقد ركز هؤلاء على أن هوية الأندلس إسلامية وليست غربية .

وقد دفع المفكر (إنفانتى) حياته ثمناً لهذه الدعوة ، واتسع نطاق الجمعيات والمراكز الإسلامية فى مدريد وبرشلونه وغرناطة وإشبيلية ومالطة وقرطبة .وهكذا اشتعلت جذور الانبعاث الإسلامى .

ويقول أحد دعاة الإسلام فى الأندلس : مخاطباً الأسبان: (الإسلام هو الأمل المضىء أدعوكم لاكتشافه ... أدعوكم لإثبات الحقيقة الإلهية الواحدة) .

وفى تركيا تتوالى الخطوات من أجل العودة إلى الإسلامى فى تركيا فى الانتخابات البلدية الأخيرة (١٩٩٤) مما يؤكد أن الشعب التركى يلفظ العلمانية

ورجالها ، وأعتقد أن هذا الفوز هو امتحان كبير للتيار الإسلامى أمام الشعب وأمام الله تبارك وتعالى .

وبالجملة فإن هذه التحولات الإيجابية الخمسة تصل بنا إلى حقائق أساسية أهمها: أن العالم الغربى الذى قضى القرن التاسع عشر وما قبله فى إطار الإلحاد والغرور بأن العلم يستطيع أن يحقق كل شىء وأنه لا حاجة مطلقاً للإيمان أو الارتباط بحقائق الوجود التى ترسم للإنسان منهج حياته ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى ، هذه الحقيقة قد سقطت تماماً ، وأكد كثير من العلماء أنهم كانوا مخدوعين ، وذلك عندما ظنوا أن العلم سيصبح بديلاً للدين .

ولكن التحديات التى واجهتهم فى طريق هذه الدعوة قد حطمت غرورهم وكشفت فساد اعتقادهم ، وأكدت لهم أن وجود الدين فى هذا الكون وفى المجتمع الإنسانى حقيقة مؤكدة لا سبيل إلى تجاوزها أو إنكارها . ومن هنا تحولت المفاهيم ناحية الإقرار بأن هناك وراء هذا الكون المادى خالقاً قادراً مالكاً ، يسير هذه الأفلاك ويمسكها ، وأنه لابد من التسليم بهذه الحقيقة .

وبذلك تحطمت أولى السلاسل التى تكبل العقل الإنسانى ، وهى انفراد العلم، وكان الإقرار بوجود الدين وثباته واستمراره هى الخطوة الثانية نحو الاعتقاد الذى يسرى الآن فى الغرب وهو وجود الدين والعلم ، ولا ريب أن الإسلام هو صاحب الفضل فى تحقيق هذا الانتصار ، أما الخطوة الجديدة التى يشرف عليها القرن الحادى والعشرين بإذن الله فهى حاجة العلم إلى الدين ، وأن قانون المعرفة الحقيقى يجمع بين الوحى والعلم ، ويجعل العلم فى خدمة الدين ويجعل الدين ضياء للعقل على النحو الذى عرفه به الإمام الغزالى رحمه الله عليه .

ولا يزال لهذه القضية جوانب تؤكد الحقيقة الربانية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ .

منهج الإسلام غاية الإنسانية

إذا كان للتاريخ نهاية بعد سقوط الماركسية كما يدعى بعض كتاب الغرب الذين يعملون لحساب جهات ماركسية أو صهيونية فإن هذه النهاية لن تكون بأى حال لحساب الحضارة المعاصرة أو الغرب الرأسمالى ؛ ذلك لأن الأزمات المتصلة بالغرب لا تقل خطورة عن الأزمات التى أودت بالماركسية والنظام الشيوعى أساساً ، هذا فضلاً عن أن الماركسية التى سقطت لم تكن جرماً مستقلاً وإنما كانت قطاعاً من تجربة كاملة هى الحضارة الغربية .

فقد جاءت الماركسية كرد فعل للتجربة الرأسمالية الليبرالية أساساً ولم تكن نظاما عالميًا مستقلاً أو منهجاً صالحاً للبشرية كلها أو حتى للغرب نفسه ، غير أن السبب الذى عجل بسقوط الماركسية هو عجزها عن التحرك والتطور ودخولها مرحلة القداسة التى حاولت أن تجعل منها نظاماً قريباً من نظام الأديان ، أو كأنها دين جديد بديل عن النظم القائمة .

سقوط حتمى :

أما الغرب فإنه بالرغم من الأزمات والضربات التى وجهت إليه فإنه مازال قادراً على تغيير المواقف والتحرك فى سبيل الخروج من الأزمات ، ومن هنا فنحن بشهادة الغربيين الليبراليين أنفسهم نرى أن مصير الغرب ومصير الرأسمالية الليبرالية مهما طال الأمر فإنه سيسقط على نحو نفس النهاية التى وصل إليها اليسار ، وذلك للأخطاء الأساسية التى ما تزال تنخر فى جداره والتى هو عاجز الآن عن التحول عنها ؛ لأنها أصبحت من الثوابت الأساسية .

أما نهاية التاريخ فهى تأتى بالنسبة لنظام آخر تترقب البشرية تناميه وامتلاكه

القدرة لتحقيق وجود العدل والرحمة والإخاء البشرى الذى تتطلع إليه الإنسانية ، ذلك هو الإسلام الذى أعطى خلال ألف عام تلك الركائز الأساسية التى أخرجت البشرية من الجمود والتخلف الذى امتد عشرة قرون تحت لواء الرهبانية والوثنية اليونانية والرومانية، فأعطاها المنهج العلمى التجريبى وأخرجها من العبودية .

غير أن النظام الغربى القائم الآن قد استطال وتنامى على أساسين لابد أن ينتهيا به إلى السقوط وهما :

(١) عجزه عن الإيمان بالله تبارك وتعالى الذى أعطى علماء الغرب القدرة والعلم والقوة لإقامة هذا النظام .

(٢) تجاهله حقيقة الإنسان ومهمته الحقيقية التى قررها له الدين الحق ورسمها له الخالق الأكبر .

وذلك حين قام ذلك الانفصال الخطر بين الدين والمجتمع والدين والدولة وعندما أقام فكرة العلمانية المسمومة الخطيرة التى قصرت الحياة على العقل والحس وتنكرت للوحى والنبوة والألوهية والغيب كله .

ومن هنا فقد قامت أيديولوجياتها خلال خمسة قرون على هذا الأساس المادى، فسقطت واحدة بعد أخرى ، وذلك عندما بدأت عصر التنوير الذى هو إنكار الدين جملة فاستغنت عن رسالة السماء بكل عناصرها ، وأعلن من شأن الإنسان على النحو الذى جعله مسيطراً وسيداً للكون من دون الله .

هذا هى الأزمة الحقيقية : التى تتمثل فى الانفصال الذى أحدثه العصر والتقدم بين عنصرى الحياة ، فتنكر للوحى والنبوة والغيب والبعث والجزاء ، وأعطى الإنسان نفسه الحرية فى تكوين نظام للتعامل فى مجلس السياسية والاقتصاد والتربية ؛ مما أسموه (الأيديولوجيات) التى عجزت عن العطاء ، ولم تحقق للإنسان إلا الاضطراب والأزمات ، فلما انتقلت هذه الطروحات إلى بلادنا الإسلامية أوجدت صراعاً شديداً بين مفهوم خلق الإنسان الذى جاء به

القرآن وما جاءت به نظرية دارون .

سقوط الأيديولوجيات :

ووجدت الأيديولوجيات كلها نفس المصير الدارونية ، الماركسية ، الفرويدية ، الوجودية ، العلوم الاجتماعية والإنسانية فقد كانت كلها مستمدة من الفكر التلمودى الذى حوله اليهود إلى منهج الحياة والمجتمع والحضارة فسقطت كلها فى بلادها أولاً ، وعجزت فى أفق الإسلام والقرآن أن تعطى فتساقطت لماديتها .

جاءت هذه الأيديولوجيات الرأسمالية والماركسية متصارعة عاجزة عن العطاء وسرعان ما أصابتها التحديات فلم تكد تخرج من مأزق حتى وقعت فى مأزق أشد منه ، ومن هنا لم تلبث أن أصابها العطب ، لأنها خرجت أساساً عن منهج الله تبارك وتعالى، وحاولت أن تقيم مناهج مضطربة بشرية عاجزة تخترقها الأهواء والمطامع وعجز الإنسان عن فهم مسئوليته الحقيقية ورسالته الأصيلة وحين سقطت الأيديولوجيات وفى مقدمتها الليبرالية والماركسية = سقطت إلى الأبد مذاهب الفلسفة المادية كلها .

كان خطأ هذه المذاهب تجاهلها التكوين البشرى الجامع بين المادة والروح ، أما هى فقد قامت على الفلسفة المادية التى ترى أن للإنسان طبيعة واحدة هى المادة وتتنكر لوجوده الحقيقى الذى شكلته (قبضة الطين ونفخة الروح) فهى قد عجزت عن اقامة المجتمع الحقيقى : مجتمع الأمن والسلام .

وكان الانحلال الاجتماعى أخطر أدواء هذا المجتمع ، فقد تفشت الشهوات وظهر الفساد فى الأرض وفتحت أبواب التحلل والحرام فى مجال المجتمع والمرأة ، كما تفشى فى مجال المال والاقتصاد والتعامل المادى ، وأعانت القصة والمسلسلات والإباحيات والقصص المكشوف وأدب الفراش إلى هدم الشباب الناشئ الذى أعجزته هذه الأهواء عن التماسك فسقط منهاراً ، وكان خطر هذه المفاهيم بالغ الأثر فى مجتمعها المتفكك المنهار ، ولكن الخطر الأشد قوة هو خطر ما لحق

بمجتمعنا الإسلامى القائم على القيم والضوابط والذى يرسم العلاقة بين الثوابت والمتغيرات .

تدمير الثنائية :

هذه هى أخطر التحديات التى تواجه الحضارة المعاصرة والمجتمع الغربى كله وقد استتبعت التنكر للغيب والنبوات والبعث والجزاء ، وحولت مهمة الإنسان تحويلاً خطيراً، كل هذا هو الذى حطم وجهة الحضارة الغربية وأعجزها عن أن تكون حضارة عالمية أو إنسانية .

ذلك أن خطر ما هنالك هو تدمير الثنائية التى تضم فى موكب واحد الروح والمادة، وإقامة مفهوم المعرفة على العقل وحده ، وحجب الجوانب الروحية والمعنوية، وتدمير قيم الأخلاق التى هى جزء من الدين نفسه ، هذه الانشطارية التى فصلت بين الإيمان بالله تبارك وتعالى من جانب والتعامل مع الإنسان فرداً ومجتمعاً ، وهما فى الحقيقة وحدة ثنائية القطب .

كذلك فقد أخطأ الغرب فى فهم الدين على أنه تجربة فردية خاصة لا تذهب أبعد من العلاقة الشخصية بالله تبارك وتعالى ، وتجاهل علاقات المجتمع السياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها .

كل هذا يوحى بل يؤكد أن البشرية التى تتطلع إلى منهج أصيل جامع قوامه الأمن النفسى وسكينته القلب والسلام الاجتماعى لا يمكن أن تجد نفسها فى هذه التجربة التى امتدت الآن أكثر من خمسة قرون ، ثم لم تستطع أن تحقق للبشرية ما ترجو من سلام أصيل ، ومن ثم فإن تطلع الإنسانية إلى أشواق الروح وأمان المجتمعات ما يزال يبحث عن منطلق أصيل من داخل النفس لا يمكن أن يتخلى عن الإنسان ولا أن ييأس من وجوده هذا الأمل العميق المستقر فى أعماق النفس الإنسانية لن يتحقق إلا بالدين الحق الذى أرسل الله تبارك وتعالى به خاتم رسله .

وبعد فإذا تقرر هذا وجب علينا أن نتعرف إلى موقف الإسلام من الحضارات، فالإسلام فى تاريخه كله يعرف لقاء الحضارات وليس صراع الحضارات ، كما عرف لقاء الأجيال ولم يعرف الصراع ، لقد أعطى الإسلام المجتمعات الغربية كل ما عنده من العلوم والتجارب والمعارف وسمح لأهل الغرب بتحصيلها فى معاهد الأندلس ولم يضع أى قيد عليها ؛ وذلك لأيمانه بأن عطاء العلوم والمعارف هو حق من حقوق البشرية على أهل الدين الحق ، وأنه لا يجوز حبسه أو حجبها ؛ لأنها من عطاء الله تبارك وتعالى الوافر ؛ ولذلك استطاع الغرب أن ينقل العلوم التجريبية والكيمياء والفلك وعلوم البحر والصناعة جميعاً ، بينما لم يفعل الغرب ذلك بعد أن أصبحت ثمار هذه العلوم فى يديه، وما يزال يحجب على المسلمين مقدرات العلوم حتى يحول بين المسلمين وبين الوصول إلى مرحلة الانتفاع الحقيقى ورغبة منه فى أن يظل عالم الإسلام خاضعاً له ومرتبطاً به ارتباط الحاجة المتصلة فى محاولة ضخمة واسعة لجعله مصدراً للمواد الخام وسوقاً لبيع المصنفات، ومن هنا جاءت فكرة صراع الحضارات مرتبطة بفكرة الصراع العامة التى يفرضها الغرب على مجتمعات المسلمين ؛ حيث لا يسمح لهم بأن يمتلكوا إرادتهم ويقميوا حضارتهم المستقلة أو مجتمعهم الخاص .

محاولات التغريب :

ولقد ذهب الغرب إلى حد بعيد فى محاولة (تغريب) العالم الإسلامى واحتوائه وصهره فى الحضارة الغربية وفرض الكثير من جوانب الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد عليه .

وما يزال العالم الإسلامى يجاهد جهاداً شديداً فى الحفاظ على ذاتيته من أن تنصهر والعمل على إبقاء أصالته وانتمائه قائماً وكاملاً ، إن علينا أن ننبه إلى المحاولة الخطيرة التى ترمى إلى إدخال المسلمين فى دائرة التسليم والخضوع وقبول الواقع وإنهاء المقاومة.

إن هدفه الأصيل هو محاولة صهر المسلمين فى بوتقة الحضارة الغربية

(اليونانية ـ الرومانية ـ أساساً المسيحية واليهودية حديثاً) .

إن التجربتين موجودتان، تجربة المسلمين فى لقاء الحضارات حين جاء فقبل من الحضارات الغربية ولم يقبل ، قبل ما يتفق مع أصول الإسلام وقيمه ومفهومه الجامع بين التوحيد والغيب والنبوة والبعث والجزاء ، وبأسلوبه القائم على الثوابت والمتغيرات، فلما جاء الغرب ليأخذ العلوم الإسلامية لم يتوقف ، وسمح له بأن يأخذ كل ما يشاء، ولقد ظل الغربيون يأخذون إلى الوقت الذى أعلنوا فيه كفايتهم وعدم حاجتهم إلى قبول معتقدات المسلمين .

فلما دارت الدائرة وتقدم الغرب فى مجال العلوم التجريبية لم يقف من المسلمين نفس الموقف ، ولكنه حجب ذلك عن المسلمين ، ولم يقبل منهم إلا أن يكونوا مرتبطين به برباط التبعية التى لا تسمح بقيام حضارة مستمدة من أصلها القرانى الجامع .

ان كل ما يدعو الغرب إليه الآن من حوار مع الأديان أو تعاقدات إنما يرمى إلى السيطرة ، ولكن المسلمين الذين شكلهم القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً على الأصالة والانتماء إيماناً منه برسالته الربانية التى وكلها إليه تبارك وتعالى لإبلاغها للعالمين وقف صامداً فى وجه محاولة احتوائه أو صهره فى بوتقة الغرب .

هذا فضلاً عن أن النظريات المطروحة فى أفق الفكر الإسلامى إنما ترمى إلى تفكيك الوحدة الجامعة بين المسلمين والحيلولة دون امتلاك إرادتهم وإقامة مجتمعهم الأصيل .

وهذه النظريات المقدمة للمسلمين ، سواء أكانت الحداثة أم البينوية أم العبثية أو غيرها ، فإنها تهدف إلى تمزيق الجبهة الصامدة التى شكلها الإسلام .

وتلك دعوى قديمة متجددة بدأها المستشرق جب حين دعا فى الثلاثينيات إلى إقامة ثقافة محلية لكل قطر إسلامى مستقل عن الآخر حتى تتمزق الوحدة الثقافية الجامعة التى صنعها الفقه الإسلامى .

والهدف هو انصهار المسلمين فى بوتقة الماسونية والعلمانية والفلسفة المادية .

حضارة الإسلام انتقائية :

لقد أعطى المسلمين دينهم الحقّ فى قبول كل ما هو صالح مما تقدمه تجارب الحضارة والأمم خلال العصور وفى مختلف البيئات ما دام لا يتعارض مع منهج الإسلام .

ولقد أخذ المسلمون كل ما وجدوه إيجابياً من علوم الأمم وحضاراتهم إيماناً بحكمة رسول الله ﷺ حين قال :

(**إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها**) .

ولقد أوصل الإسلام المسلمين بأن يصهروا كل ما يأخذونه من علوم الأمم وحضاراتهم فى بوتقتهم الأصيلة حتى لا يكون هذا الذى أخذوه عاملاً على صهرهم فى ثقافات الأمم أو تضييع لملامح ذاتيتهم الخاصة ، وحتى تبقى مفاهيمهم الأصيلة الجامعة الأساسية القائمة على التوحيد الخالص قائمة فى الثوابت .

فالإسلام لا يكره أحداً على قبول فكره ، لا يقبل أن يكرهه أحد على قبول فكر الناس .

إن سماحة الإسلام التى وسعت البشرية كلها تكشف عن الحقيقة الجوهرية بما يؤكد (لقاء الحضارات) فقد اعترف الإسلام بما أنزل على موسى وعيسى ، واعترف بالكتابين التوراة والإنجيل) وكان كريماً فى معاملة أهل الأديان، وعمل ما وسعه الجهد فى المحافظة على معابدهم ، وأتاح لهم حرية العبادة ، وفى كل مكان دخل إليه استقبله أهله بالقبول ، فقد خلصهم من عنت الرومان وحكمهم وحكم قاضيهم فى سمرقند بخروج جيوش المسلمين بعد دخولها ؛ لأنها لم تعلن قدومها على نحو ما رسمت الشريعة .

أما صلاح الدين فقد رفض دعوة رجاله فى الانتقام عند خروج الصليبيين من بيت المقدس على النحو الذى عمله الفرنجة عندما قتلوا ٧٠ ألف مسلم ، رفض صلاح الدين ذلك وقال : إن دينى لا يسمح لى بمثل هذا العمل ، بل إنه ذهب

إلى أصحاب السفن، وأرغمهم على حمل الصليبيين العائدين إلى بلادهم وتحمل الجزية عن آلاف الفقراء وسمح لرجال الدين عند خروجهم من القدس بحمل كل ما يستطيعون حمله .

هذه هي سماحة الإسلام التي ستظل قائمة ونافذة على مدى العصور مما يؤكد مفهوم الإسلام في لقاء الحضارات وليس في صراع الحضارات .

ثروة مخبوءة :

إن الحقائق التي كشف عنها الإسلام حتى الآن لتوحي بأنها تمثل الثروة المخبوءة التي يتطلع إليها العالم كله ، وقد مرت به العصور وهو يواجه الأزمات نتيجة تنكب منهج الله تبارك وتعالى وإقامة المناهج المادية والبشرية بديلاً لمنهج الله وشريعته التي أنزلها ليهدى البشر إلى الطريق الصحيح .

وإذا كانت الحقائق التي كشف عنها الإسلام واضحة تحقيقًا للآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَق﴾ فإن المذاهب والمناهج والدعوات التي سقطت وعجزت عن العطاء كل هذا يكشف الطريق الواضح لقرب تحقيق الأمل الذي تنتظره البشرية .

إن دعوة الغرب إلى عالمية الحضارة العالمية الثقافية لا تهدف إلا إلى غاية واحدة هي احتواء الإسلام في دائرة حضارة الغرب أو ثقافته ، وهو أمر لم يعد في الإمكان تحقيقه بعد أن جرب الغرب ألف مرة وفشل في التجربة ، وقد تبين له أن عالم الإسلام لا يمكن أن ينصهر في عوالم أخرى مهما كانت تملك القوة أو السيطرة .

ذلك أن منهج الإسلام لا يزال يمثل غاية الإنسانية وقمة العالمية وحاجة البشرية كلها ، والأمل الذي يملأ القلوب والعقول والذي تسعى البشرية كلها اليوم لتصل إليه . هذا وبالله التوفيق .

إسلامية العلوم التجريبية
الوحى مصدر أساسى لقانون المعرفة الإسلامية

تجرى على ألسنة بعض الباحثين مقولة مضللة : هى أن الفكر الإسلامى يختلف مع العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ولكن لا يختلف مع العلوم التجريبية ، لأنها علوم تصدر عن أجهزة ومن خلال معامل ، فهى بذلك غير عرضة للنقد من حيث سيطرة الفلسفة المادية عليها .

ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً ، فإن قاعدة العلوم التجريبية تخضع للفلسفة المادية، وتنظر إلى الكون والوجود والحياة على أنها قوى طبيعية قائمة بنفسها ، وأنه ليس وراءها صانع (جل الصانع فيما صنع) .

وهى بهذا تجعل للإنسان حرية السيطرة عليها وتوجيهها والتصرف فيها دون تقدير للحقيقة الغائبة ، وهى وجود الله تبارك وتعالى وراء هذا الكون يديره لحظة بعد لحظة ويحفظه من أن ينهار .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا ﴾ .

وليس هناك أخطر من مفهوم العلوم التجريبية من مصطلح (الطبيعة) الذى يضعه العلماء الماديون بديلاً عن كلمة الله الخلاق تبارك وتعالى ، ولا ريب أن موقف علماء التجريب من فكرة الطبيعبة وإنكار وجود الخالق تبارك وتعالى يؤثر تأثيراً كبيراً على توجيه العلوم التجريبية ويؤدى إلى حدوث كثير من المحاذير ، فليس هناك أخطر من الاعتقاد بأن الطبيعة خلقت نفسها ، وأنها تتحرك بإرادة الإنسان ، وأن الإنسان يملك أن ينطلق مع سياسة الاستهلاك والتكديس والنهب وتدمير مقومات الأمم وإعلاء شأن الترف والإباحيات على نحو يحول دون إقامة مجتمع العدل والرحمة بين الأمم وبين مقدراتها التى أوجدها الحق تبارك وتعالى بها .

فالإسلام يضع الضوابط على مقدرات الأمم حتى لا تدمر من أجل أهواء وشهوات ومطامع الرأسماليين وأصحاب الثروات ؛ ولذلك فنحن لا نقبل هذا

المفهوم بالنسبة للعلم التجريبى ؛ لأنه يتنافى مع مفهوم الإسلام من حيث العدل والرحمة والإخاء البشرى .

ومن حيث حماية الثروات من التبديد والتدمير والتصرف فيها بحكمة بما يؤدى إلى إسعاد البشرية كلها ، وليس لتكون حكراً على أمة دون أمة أو جنس دون جنس .

ومن هنا فإننا يجب أن نقدم هذا المفهوم الإسلامى فى مختلف كتب ودراسات العلوم الطبيعية والكيمائية وعلوم الحيوان وغيره ، فقد حفلت الكتب المقررة وخاصة كتابى «الفلسفة والمنطق» بعقائد وافدة مضللة كانت خطراً شديداً على المجتمعات الإسلامية عندما ترجمت .

منطق العلم والعقل وغاية ما تقدمه هذه الدراسات إنكار ما وراء المحسوس والذى يترتب عليه إنكار حقائق الوجود الكبرى وأولها وجود الله تبارك وتعالى ، فهل يصح فى منطق العلم والعقل أن تكون الحواس وحدها هى الحكم فى قضية الإيمان بالغيب ، وهل يعتبر كل ما يقع تحت الحس غير موجود .

إن الإجابة بمنطق العلم الحديث (لا) فهناك مثلاً من الأصوات ما لا نسمعه الآن ، وهذا من نعمة الله علينا ، وإلا كان لضربات القلب ضجيج لا ينقطع عن أسماعنا ، وكوننا لا نحس بها ليس معناه أنها ليست موجودة، وبالمثل باقى علم الغيب الذى لو قدر وكشف لنا بعضه لصعق الإنسان ؛ لأن طاقة حواسه لا تقوى على استقباله كما حديث لموسى عليه السلام ، وحتى المادة المحسوسة التى لا يؤمن ملاحدة العصر إلا بها أثبت العلم الحديث أنها ليست إلا طاقة شكلت وفقًا لقوانين معينة ، فمن الذى وضع تلك القوانين التى تقف خلف هذه الطاقة ؟.

إنه الله .

ويجيب على هذا التساؤل عالم الذرة (أينشتين) الذى يعد أعلم علماء الأرض بالظواهر الكونية ؛ حيث قال بعد أن فرغ من تسجيل نظريته الفذة

(النسبية) : إن العقل البشرى حين يتأمل هذا « الخفاء الكونى » يدرك أن وراءه حكمة هى أحكم ما تكون الحكمة وجمال أجمل ما يكون الجمال إنه الله تبارك وتعالى» .

وفى هذا يقول « كريس مورسون » رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك : إن المعارف الجديدة التى كشف عنها العلم تجعلنا نعتقد بوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة .

وبذلك جاء تفجير الذرة محطماً لكل الفلسفات المادية ؛ حيث أصبح تحالف حقوق العلم التجريبى الذى أخذ يؤمن بعالم الغيب ووجود الخالق القادر القائم وراء هذا الكون يديره ويدبره وأصبح الفلاسفة الماديون يعرفون هذه الحقيقة ، ولكنهم سادرون فى غيهم يضلون الناس ويسخرون من وجود الله تبارك وتعالى .

الفصل بين الإنسان والحيوان :

وتركز كل المناهج العلمية المقررة فى المدارس العربية والإسلامية على مفاهيم تتحدث عن الطبيعة ، وكأنها هى الموجود من غير خالق ، وهى فى مجموعها لا تعكس أية قيمة إسلامية ، بل على العكس منذ ذلك فإن الأسلوب العلمانى المعادى للإسلام هو الأسلوب المتبع فى تدريب رجال العصر .

هذا الأسلوب الذى يبدو واضحاً فى كتب العلوم التجريبية يجب تماما المبدأ الإسلامى الأساسى للعلم ، وهو أن الله تبارك وتعالى هو الذى خلق ظواهر الكون كافة .

فالله تبارك وتعالى هو مصدر الإلهام لكل مسلم ، ويجب ألا يكون تقدير الطفل لعظمة الله وجبروته من خلال مادة العلوم ، بل يجب أن يكون تقديره لله تبارك وتعالى من خلال الإعداد الجيد الذى يؤدى إلى تقدير قدرة الله .

ولذلك يجب التركيز على مفهوم أساسى ، وهو أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وخلق الحيوان وأن الإنسان يختلف اختلافاً كاملاً عن الحيوان ، كما

تتعلم فى نفس الوقت أن الله هو الخالق ، ومع الأسف فإن الإنسان قد وضع فى كتب العلم مع فصيلة الحيوانات وفقاً لنظرية دارون المعروفة بنظرية التطور .

ويجب الفصل بين الإنسان والحيوان حتى يعرف المتلقى أن الإنسان يختلف اختلافاً تاماً عن الحيوانات .

عبارات ضرورية :

وعندما نذكر الأشياء المادية يجب أن تضاف عبارة :

(خلق الله المادة وصنع الإنسان منها والأشياء) .

كذلك أن توضع قاعدة أساسية هى :

(وهب الله الإنسان القوة ، وهو يستخدمها ليحرك الأشياء) .

وقاعدة أخرى :

(خلق الله الحيوانات للإنسان والحيوانات تنقل الأشياء للإنسان) .

وعند الحديث عن الرياح والأمطار والسحب يجب أن يتقدم ذلك عبارة :

(إن الله هو الذى يسير العالم ، فالرياح والأمطار والسحب تغير الطقس بأمر ربها) .

ومن الضرورى تغيير مناهج العلوم ومعطياتها لتتفق مع روح الإسلام ومتطلباته .

فإذا كان الحديث عن (البروتوبلازم) يجب أن يبدأ بالقول بأن الله تبارك وتعالى قد اختار مادة البروتوبلازم لتنقل الحياة بواسطتها ، فالبروتوبلازم فى حد ذاته لا يستطيع أن يمد الكائن بالحياة .

كما يجب التأكيد على حقيقة أساسية هى : أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان ولم يكن وجود الإنسان نتيجة التطور « الارتقاء » وأن مجرد إنكار نظرية دارون سوف يخدم أهدافنا .

ويجب على علماء الإحياء المسلمين أن يحاولوا التوصل إلى الأساس الذى يبرز الإنسان باعتباره كائناً متميزاً من الناحية البيولوجية بشكل يختلف عن بقية

الحيوانات .

أسلحة مناهج الكيمياء :

وفى مجال علوم الكيمياء يجب أن نزرع فى قلوب المتعلمين الإيمان بالله تبارك وتعالى عن طريق علم الكيمياء على أساس أن مشيئة الله تبارك وتعالى هى السبب الحقيقى وراء وجود هذا الكون ، كما أن أوامره هى السبب الأول والأخير لكل الظواهر الطبيعية .

ولا يكفى أن يعلم أولادنا أن الماء مركب كيميائى يتكون من الأوكسجين والهيدروجين ، بل يجب أيضاً أن نعلمهم أن الله تبارك وتعالى وحده هو الذى أمد هذه العناصر بخصائص مكوناتها ؛ حتى يكّون ذلك العنصر القيم المعروف باسم الماء وإلا لاحترق الهيدروجين بكل سهولة فى وجود الأوكسجين .

ويعد هذا مثالاً على خضوع المادة لارادة الله تعالى ، والله هو الذى منّ علينا بالعقل الذى نستعين به فى تسخير خواص المادة لما ينفعنا ، وعلينا أن نوسع آفاق تفكير طلابنا؛ حتى يهتدوا إلى الأسباب الفعلية بدلاً من الأسباب الظاهرة .

فالله تبارك وتعال سخر كل الأشياء للإنسان وجعلها طوع بنانه يستخدمها بالأسلوب الذى يراه .

وهذه المواد الكيماوية من العناصر والمركبات والنظائر المشعة ، بعضها مرئى وبعضها غير مرئى ، ولكنها جميعاً فى خدمة الإنسان سخرها لصالحه وفقاً لمشيئة الله وقدرته ، فكل عناصر المادة لها من الصفات والخصائص ما خصها الله تبارك وتعالى به من خلال قدراته الخلاقة وبديع صنعه .

هذا المدخل الأساسى يجب أن يسيطر على العلوم الطبيعية والتجريبية حتى لا يكون هناك تناقض أو تعارض بين مفهوم الإسلام كعقيدة وبين مفاهيم العلوم التجريبية التى أقام مسرحها المسلمون ثم أدخل عليها الغربيون كثيراً من المفاهيم المادية ، وخاصة الادعاء بأزلية المادة والطاقة ، ثم أزلية الكون ، وانتفاء الخلق ، ونسبة كل شىء جهلاً إلى الطبيعة أو رد الخلق ظلماً إلى الصدفة ، بينما

احتمالات الصدفة فى نشأة الكون معدومة تماماً .

هذا الكون الذى قد وجد بتدبير مسبق ورحمة بالغة ، كما أنه لا يمكن أن يستمر فى وجوده هذه الآلاف والملايين من السنين إلا برعاية خالقه .

وكذلك محاولة تفسير التدرج فى عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة.

ونحن المسلمين نؤمن بأن المعرفة تقوم على ثلاثة محاور هى : العقل والتجريب والوحى أو النص (النقل) ، أما المعرفة فى الثقافة الغربية فهى قاصرة على المعرفة التجريبية التى تلغى المصادر الأخرى للمعرفة ، مثل الوحى أو النقل ، ومن ثم تركزت الجهود باسلمة العلوم على توضيح مكانة الوحى أو النقل كمصدر للمعرفة وتكاملها مع العقل والتجريب .

ومن هنا فإن أسلمة المعرفة هى إعادة صياغة منهجية ومعرفية للمعارف وقواعدها وقوانينها يمثل الوحى فيها المصدر الأساسى وإعادة فهم المعرفة بأنها معطى إلهى للإنسان، لتمكينه من تحقيق مهمته فى الاستخلاف والعمران .

(بتصرف عن محمد عمارة)

وأسلمة المعرفة تبدو ضرورة عالمية تقتضيها عمليات المراجعات لإعادة توظيف العلوم ضمن إطار منهجى معرفى مقترن بهداية الله تبارك وتعالى الذى علم الإنسان ما لم يعلم.

وهكذا يتحقق أن :

الوحى مصدر أساسى من مصادر المعرفة :

ويقرر الدكتور زغلول النجار أستاذ الأيديولوجيات أن التأصيل الإسلامى لكل المعارف العلمية منها والإنسانية يجب أن تبدأ بالعلوم الكونية وتصحيح صياغاتها على هدى من معطيات العقيدة الإسلامية بغير تكلف أو انفعال .

وعلى تواصل علماء المسلمين تقع مسئولية غربلة تلك المعارف بمعايير الإسلام المنضبطة بضوابط الكتاب والسنة وتصفيتها من كل شائبة تتنافى مع معلوم

من الإسلام بالضرورة ؛ لأن رفض المعارف الحديثة كلية خاصة فى مجال العلوم البحتة والتطبيقية هو رفض لكل هائل من العلوم ، بدونه تتخلف الأمة الاسلامية عن مسايرة العصر علمياً وتقنياً ، وتقع فى مخالفات شرعية جسيمة ، لأن الأصل فى الإسلام ألا تتخلف أمة المسلمين عن أى علم أو فن مفيد تحتاجه الأمة فى تنمية قدراتها المادية والمعنوية وفى نهضتها العلمية والتقنية .

ومن هنا فقد ناديت بضرورة اعادة صياغة المعارف الإنسانية على نور الهدى الإسلامى ؛ لأن فى ذلك إنصافاً للعمل ذاته ، وللحق كله ولأن المعطيات الكلية للعلوم الكونية هى مدخل هائل للإيمان ووسيلة أساسية من وسائل التمكين فى الأرض ، ومن هنا كان لزاماً على الأمة الإسلامية أن تجمع كل المعارف الإنسانية المتاحة ، وأن تبدأ فى غربلتها بمعايير إسلامية منضبطة بالكتاب والسنة من غير تعسف ولا افتعال .

وأرى أن يكون إعادة صياغة المعارف الكونية من المنظور الإسلامى لابد أن يكون الخطوة الأولى فى الطريق إلى أسلمة المعرفة ، ثم تأتى بعد ذلك المعارف الإنسانية خاصة فى مجال العلوم السلوكية والإدارية (علم النفس ـ علم الاجتماع ـ الاقتصاد ـ السياسية .. الخ) بغير ضوابط أو سنن كونية واضحة .

ويحدد الدكتور زغلول النجار قاعدة البحث كله فى النقاط التالية :

(١) يتقرر مفهوم العلم المستمد من الإسلام القائم على الإيمان بالله تبارك وتعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر والعمل على تطوير الكتابات العلمية دون أية أشارة تشكك فى ذلك من قريب أو من بعيد فى غير مساس بالمنهج العلمى ذاته أو حجر على العقل البشرى فى انطلاقه للتعرف على هذا الكون وسنن الله فيه .

(٢) والتأكيد على القرار بأن العلم فى الإسلام فريضة ؛ لأن الإسلام يطالب العقل البشرى بالنظر فى هذا الكون والتأمل فى بديع صنع الله فيه ؛ ليتعرف بذلك على خالقه وعلى شىء من صفاته ، كما يستخلص عدداً من السنن الكونية التى

تمكنه من القيام بواجب الاستخلاف فى الأرض وعمارة الحياة فيها ، والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى .

(٣) إبراز عظمة الكون وروعة ما فيه من مخلوقات (من الجماد والأحياء والطاقات والظواهر) والتأكيد على أن هذا الكون الشاسع الاتساع المحكم البناء الدقيق الحركة لا يمكن أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه ، كما لا يمكن أن يكون قد نتج بمحض الصدفة، بل لابد له من موجد عظيم قد أوجده بعلمه وحكمته وقدرته وتدبيره ، وهو الذى يرعاه بعنايته ورعايته ويكلؤه برحمته .

وحدة عظمى :

فالاحتمالات الرياضية للصدفة فى نشأة الكون معدومة فعلاً مما يجزم بأن الكون الذى نحيا فيه لا يمكن أن يكون قد وجد إلا بتدبير مسبق وحكمة بالغة ، كما أنه لا يمكن أن يستمر فى وجوده هذا الآلاف والملايين من السنين إلا برعاية خالقه .

وكذلك التأكيد على أن هذا الكون المتناهى فى الاتساع مبنى على نفس النظام من أصغر وحداته إلى أكبر مجموعاته كما أن مكوناته على تباين أشكالها وهيئاتها يمكن ردها إلى لبنات أربع هى :

(المادة ـ الطاقة ـ والمكان ـ والزمان) .

(٤) وقد توصل العلم إلى أن المادة على اختلاف صورها ترد من أصلها إلى غاز الهيدروجين (أخف العناصر المعروفة) وأن الطاقة بمختلف أنواعها (بما فيها الجاذبية) لابد أن تلتقى فى شكل واحد للطاقة كما اثبت العلم أن المادة والطاقة شىء سواء وأن المكان والزمان شىء متواصل ، وبذلك تتحلل مركبات الكون المعلومة لنا إلى شىء واحد لا نعرف كنهه ، تتساوى فيه المادة والطاقة ، ويتواصل الزمان والمكان ، وهذا الشىء الواحد أن تتحلل إليه مركبات هذا الكون المعلومة لنا يؤكد الوحدة العظمى فى هذا الكون كله ، مما يؤكد وحدة الخلاق العظيم سبحانه

وتعالى.

(٥) كذلك لابد من النص على أن الكون ليس أزليًا ، فقد كانت له فى الأصل بداية يحاول العلم التجريبى حسابها ، كما أنه لا يمكن أن يكون أبديًا ، فكل ما له بداية لابد أن ستكون له فى يوم من الايام نهاية والعلوم الكونية بمختلف شعابها تؤكد على تلك الحقيقة ، ولابد من الإشارة إلى هذا المعنى فى معرض المناقشات العلمية كلما لزم الأمر بلا تكلف أو افتعال .

(٦) كذلك لابد من التأكيد على أن العلم فى جوهره هو محاولة جادة للوصول إلى الحقيقة ، وعلى ذلك فلابد لكل مشتغل به من التسلح بصفات الأمانة والدقة والرغبة السابقة فى التوصل إلى معرفة الحق ، كذلك لابد من التأكيد على أن البحث العلمى المتميز بالإخلاص والتجرد هو نوع من الجهاد الذى يؤجر عليه الإنسان ، وأن المنهج العلمى هو أسلوب فى العمل والتفكير يوصل كل من يتبعه بصدق إلى قدر من المعرفة ، وهو مجال يتنافس فيه المتنافسون .

(٧) وإبراز أن العلم فى منظوره الحالى لا يتعدى كونه محاولة بشرية لتفسير الظواهر الكونية المحيطة بالإنسان والاستفادة منها فى عمارة الأرض ، وعلى ذلك فليس فى مقدور الانسان أن يصل إلى جوهر الأشياء ؛ لأنه لا يستطيع أن يصف سوى مظهرها الخارجى واطراد تأثيرها ، ومن هنا فلا يمكن للاستنتاجات العلمية أن تمثل الحقيقة المطلقة ؛ ذلك لان العلم البشرى محكوم بحدود امكانات الإنسان وإمكانات حواسه وعقله ، كما أنه محكوم بخلية الانسان الفكرية وأحاسيسه وعواطفه ، ذلك أن استنتاجات الإنسان العلمية محدودة ، كذلك بوضعه على كوكب الأرض فى فترة زمنية محدودة ومكان محدد ، وعلى ذلك فإن استنتاجاته كلها محدودة بنسبة الزمان والمكان وبحدود حسه وعقله .

(٨) ويؤكد مفهوم الإسلام للعلم على أخلاقية العلوم ، وقد حدد القرآن

والسنة المطهرة للمسلمين الأسس الكلية فى مجال العلوم السلوكية والإدارية ، لأنها تقوم فى الاصل على قاعدة اخلاقية ثابتة والاخلاق لا يمكن ان تكون صناعة بشرية ؛ لأنها من صلب الدين ، والإنسان محتاج فيها إلى بيان كامل من الله تبارك وتعالى ، مثلها فى ذلك مثل العقيدة والعبادة والمعاملات ، ويتحتم التأكيد على قيمة العلم فى الإسلام، والإقرار بأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ لأن الإسلام يطالب العقل البشرى بالنظر فى الكون الشاسع الاتساع المحكم البناء الدقيق الحركة الذى لا يمكن أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه ، كما لا يمكن أن يكون قد نتج بمحض الصدفة ، بل لابد له من موجد عظيم قد أوجده بعلمه وحكمته وقدرته وتدبيره ، وهو الذى يرعاه بعنايته ورعايته ويكلؤه برحمته ، فالاحتمالات الرياضية للصدفة فى نشأة الكون معدومة فعلاً ، فلا يجزم إلا بأن الكون الذى نحيا فيه قد وجد بتدبير مسبق وحكمة بالغة ، كما أنه لا يمكن يستمر وحده إلا برعاية خالقه .

هذا وبالله التوفيق ،